هو تمكين الطالب المبتدىء من التصرف على نحو يجعل فى استطاعته المشاركة ، بدرجة ما ولاغراض معينة ، كفرد فى مجتمع غير مجتمعه ، وقد تختلف درجة رغبة اى طالب معين فى المشاركة ، فقد ينشد قراءة المؤلفات الفنية فحسب ، أو قد يرغب فى الاشتغال بالوعظ فى بلد اجنبى . وتتطلب درجات المشاركة المختلفة هذه مستويات مختلفة من المهارة فى الاداء اللغوى ، وهى كذلك تنطوى على تقسيم السلوك اللغوى الى انواع مختلفة من المهارات ،اما من الناحية التقليدية فلهذه الانماط المختلفة مسميات مختلفة : الكتابة ، والكلام ، والاملاء ، والقراءة بصوت مرتفع .. وهلم جرا . ومثلما تختلف الانواع المختلفة من الاداء اللغوى ، تختلف الآليات الكامنة وراءه ، وقد تكون موضع بحث (انظر الفصل السادس) ، فمن الواضح ان تعليم اللغات كان وما يزال يعد تنمية لمجموعة من مهارات الاداء فى الطالب ، ودائما يعبر عن المناهج والجدوال الزمنية من حيث المهارات التى يجرى اكسابها « اليوم سيكون لدينا درس فى المطالعة ، وغدا درس فى المحادثة » . واذا تحدثنا فى اية مناقشة حول تعليم اللغات عن تنمية المهارات من قبيل التحدث أو فهم الحديث ، فاننا بذلك نتبنى رايا نفسانيا (سيكولوجيا) عن اللغة ، وتكون نظرتنا لها على انها من أمور السلوك الفردى ، وسواء اعتبرنا هذا السلوك مجموعة من العادات أو الاستجابات الممكنة ، او مجموعة من المعارف أو مجموعة من القواعد ، فان ذلك يتوقف على الاهمية النفسانية (السيكولوجية) المعينة التى نوليها السلوك اللغوىللفرد وكيفية اكتساب ذلك السلوك . فمن شأن ذلك أن يحدد ، مثلا ، موقفنا من وظيفة التدريبات والفائدة منها ، واعطاء التفسيرات النحوية ، وقيمة التكرار والحفظ عن ظهر قلب ، وفائدة الاملاء ، واهمية الاستماع فحسب ، وايا كان القرار الذى نتخذه فى مجال الاساليب فانه يعنى تبنى راى فى اللغة كظاهرة لعلم النفس الفردى . وما ميز ما يسمى بالتعليم « التقليدى » للغات لم يكن كافيا من حيث افتقاره الى وعى بالبعد النفسى للغة ، بل لانه حد من نطاق السلوك او المهارة المتوخاة ، ولكن ذلك ليس مبررا لتوجيه النقد للتعليم التقليدى للغات، فالمهارات التى حاول ذلك التعليم تنميتها كانت ، الى حد ما ، هى المهارات التى يفترض أن المجتمع اعتبرها مناسبة فى ذلك الوقت ، وقد تحددت بعض اساليب التعليم التقليدى للغات ، وفقا لهذا ، وفى الوقت الحاضر نجد أن ما يمكن قوله ، ولنا مبرر فى ذلك ، حول التعليم التقليدى للغات هو ان اساليبه لم تعد مناسبة لمجموعة جديدة من المتطلبات والتوقعات .

غير اننا حين نتحدث عن السلوك المقبول وغير المقبول او عن اللغة المناسبة او غير المناسبة ، فاننا بذلك نتخذ رايا فى اللغة كعرف اجتماعى ، مجموعة من اساليب السلوك يضع المجتمع شروطها او تحددها السمات الثقافية فى ذلك المجتمع ، فغير الصحيح او غير المناسب هو ، ببساطة ، ما لا يتوافق مع المعايير المشتركة لمجموعة معينة ، اذ اننا بتدريسنا اللغات ، انما نعد الطالب للمشاركة فى مجموعة اجتماعية اخرى، مجتمع لغوى آخر مغاير لمجتمعه ، وليؤدى دورا فى ذلك المجتمع ، واللغة غير المقبولة او غير المناسبة تحول بين الطالب وبين التفاعل او التخاطب بطريقة مرضية مع الآخرين من اعضاء ذلك المجتمع . انه قد يفشل فى تحقيق غاياته وقد يفشل فى التخاطب او قد يساء فهمه ، وقد يؤذى مشاعر الآخرين او قد يجعل من نفسه مثارا للسخرية .

هذا ، ولا تتوافر نفس الاهداف الاجتماعية بالنسبة لجميع الطلبة فيما يتعلق بتعلم اللغات ، اذ ان نطاق الادوار التى يودون تحقيقها سيكون مختلفا ، فقليل منهم يودون لو اصبحوا شعراء فى المجتمع اللغوى الجديد ، والبعض الآخر قد يودون أن يصبحوا زوجات أو أزواجا ، ويقنع معظمهم بأن يصبحوا « اجانب »، وعلى هذا فعند تخطيط عمليات تعليم اللغات ، يجب علينا معرفة الاهداف الاجتماعية المتوخاة ، والاهداف الشخصية التى يود الطالب تحقيقها . وبمعنى آخر علينا أن نقرر اى « نوع » من اللغة نعلمه اياه ، فمفهوم « اللغة » او « اللهجة » مفهوم اجتماعى وليس مفهوما « لغويا » ، فنحن نعلم لغة معينة وليس اية لغة كانت .

وربما كان اكثر الانتقادات التى توجه الى التعليم التقليدى للغات اقناعا ، باصراره على الصواب، وقواعد النحو ، واهدافه المحدودة ، هو افتقاره لهذا البعد الاجتماعى ، فقد افترض أن اللغة عبارة عن مفهوم لغوى ، ويبدو انه — التعليم التقليدى للغات — لم يعبأ كثيرا بفكرة المواءمة ، وبالاسلوب القائل

بأن السلوك اللغوى ايجابى بالنسبة لمواقف اجتماعية مختلفة ، ومن المزايا الكبرى لتعليم اللغات فى العصر الحديث انه يتناول اللغة تناولا اكثر اجتماعية ، وبانه يعنى بمشاكل وظيفتها التخاطبية فى المواقف الاجتماعية المختلفة ، ويتضح لنا ذلك فى الاصرار على تقديم « عرض » اللغة فى مواقف ، واستخدام المعينات السمعية والابصارية ، وفى التأكيد على الامثلة اللغوية « الطبيعية » فلم نعد نلحظ عبارة « قلم عمتى » او « صعق البرق راكب الحصان » .

وارتباط الدراسة اللغوية باللغة من الوضوح بحيث لا يحتاج الى مزيد من مناقشة عند هذا الحد ، فتقسيم ما يجرى تعليمه الى نطق ، ومفردات ، ونحو ، ناشىء عن مقاييس وصف اللغة ، الا اننا ما زلنا نصادف لبسا بين هذا التناول والتناول النفسانى عند ما نستمع الى المناقشات التى لا تنتهى حول تدريس النحو ، وتنشأ البلبلة من أن المصطلح « نحو » شأنه شأن المصطلح « لغة » غامض مبهم كما نوه بذلك كويرك Quirk (1) وجرينبوم Greenbaum وليش Leech وسفارتفيك Svartvik (1972) فهو يستخدم بكلا معنييه النفسانى واللغوى ، ويحاول المعلمون ، احيانا ، ازالة هذا الغموض بقولهم ان ما ينبغى علينا عمله هو أن نعلم الناس اللغة ، لا أن نعلم الناس « عن » اللغة ، ومعنى قولهم اننا نحاول اخراج متحدثين باللغة ، لا علماء لغة ، اى اناسا يستطيعون « التحدث باللغة » لا « التحدث عن اللغة » وبالطبع ، يمكن لعلماء اللغة دائما — فى آخر المطاف — التحدث عن لغة لا يتكلمونها . وتتمثل احدى الانتقادات التى ثارت ضد الاساليب التقليدية فى أن علماء اللغة حققوا نجاحا أفضل فى التحدث عن اللغة بدل الذى حققوه فى « التحدث بها » ، ومن ثم فتعليم قواعد النحو قد يفهم من الناحية الثقافية على انه يمكن الطالب من اخراج منطوقات يسميها علماء اللغة « نحوية » ، ومن الناحية اللغوية كتعريف للطالب بقواعد نحو اللغة وسواء كان تعريف الطالب بقواعد نحو اللغة أسلوبا مفيدا لتنفيذ تعليم اللغة لمثار مناقشة من حيث نفسانية تعليم اللغات، والاجابة على التساؤل هل ينبغى علينا تعليم قواعد النحو ؟ هى « نعم » من الناحية النفسية ، و « ربما » من الناحية اللغوية ، هذا ، ولا يبدو أن الغموض يكتنف تعليم النطق ، اذ بالرغم من أن كلا من العالم اللغوى ومعلم اللغة يمكنه قول الكثير حول نطق اللغة ، فان مناقشة من هذا القبيل لم تثر حول « تعليم النطق » ، فهو يدرك بصفة عامة بمعناه النفسانى فحسب ، من حيث جعله الطالب يتصرف بأسلوب معين . كذلك فان الغموض لا يعترى « تعليم المفردات » والسبب فى ذلك جد شائق اذ على العكس من « التحدث عن النحو او النطق » ، فالحديث عن المفردات شىء نستخدم قدرا كبيرا منه فى محادثاتنا اليومية ، فنحن عندما نصدر تعريفا من اى نوع ، فاننا «نتحدث عن» المفردات وهى تقريبا النوع الوحيد من « الحديث عن » المفردات الذى يمكن للمعلم العادى اداؤه ، ويمكن للعالم اللغوى ان يفعل القليل ولكن بطريقة ليست افضل ، « فالحديث حول المفردات » اسلوب مقبول « لتعليم المفردات » ، كما انه لم يكن مثارا للنقد مثلما كان الامر بالنسبة لتعليم النحو « بمعناه اللغوى » . وبالطبع ، ثمة سبل اضافية لتعليم المفردات مثلا ، بالاساليب الظاهرية التى لها مبررها الاكبر فى علم النفس عنه فى اللغويات .

وتتمثل الصلة الوثيقة بين الدراسة اللغوية وبين اللغة فى تعليم اللغات فى انها توفر انواعا مفصلة وشاملة من اللغة ، وما على المرء سوى ان يتخيل وضع الامور حين ينبغى عليه صياغة منهج لعملية تعليم اللغة بمعناها النفسانى اى من حيث المهارات وانماط السلوك اللفظى الواجب تلقينها ، للتحقق من أن تلك هى أوضاع الامور ، وغالبا ما يصادف المرء خططا من هذا القبيل ، بالرغم من عدم اهليتها للمسمى « منهجا » ، فهى بطبيعتها تدخل فى نطاق الاهداف العامة بمعنى « أنه يجب أن يكون فى مقدور الطالب — عند نهاية المقرر — الكتابة بدون اخطاء نحوية كثيرة ، والتحدث بطلاقة مع أحد ابناء اللغة الاصليين كما يمكنه القراءة بسهولة ويسر فى مؤلف غير فنى » ، وقد يبدو وضع منهج بالمعنى الاجتماعى امرا اكثر سهولة : « يجب أن يكون فى مقدور الطالب شق طريقه كسائح فى البلد الاجنبى ، وشراء التذاكر ، وحجز الحجرات فى الفنادق ، والسؤال عن الطريق .. الخ

(1) Quirk, R. Greenbaum, S., Leech, G., and Svartvik, J. (1972) A Grammar of Contemporary English, Longman.

بلغة البلد الاجنبى » ، وتكمن الصعوبة فى كلتا الحالتين فى أنه مهما بدت قائمة الانجازات طويلة ، فغالبا ما تكون هذه الانجازات غير واضحة وغير محددة وغير نظامية .

والحقيقة انه اذا اردنا رسم خطة تفصيلية حقا لعملية تعليم اللغة ، وجب التعبير عن ذلك بمصطلحات « لغوية » — توائم البنيات النحوية والمفردات ، وتوائم الاصوات ، ومقومات النطق التى يجب « اتقانها » . هذا ، والتناول اللغوى مسؤول عن تحديد كيفية « تصوير » ما ينبغى علينا تدريسه ، وهذا لا يماثل قولنا من انه مسؤول عن « تحديد » ما ينبغى تدريسه ، وهو لا يسهم بطائل يذكر فى تحديد كيفية تدريسنا فى المجالات اللغوية .

نحو التعريب في مجال العلوم والتكنولوجيا

الدكتور دفع الله الترابي
الرياض

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد.

فلقد حظى التعريب فى مجال العلوم والتكنولوجيا باهتمامات كثيرة منذ أول عهد النهضة العربية الحديثة. وظل أمره يبحث فى المؤتمرات واللقاءات العلمية على مستويات مختلفة . ولقد أصبح من المسلم به كنتيجة لاجماع الآراء أن التعريب ضرورة لبناء الامة العربية ، ومن المرتكزات الاساسية لنهضتها .

ومن هذا المنطلق لا حاجة بنا لاقامة حوار حول حتمية التعريب لمستقبل الامة العربية وحسبنا من ذلك هذا الاجماع ، لذا نحونا بهذه المقالة الى ابراز بعض مستلزمات التعريب من مؤسسات ووسائل ، عسى أن يحقق الله الانفتاح المرجو على العلوم والتقنيات وان يمكن للتعريب فى أقل زمان وأكمل صورة .

ونحيى فى مطلع هذه المقالة المجهودات الكثيرة التى بذلت من بعض العاملين فى المجال العلمى والتقنى وذلك باستصدار الكتب المعربة والمترجمة ، وكذلك نحيى أساتذة الجامعات الذين اثبتوا عن طريق الممارسة انه بالامكان تقديم المواد العلمية باللغة العربية بالرغم من أن هذه المحاولات لم يتح لها أن تعمم فى جميع المعاهد أو لكل المواد الدراسية وذلك من ندرة الكتب العلمية العربية وقلة التآليف العربية فى مجال التكنولوجيا .

ولقد كان من ضمن العوامل التى أدت الى كساد سوق الكتب العلمية العربية قلة الطلب عليها من الجامعات والمعاهد ، وانصراف العاملين فى المجال العلمى عنها ، حيث تدار جل الاعمال الهندسية والصناعية والادارات الفنية المختلفة باللغات الاجنبية .

أما بالنسبة للمجلات العلمية العربية فان اثرها

قليل ومحدود لضيق وسائل النشر وانعدام المناخ العلمى وكأن ذوى الاختصاص لم يهتموا بأمرها الاهتمام المطلوب بل انصرفوا عنها انصرافا · لذلك لجأ كثير من العلماء العرب لنشر بحوثهم فى الخارج حيث وسائل النشر العلمى متوفرة وحيث يتنافس المتنافسون لابراز نتاج افكارهم وثمرة جهودهم مما جعلنا نسعى بأفضل انتاجنا العلمى الى خارج بلادنا ، ولا يخفى ان المجلات العلمية الاجنبية لا تنشر من الموضوعات الا ما يتصل باهتمامات أصحابها ، ومن ثم فان جهود هؤلاء العلماء العرب ليست مرتبطة فى المكان الاول بحاجة الصناعة والتعمير المحلية ، الا بذلك القدر الذى تحتمه طبيعة البحث العلمى الشمولية ·

واذا كان لا بد من تحول عن هذا الاتجاه فان التعريب حرى بأن يربط الانتاج العلمى العربى بمشاكل البلاد القائمة · وجعل موارد الامة الطبيعية والصناعية هى حقل البحث الاساسى لدى العلماء ، كما أن ذلك يجنبهم بعض الموضوعات فقط من أجل احتمال نشر نتائجها بالخارج ، على اننا لا ننكر على احد من الباحثين أن يكون له سهم على النطاق العالمى متى سنحت له فرصة لذلك ، كما انا لا ندعو الى تقييد الباحثين أو الحجر على الروائد الفكرية ، بيد أن التعريب والنشر باللغة العربية ضمان لجلب انظار العلماء للاوليات التى ينبغى أن يلتفت اليها ·

هذا ولتحقيق انتاج علمى سليم بالعربية ، لا بد ان تتوفر له جميع المقومات اللازمة فى مجال البحث والنشر والتاليف · ويمكن تلخيص حاجة التعريب من المؤسسات المتخصصة فى الآتى : علما بأن الآراء قد تتباين فى كيفية اسناد المهام المختلفة بين المؤسسات ، أو دمج بعضها فى بعض ·

1 ــ المجمع العلمى العربى :

يقوم هذا المجمع مقام المجامع العلمية المماثلة فى الخارج ويكون رقيبا على تطور العلوم التقنية · وتتفرع عنه أمانات للفروع التكنولوجية المختلفة والتى يناط بها نشر المجلات العلمية المتخصصة وتحضير المؤتمرات والقيام بالدراسات والاحصائيات المتعلقة بالكفاية العلمية بالنسبة للبلاد العربية ·

كما يكون المجمع مسؤولا عن التعريب وخطوات سيره ونشر المعاجم العلمية ، ويكون من صلاحيته توجيه البحث العلمى ونشر الموضوعات التى تتصل بحاجة الامة واولوياتها ·

2 ــ دور النشر العلمية :

تتكفل هذه بمسؤولية نشر الكتب والمجلات العلمية وجميع ما يصلها من المجامع ودواوين الترجمة، على الا تدار على أساس تجارى بحت حيث هى ــ أى دور النشر العلمى ــ موقوفة لتلبية متطلبات الكتب الدراسية ومجلات البحوث والنشرات العلمية ·

3 ــ ديوان الترجمة :

يكون مسؤولا عن تتبع النتاج العلمى فى التقنيات فى خارج البلاد العربية وتقديم دوريات عنها ، ثم ترجمة جميع ما يطلب منه فى ذلك لاغراض البحث او الصناعة والتعمير ·

4 ــ مركز التوثيق :

يقوم بجمع وحفظ المجلات والنشرات والكتب العلمية ومد الباحثين والعاملين بما يحتاجونه حول اى من الموضوعات التى تدخل فى اختصاصه ·

وحتى تعمل هذه المؤسسات المذكورة بكفاية عالية ، لا بد أن يوظف لها اصحاب الاختصاص كل فى مجاله ، كما يجب الا يضن عليها بالمال والصلاحيات التى تحقق اهدافها ·

وقد يتراءى اول الامر ان نفقات التأسيس كبيرة ولا تتناسب مع مردودها السريع ، ولكنها ضريبة ارساء المرتكزات العلمية التى لا غنى عنها لانماء الامة العربية فى ظل قيمها ودينها وتراثها الاسلامى ــ بل ان هذه النفقات سوف تنخفض بعد تخطى مرحلة الانشاء كما أن دور النشر قد تحقق أرباحا من المطبوعات والمنشورات الفنية ·

تعريب الكتب العلمية : (التحليلات الرياضية) :

درج كثير من المؤلفين فى مجال تعريب العلوم على كتابة المعادلات والتحليلات الرياضية باللغة الاجنبية ؛ وقد لا يخفى ان هذه الطريقة فضلا عما تحدثه من

تشويش على القارىء توشك أن تؤدى الى استحداث لغة علمية بين بين ، لا هى عربية ، ولا هى أجنبية · ومع أن الدافع لذلك هو حرص هؤلاء المؤلفين لتسهيل النظر فى المصادر الاجنبية الا أن نظرة فاحصة فى النماذج أ ، ب ، جـ كما فى الشكل (1) قد توضح أن هذا النهج يقود فى النهاية الى تغريب العلوم لا تعريبها ، بل انه ربما زهد الطلاب فى اقتناء هذه الكتب ودفعهم الى أخذ العلوم باللغة الاجنبية مباشرة ·

ويتراءى من خلال الاستعراض التالى أن تعريب هذه المعادلات ليس بأشق من تعريب المصطلحات الاخرى ، وكان من باب أولى أن يلجأ المؤلفون الى كتابة التحليلات الرياضية بالعربية أسوة بالمصطلحات الاخرى ·

وتقدم فى هذا المقال عرضا لبعض الرموز الرياضية لا لأن هذا الباب لم يطرق من قبل ولكن من اجل اعادة النظر والموازنة بين ضرورة تخريج هذه العلاقات الرياضية على نهج عربى وبين المحافظة على الاشكال التى ألفها الناس من المراجع الاجنبية ·

1 ــ التكامل :

التكامل فى حقيقته ضرب من صيغ الجمع ·

فاذا جعلنا الحرف ج يرمز لعملية الجمع العادى، فيمكننا باجراء تحوير قليل فى هذا الحرف أى بشده الى أعلى وأسفل هكذا ∫ أن نحصل على مدلول عملية التكامل مع اسقاط الاعجام عن الشكل الناتج ، وعليه فان العلامة ∫ ترمز لعملية التكامل التى تتأتى من ∫ـ ∫ ، كذلك ∬ ترمز للتكامل المزدوج ، والعلامة ∭ للتكامل الثلاثى · وهكذا تكرر العلامة بعدد عمليات التكامل المطلوبة على الدالة · اما اذا كان المقصود جمع كميات أو وحدات متجانسة وغير متصلة ، فيمكن أن يرمز لها بجيمين على بعضهما (ﺝ) مع اسقاط الاعجام ، انظر الشكل (2) ·

2 ــ التفاضل :

عند ما نقدم على اجراء عملية تفاضل ، أى ايجاد المعامل التفاضلى ، أو ايجاد مشتقة الدالة ، نقول ايجازا :

فاضل . . ثم نكتب الدالة المطلوب ايجاد مشتقتها. فاذا اخذنا أول كلمة فاضل أى(ف)،فيمكننا بتحوير بسيط عليه جعله دلالة لاجراء التفاضل ، فمثلا ف س نعنى به **فاضل بالنسبة** للمتغير س ·

كما يمكننا بجعل الف المد فى فا مائلا الى اليمين **أن نستدل على** التفاضل الجزئى على النحو التالى :

ﻑ نعنى فاضل جزئيا ·

ويمكننا كذلك **أن نرمز للزيادة** القليلة او الفضلة باجراء تحوير آخر على اعلا الالف فى (فا) كما هو موضح فى الرسم التالى

(δ) نعنى الفضلة أو الزيادة القليلة ، انظر الشكل (3) ·

كذلك قاعدة اللوغارتم الطبيعى يمكن أن يرمز لها بالحرف ق مع الابقاء على الاعجام أو حذفه أى أن

ق س^{2} = (2,73000)$^{س^{2}}$ ، أى ان لو ق س = س

أما الجذر التربيعى والتكعيبى فعلامته معلومة وهو ج مكتوبة بميل يساوى 90° :

وأما دلالات العمليات الحسابية الاولية من جمع وطرح وضرب وقسمة فهى بحمد الله موحدة فى الافرنجية والعربية ·

وكذلك علامة : يقل عن < ويزيد على > ويساوى = ، لا خلاف عليها ·

ولا ضرر أن نبقى على النسبة التقريبية كما هى π وهناك من يكتبها ط ·

أما جبر المصفوفات فلا يسبب اشكالا فى الكتابة العربية كما هو معلوم ، انظر الشكل (4) ·

هذا وان جميع الرموز السالفة لا تشكل صعوبة فى رسمها أو التباسا فى مدلولها ، كما أنها تحتفظ بقدر كبير من الشبه مع العلامات المستعملة فى المصادر الاجنبية ، أى أن الباحث سوف يتعرف عليا من النظرة الاولى فى المصادر الاجنبية ، ان هو اعتاد على مقابلاتها العربية · هذا وان بعضا من كتب الهندسة العربية

والرياضيات قد صدرت معربة مع اختلافات قليلة فى رسم الدلالات · وما ينتظر هو أن يتفق المختصون حول رسم هذه الدلالات بحيث لا تحدث التباسا لدى القارىء أو طالب العلم ·

الحـــروف العـــربيـــة :

لا يخفى أن الحروف الصغيرة والكبيرة باللغتين اللاتينية والاغريقية يعطى مجالا كبيرا لتخير الرمـــوز فى اللغات الاجنبية ، ولما كان الحرف العربى يمكن كتابته على صور مختلفة فى الخطوط العربية ويقبل علامات الشكل (الاعراب) الاربع زائدا الشدة (ـّـ) فان فرصة الاختيار ههنا كبيرة أيضا · بيد أن المرونة الكبرى هى فى امكان جمع حرفين أو ثلاثة معا لترمز لكميات مختلفة عن تلك التى ترمز لها الحروف المنفصلة ، وذلك نحو :

ج ، أ ، ت ، ثم جا ، وجتا ، جت ، تا ، تج ·

فهذه جملة كميات مختلفة ، وهكذا فى نحو ظا ، وظتا ، ونق .. الخ · وهذا لا يتيسر باللغات الاجنبية ، فان جمعت مثلا بين الحرفين فمفهوم ذلك ان الكمية

مضروبة فى الكمية لا غير ، مع أن احتمال اللبس غير موجود فى العمليات التالية :

ج أ = ج × أ ج أ ت = ج × أ × ت

جات = جا × ت جتا ج = جتا × ج

(انظر الشكل 5)

الاعـــداد العـــربيـــة ·

هناك ضربان من رسم الاعداد عند عرب اليوم ، فبينما يستعمل اهل المغرب العربى الارقام المسمـــاة بالاعداد العربية عند الافرنج وهى : 9 ، 8 ، 7 ، 6 ، 5 ، 4 ، 3 ، 2 ، 1 ، نجـد اهل المشرق العربـــى يستعملون الحروف المعلومة وهى : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ·

ويبدو أن المخطوطات العربية لعهد يمتد لاكثـــر من الف سنة توضح أن الصنف الثانى من الاعداد قد كان فعلا مستعملا عند الغرب فى المشرق فى الاقل ، ولا أرى كيف يمكننا أن نهمل هذا التراث ، ولكن حبذا لو اتفق العرب كلهم على نمط واحد فى كتابة العدد ·

تـــوقيت التعـــريب :

واذا كان التعريب أمرا لا محيد عنه ، فان تركه لعفوية الجهد الفردى وعدم التشريع والتنسيق اللازمين له لهو تسويف لا يتمشى مع واقع الحال ، ولا يأخـــذ فى الاعتبار عامل الزمن الذى تستبق فيه الامم لبسط نفوذها واستغلال ما لغيرها من مقدرات متى كـــان ذلك ممكنا بسبب نقصان الكفاية العلمية ·

فلا اقل من اصدار تشريع أو ميثاق على نطـــاق الوطن العربى يلزم جميع دور العلم العربية بتعريب جميع مناهجها بعد فترة موقوفة من الزمان ـــ قد تكون عشر سنوات على سبيل المثال ـــ يراعى فيها أن تتسع لاصدار الكتب العلمية فى التخصصات التى يحتاجون اليها سواء عن سبيل التاليف او الترجمة ·

وربما كان من انجع السبل لهذه الغاية ان يكلف اساتذة الجامعات وغيرهم من ذوى الكفاءات للقيـــام بمهام الترجمة والتاليف توطئة لتعميم التعريب فى حدود الفترة الموقوتة ، وينبغى حينئذ أن يكون هذا التكليف تعاقدا ملزما ووفق خطة متكاملة تضعها وتشرف عليها هيئات التعريب المأذونة · ومن البديهى أن يصرف على هذا الجهد من جانب المؤلفين والمترجمين والمراجعـــين دون تقتير حتى ينصرف هؤلاء بكل طاقاتهم لانجاز هذه المهام الكبيرة ·

كذلك لا بد من تعريب المواصفات ووضع اساس المقاييس والموازين والمكاييل وفق نظام علمى متكامل·

هذا وان الرسم البيانى فى الشكل (6) يوضح تصورا لخطوات التعريب على قاعدة زمنية ·

ويمكن اعتبار الثلاث سنوات الاولى ـــ كمـــا هى موضحة فى الشكل (6) مرحلة اعداد وتنسيق ، حيث يجب أن تتكون اثناءها الهيئات التى تشرف علـــى التعريب كالمجامع العلمية ودور النشر ودواوين الترجمة ومراكز التوثيق وهى من 1395 هـ الى 1398 هـ ·

تليها ثلاث سنوات هى بداية مرحلة التاليـــف والترجمة حيث يمكن وضع المســـودات ومراجعتهـــا واعتمادها وهى من 1398 هـ الى 1401 هـ · تليها سنتان للطبع والنشر وهى من 1401 ـــ 1403 هـ ·

واذا احتسبنا سنتين اخريين من اجل اى عوائق اخرى تعطل سير العمل ، فان فترة العشر السنوات لا تبدو متعجلة ، بل يمكن اختصار المدة اذا تضافرت الجهود على ذلك ، علما بأن جزءا كبيرا من المناهج ربما أمكن تعريبه فى فترات متفاوتة فى بحر العشر السنوات القادمة ·

هذا ولا بد من حركة تنسيق شاملة لتعريب المصطلحات فى السنوات التى تسبق فترة التاليف حتى تكون التعبيرات العلمية متجانسة ، غير انه لا ينبغى ان يتفق الناس جميعهم على كل مصطلح ايا كان ، فان ذلك مبالغة فى لزوم مالا يلزم · اذ ان كثيرا من التعبيرات والمسميات غير المناسبة ستندثر بمرور الزمن ويستبدل بها ما هو اصلح · وما يرجى من عملية تنسيق المصطلحات هو ايجاد قدر مناسب من المصطلحات يتفق عليها ، ولا بأس أن يكون هناك اكثر من مصطلح لتعبير واحد · فالفرق بين الحمولة القصوى ، والحدية وحمل الانهيار او حمل الخضوع ليس كبيرا ، وكثيرا ما يستعمل تعبير منها فى مجال آخر ·

وقبل ان نختتم هذه المقالة نقول : انه لا مجال لنبذ تعلم اللغات الاجنبية جملة ، فهذا شانه شأن من لا يرى بضرورة التعريب ، بل ينبغى على طالب العلوم الحديثة تعلم لغة اجنبية حية كالانجليزية او الالمانية او الفرنسية ، لتكون نافذة له على فيض علوم البلاد الاجنبية ·

وليس ثمة من يدعو الى وضع يؤدى الى عزل العالم العربى علميا عن النتاج العلمى العالمى ، لكنا نقرر بأن التعريب هو السبيل الوحيد لاستيطان هذه العلوم التكنولوجية فى تراب وطننا العربى ·

خاتمة وتوصيات :

نستخلص من هذا المقال التوصيات التالية :

1 — أن يؤلف مجمع علمى لرعاية العلوم والتكنولوجيا ·

2 — ان تكون دور نشر علمية على النحو الذى ذكر فى المقال ·

3 — ان يقوم ديوان للترجمة ·

4 — ان يقوم مركز للتوثيق العلمى ·

5 — ان يحافظ على شمول التعريب وتجنب كتابة التحليلات الرياضية باللغات الاجنبية فى الكتب العلمية العربية ، خصوصا فى الكتب التى تتبناها هيئات التعريب ·

6 — ايجاد تشريع او ميثاق لتعميم التعريب فى الوطن العربى فى حدود فترة زمنية موقوتة وفى هذا نرى :

ا) الاستفادة من اساتذة الجامعات وغيرهم لمهام الترجمة والتاليف ·

ب) وضع خطة شاملة لسير التاليف والتراجم وموضوعاتها حسب حاجة العالم العربى العلمية ·

ونسأل الله ان يوفق الى هذه الغايات ويذلل الصعاب · وعلى الله قصد السبيل ، وهو نعم المولى ونعم النصير ·

المراجع

لقد استعان الكاتب فى تقديم هذا المقال بالنظر فى المراجع التالية :

1 — كتاب « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » — فى القديم والحديث ·

للامير مصطفى الشهابى — معهد الدراسات العربية العالمية جامعة الدول العربية — 1955 م

2 — كتاب « حياة اللغة العربية » — لحفنى بك ناصف — مطبعة جامعة القاهرة — 1958 م ·

3 — معجم المنجد — للويس معروف — بيروت ·

4 — مجلة العربى — العدد 186 — ربيع الثانى — 1394 هـ ·

مقال للدكتور عبد الستار احمد فراج ·

5 — عدد من الكتب العلمية المعربة ·

ومعادلة القوة القاطعة في المجال C_2B هي :

$$V_{\Omega_3} = + V_B \cdot \cos\alpha + H_B \cdot \sin\alpha \ .$$

$$V_{\Omega_3} = 6\cos\alpha + 6\sin = 6 \cdot \frac{-9}{\sqrt{81 + 4(6-x)^2}} + 6 \cdot \frac{-2(6-x)}{\sqrt{81 + 4(6-x)^2}}$$

$$V_{\Omega_3} = \frac{12x - 126}{\sqrt{81 + 4(9-x)^2}} \quad , \qquad 9 \leq x \leq 12 \qquad (5c')$$

والآن نجد أن معادلات عزم الانعطاف في المقاطع الثلاث $\Omega_1 , \Omega_2 , \Omega_3$ العائدة للمجالات الثلاث C_2B , C_2C_1 , AC_1 هي :

$$M_{\Omega_1} = V_A \cdot x - H_A \cdot y - q\frac{x^2}{2} = 10 \cdot x - 6 \cdot \frac{x}{9}(12-x) - 2\frac{x^2}{2} \ ,$$

$$M_{\Omega_1} = 2x - \frac{x^2}{3} \quad , \qquad 0 \leq x \leq 6 \ , \qquad (6a')$$

$$M_{\Omega_2} = V_A \cdot x - H_A \cdot y - q\frac{l}{2}\left(x - \frac{l}{4}\right) \ ,$$

$$M_{\Omega_2} = 10x - 6\frac{x}{9}(12-x) - 2 \times 6(x-8) \ ,$$

$$M_{\Omega_2} = -10x + 36 - \frac{2}{3}x^2 \ , \qquad 6 \leq x \leq 9 \qquad (6b)$$

وكذلك نجد المعادلة :

$$M_{\Omega_3} = V_B(l-x) - H_B \cdot y \ .$$

$$M_{\Omega_3} = 6(12-x) - 6 \cdot \frac{x}{9}(12-x)$$

$$M_{\Omega_3} = 72 - 14x + \frac{2}{3}x^2 \qquad 9 \leq x \leq 12 \qquad (6c)'$$

ومعادلات القوى المحـــورية التي تمثل تغيرات محصلة القوة الضاغطـة أو الشـادة في أي مقطع مثل Ω هي :

الشكل (١) نموذج ٢

ومن اجل العزم الستاتيكي نجد من الشكل (5-11) :

$$\bar{n}_x = \int_y^r b \cdot y \cdot dy = \int_\theta^{\pi/2} 2r^3 \cdot \cos^2\theta \cdot \sin\theta \cdot d\theta \ ,$$

$$n_x = -2r^3 \int_\theta^{\pi/2} \mathrm{Cos}^2\theta \cdot d\,\mathrm{Cos}\,\theta = -\frac{2r^3}{3}\left(\mathrm{Cos}^3\theta\right)_\theta^{\pi/2} = \frac{2r^3}{3}\cos^3\theta. \quad (c)$$

ومن اجل حساب عزم العطالة نجد :

$$I_x = \int_{-r}^{r} b \cdot dy \cdot y^2 = \int_{-\pi/2}^{\pi/2} 2r \cdot \cos\theta \cdot r^2 \sin^2\theta \cdot r\cos\theta \, d\theta \ ,$$

$$I_x = 2r^4 \int_{-\pi/2}^{\pi/2} \mathrm{Cos}^2\theta \cdot \sin^2\theta \cdot d\theta \ ,$$

$$I_x = \frac{2r^4}{2\times 4}\int_{-\pi/2}^{\pi/2} (1+\cos 2\theta)(1-\cos 2\theta)\, d2\theta = \int_{\pi/2}^{\pi/2} \frac{r^4}{4}(1-\cos^2 2\theta)\, d2\theta$$

$$= \frac{r^4}{4}\left[2\theta - \theta - \frac{\sin 4\theta}{8}\right]_{-\pi/2}^{\pi/2}$$

$$I_x = \frac{r^4}{4} \cdot \pi \qquad (d)$$

فاذا عوضنا حدود العلاقة (a) بقيمها المعسوبة نجد تابع اجهاد القص في المقطع الدائري وفق العلاقة:

$$\tau_{xy} = P\,\frac{2}{3}r^3 \cdot \cos^3\theta \cdot \frac{1}{2r \cdot \cos\theta} \cdot \frac{4}{\pi \cdot r^4} = \frac{4}{3} \cdot \frac{P \cdot \cos^2\theta}{\pi \cdot r^2} \qquad (e)$$

وانا عوضنا $\cos\theta$ بما يساويها بدلالة y نجد :

$$\cos^2\theta = 1 - \sin^2\theta = 1 - \frac{y^2}{r^2}$$

$$\tau_{xy} = \frac{4}{3} \cdot \frac{P}{\pi \cdot r^2} \cdot \left[1 - \left(\frac{y}{r}\right)^2\right] , \qquad (f)$$

الشكل (١) نموذج ب

$$X_1 \delta_{11} + X_2 \delta_{12} + X_3 \delta_{13} + \cdots + X_n \delta_{1n} = -\delta_{1L}$$
$$X_1 \delta_{21} + X_2 \delta_{22} + X_3 \delta_{23} + \cdots + X_n \delta_{2n} = -\delta_{2L}$$
$$X_1 \delta_{31} + X_2 \delta_{32} + X_3 \delta_{33} + \cdots + X_n \delta_{3n} = -\delta_{3L}$$
$$\cdots\cdots\cdots\cdots$$
$$X_n \delta_{n1} + X_2 \delta_{n2} + X_3 \delta_{n3} + \cdots + X_n \delta_{nn} = -\delta_{nL}$$

المعينة المرجعية (أو معينة الحدود) لجملة المعادلات الخطية هي التاليه :

$$D = \begin{vmatrix} \delta_{11} & \delta_{12} & \delta_{13} \cdots \delta_{1n} \\ \delta_{21} & \delta_{22} & \delta_{23} \cdots \delta_{2n} \\ \delta_{31} & \delta_{32} & \delta_{33} \cdots \delta_{3n} \\ \cdots\cdots & \cdots\cdots & \cdots\cdots \\ \delta_{n1} & \delta_{n2} & \delta_{n3} \cdots \delta_{nn} \end{vmatrix} = \delta_{ik} \quad (i, k = 1, 2, \cdots, n)$$ حيث

معينات الصورة :

$$D_1 = \begin{vmatrix} -\delta_{1L} & \delta_{12} & \delta_{13} \cdots \delta_{1n} \\ -\delta_{2L} & \delta_{22} & \delta_{23} \cdots \delta_{2n} \\ -\delta_{3L} & \delta_{32} & \delta_{33} \cdots \delta_{3n} \\ \cdots\cdots & \cdots\cdots & \cdots\cdots \\ -\delta_{nL} & \delta_{n2} & \delta_{n3} \cdots \delta_{nn} \end{vmatrix}, \quad D_2 = \begin{vmatrix} \delta_{11} & -\delta_{1L} & \delta_{13} \cdots \delta_{1n} \\ \delta_{21} & -\delta_{2L} & \delta_{23} \cdots \delta_{2n} \\ \delta_{31} & -\delta_{3L} & \delta_{33} \cdots \delta_{3n} \\ \cdots\cdots & \cdots\cdots & \cdots\cdots \\ \delta_{n1} & -\delta_{nL} & \delta_{n3} \cdots \delta_{nn} \end{vmatrix}$$

$$D_3 = \begin{vmatrix} \delta_{11} & \delta_{12} & -\delta_{1L} \cdots \delta_{1n} \\ \delta_{21} & \delta_{22} & -\delta_{2L} \cdots \delta_{2n} \\ \delta_{31} & \delta_{32} & -\delta_{3L} \cdots \delta_{3n} \\ \cdots\cdots & \cdots\cdots & \cdots\cdots \\ \delta_{n1} & \delta_{n2} & -\delta_{nL} \cdots \delta_{nn} \end{vmatrix}, \quad D_n = \begin{vmatrix} \delta_{11} & \delta_{12} & \delta_{13} \cdots -\delta_{1L} \\ \delta_{21} & \delta_{22} & \delta_{23} \cdots -\delta_{2L} \\ \delta_{31} & \delta_{32} & \delta_{33} \cdots -\delta_{3L} \\ \cdots\cdots & \cdots\cdots & \cdots\cdots \\ \delta_{n1} & \delta_{n2} & \delta_{n3} \cdots -\delta_{nL} \end{vmatrix}$$

بواسطة معينات الصورة والمخرج نستطيع الحصول على المجاهيل بالشكل التالي :

$$X_1 = \frac{D_1}{D} \quad , \quad X_2 = \frac{D_2}{D} \quad , \quad X_3 = \frac{D_3}{D} , \cdots X_n = \frac{D_n}{D}$$

ان تسمية D بالمعينة المرجعية و D_n بمعينة الصورة هو أن الاولى لا تقع الا في مخرج والثانية في صورة علاقات حساب المجاهيل .

الشكل (١) نموذج جـ

علامات التكامـــل

ج لإجراء الجمع العادي

تعدل هكذا ∫ ← ∫ ← ∫ ← ∫

∫ لإجراء التكامل

∬ لإجراء التكامل المزدوج

∭ لإجراء التكامل الثلاثي

∮ لإجراء التكامل الدائري

Σ لإجراء تجميع الوحدات المتجانسة

الشكل (٢)

علامات التفاضل « الإشتقاق »

نقول "إيجازاً" فاضل الدالة ....
خذ « فا » كدالة للمفاضلة

$\delta_{س}$ فاضل بالنسبة للمتغير س

δ فاضل جزئيا

δ فضلة أو الزيادة القليلة

أي :

$$\frac{\delta\,\theta\,(س\,،\,ص)}{\delta\,س}$$

$$\frac{\delta\,\theta\,(س\,،\,ص)}{\delta\,ص}$$

حيث
θ دالة من المتغيرين
س ، ص

الشكل (٣)

$$[\text{هـ}][\text{د}] = [\text{ك}]$$

$$\begin{bmatrix} \text{ب} & \text{جـ} & \text{د} \\ \text{س} & \text{ص} & \text{ع} \end{bmatrix} \begin{bmatrix} \text{ب} & \text{س} \\ \text{جـ} & \text{ص} \\ \text{د} & \text{ع} \end{bmatrix} = \begin{bmatrix} (\text{ب}^2 + \text{جـ}^2 + \text{د}^2) & (\text{ب س} + \text{جـ ص} + \text{د ع}) \\ (\text{ب س} + \text{جـ ص} + \text{د ع}) & (\text{ب}^2 + \text{جـ}^2 + \text{د}^2) \end{bmatrix}$$

$$[\ \text{ب}\ ][\ 1\ ] = [\ \text{ب}\ ]$$

$$\begin{bmatrix} \text{س} & \text{ص} \\ \text{ص} & \text{س} \end{bmatrix} \begin{bmatrix} 1 & 0 \\ 0 & 1 \end{bmatrix} = \begin{bmatrix} \text{س} & \text{ص} \\ \text{ص} & \text{س} \end{bmatrix}$$

الشـــكل ٤

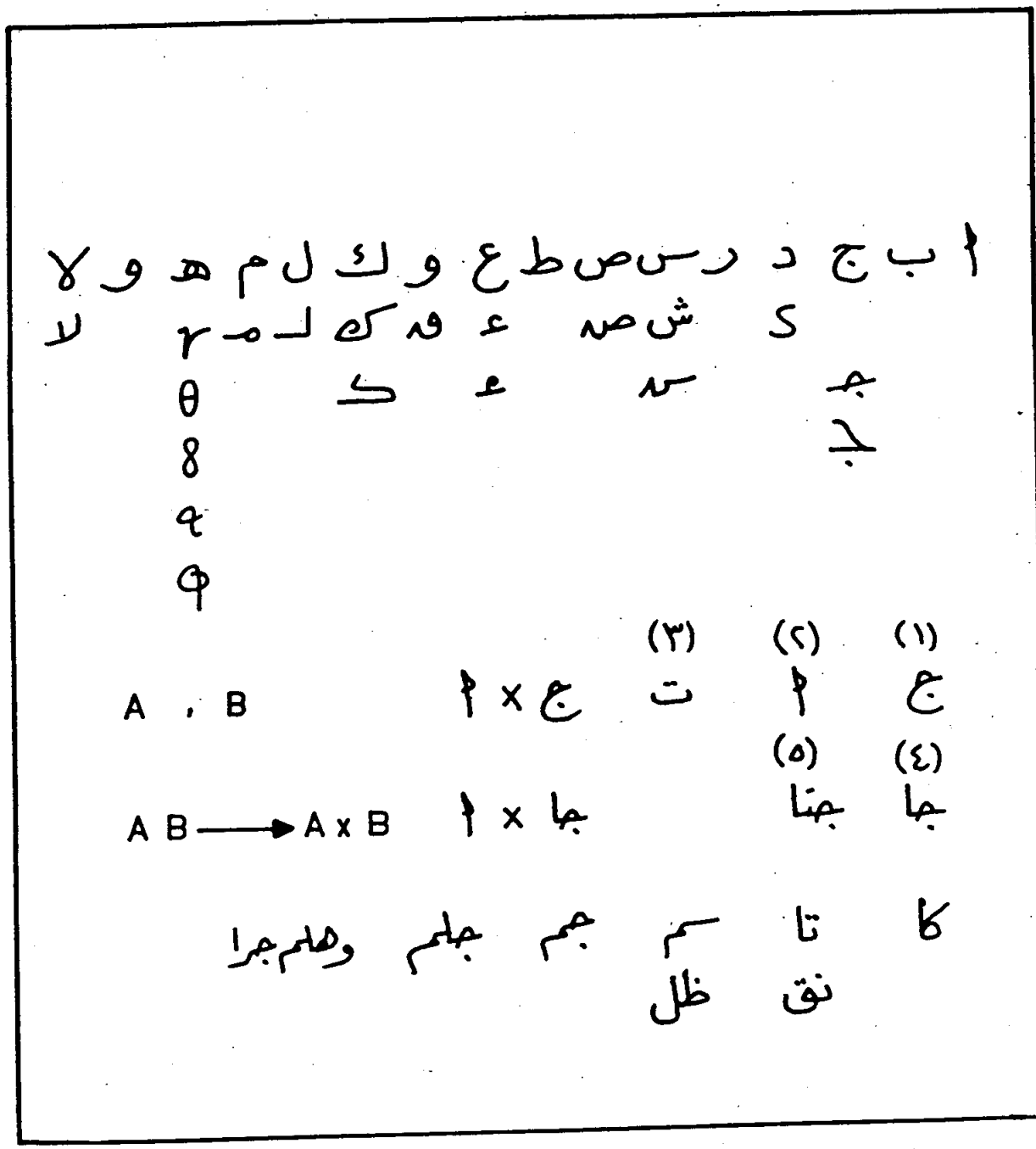
ا ب ج د ر س ص ط ع و ك ل م ه و لا
ك ش ص ء ف ك ل م ر لا
ج س ء ك θ
ج δ
q
φ
(١) (٢) (٣)
ج ا ت ج x ا A , B
(٤) (٥)
جا جنا ا x جا A B ⟶ A x B
كا تا سم جم جلم وهلم جرا
نق ظل

الشكل ٥

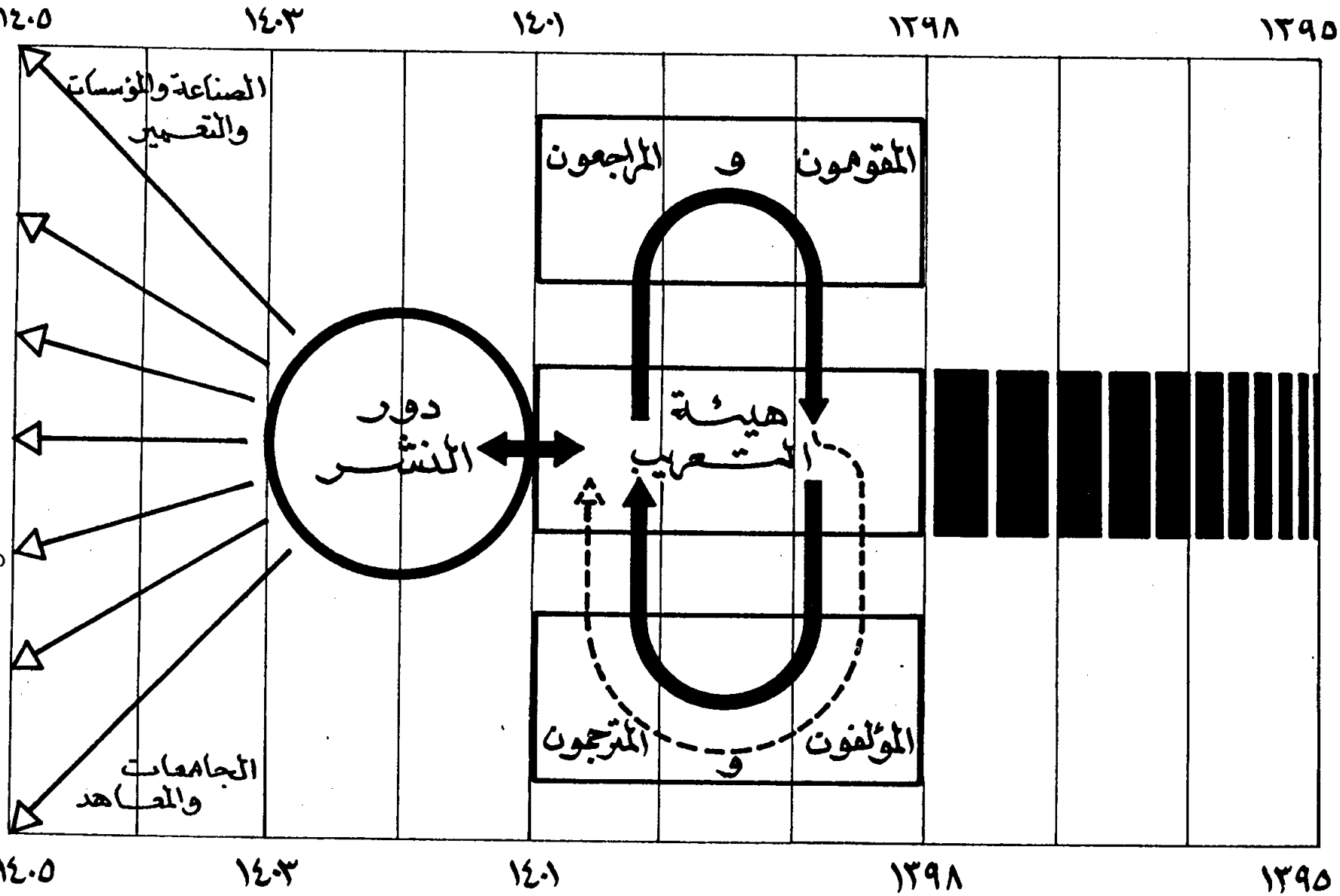

الشكل ٦ النشر

ثانياً : آراء ودراسات

تكوين الفكر العربي قبل الإسلام

- من اللغة -

الدكتور رشاد محمد خليل

(I)

مقدمة :

تدرس اللغة اليوم على اساس انها ظاهرة اجتماعية وقد دخلت فى مجال الدراسة الاجتماعية باعتبارها جزءا من علم الاجتماع العام ، وانشىء لدراستها فرع خاص فى علم الاجتماع يدرسها على اساس انها ظاهرة اجتماعية ، ويسمى هذا الفرع (علم الاجتماع اللغوى) .

كما تدرس فى نفس الوقت على انها ملكة انسانية ، وقد دخلت بهذا الاعتبار مجال الدراسات النفسية ، واصبحت دراستها جزءا من علم النفس العام ، وانشىء لدراستها فرع خاص فى علم النفس يدرسها على اساس نفسى ، ويسمى هذا الفرع : (علم النفس اللغوى) .

ويعرف اللغويون المحدثون اللغة بانها « نظام من الرموز الصوتية يعبر بها كل قوم عن اغراضهم » ، وهو تعريف يشير الى الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية من ناحية كما يشير الى وظيفة اللغة الاجتماعية من ناحية اخرى .

فدراسة اللغة فى ذاتها تعنى دراسة بنيتها من جوانبها الصوتية والتركيبية والمعجمية .

ودراسة اللغة فى علاقتها بالمجتمع تعنى دراسة علاقة اللغة بالجوانب الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية فى مجتمع بعينه من ناحية ، ومدى تأثير هذه الجوانب على بنية اللغة وتطورها من ناحية اخرى(1).

وقد درست اللغة العربية قديما دراسة مستفيضة من حيث بنيتها نحوا وصرفا وتركيبا ومعجما ، ولكن دراسة بنيتها فى ضوء علوم اللغة الحديثة ما زالت متعثرة ، تقوم على بعض الجهود الفردية المتناثرة هنا وهناك ، كما تقوم على الاجتهادات الفردية ايضا ، ويمكن القول ان دراسة اللغة العربية دراسة حديثة نحوا وصرفا وتركيبا ومعجما لما تكد تبدأ ، لان محور

(1) اللغة العربية عبر القرون ، محمود حجازى ص 4

الدراسة لما يزل عرضا للدراسة القديمة ، او نقدا لها او دفاعا عنها ، وذلك فى الاعم الاغلب ·

اما دراسة اللغة العربية فى علاقتها بالمجتمع باعتبارها ظاهرة حضارية فانها تكاد تكون فى حكم المعدومة ، واقول فى حكم المعدومة لان الدراسات التى تناولت اللغة العربية كظاهرة حضارية لم تكن دراسات بالمعنى العلمى ، وانما كانت فى العديد منها ستارا علميا يراد من ورائه تصوير العرب بصورة المتخلفين عقليا وحضاريا ، ثم تأييد هذا التصور بجعله تكوينا اساسيا يظهر اثره فى تركيب لغتهم ويفسر بطبيعة الجنس حينا وجبرية البيئة حينا لكنه ايا كانت التفسيرات لا يصدق عليهم وعلى لغتهم كيفما كانوا ، وصف التخلف ·

ومما هو جدير بالاسف حقا ان هذه الدراسات المشبوهة قد اثرت فى الفكر العربى الحديث تأثيرا عميقا ، وظهر هذا الاثر فى كثير من الابحاث العربية التى اعتبرت نتائج هذه الدراسات مسلمات تنطلق منها ابحاثهم ·

ومن امثلة هذه الدراسات التى تنتهى الى احكام قطعية متعضة ، ما ذهب اليه رينان من ان « الجنس السامى اذا قوبل بالجنس الهندى الاوربى يعتبر حقا تركيبا ادنى للطبيعة الانسانية » (2) « فالدين واللغة عندهم لم ينشا بجهد عقلى . . وليس هناك شىء يخترع » (3) والوجدان السامى « واضح لكنه محدود » (4) والاسلوب السامى ينقصه نقصانا تاما الرؤية عن بعد ، وذلك بان اللغات السامية مبسوطة بسطا ، ولا تأخير فيها ولا تقديم ، فهى لا تعرف من طرائف التعبير غير قرن الافكار بعضها ببعض » (5) « انه ينقص الساميين عامة احدى درجات التراكيب التى نعتبرها ضرورية للتعبير عن الفكر تعبيرا كاملا فاقصى ما يعنون به ضم الكلمات فى جملة واحدة ، وهم لا يفكرون فى ضم الجمل نفسها بعضها الى بعض ، فاسلوبهم كما يقول ارسطوطاليس هو الاسلوب اللانهائى ، الذى يتبع طريقة الجزئيات المتراكمة التى تتعارض والجملة الكاملة فى تجانسها والمعروفة فى اليونانية واللاتينية ، فالشىء عندهم فى البلاغة ، كما هو الحال فى المعمار ، هو الزخرفة العربية المعروفة (6) ·

ويكرر جوتييه نفس الافكار تقريبا ولكنه يفسرها بالجبرية البيئية بدلا من طبيعة الجنس ، فالذى يميز الشعب العربى هو « تفصيل الطرفين ، وقرن الاضداد، والمتشابهات بالاولى ، والانتقال من هذا الى ذاك انتقالا فجائيا اما الميز للعبقرية الآرية فهو التقريب التدريجى بين الاضداد ، ووصلها بعضها ببعض وصلا متناسقا بفضل ما يضعه بينها من الاطراف الوسطى المختارة بمهارة فهو الوحدة فى الاختلاف ، وهو الشعور بالتنوع والتدرج المتوالى داخل سلسلة منسقة تنسيقا منتظما (7) ·

اما اوليرى فيرى انه مما لا فائدة منه ان تدعى ان تاريخ الفلسفة العربية يرينا ضعفا فى اصالة العقل السامى ، لسبب واحد هو اننا لا نجد واحدا من فلاسفة المرتبة الاولى بعد الكندى عربيا بمولده ، وقليل منهم يمكن ان يوصف بانه سامى وقد يكون اكثر دقة ان نقول ان الفلاسفة الاغريق قد تفردوا حتى وقت متاخر جدا بمحاولة اى شىء يصدق عليه انه دراسة نفسية علمية (8) ·

ومن امثلة العرب من معاصرينا الذين اخذوا هذه الاحكام المعتسفة مسلمات بنوا عليها دراستهم هو احمد امين فهو يردد ان « الخيال العربى ، محدود غير متنوع » اما عقليته فتتميز « بعدم القدرة على فهم الارتباط بين العلة والمعلول ، والسبب والمسبب فهما

---

(2) المدخل ص 63 ·
(3) الفكر العربى فى التاريخ ، اوليرى ترجمة تمام حسان ص 150 ، 151 ·
(4) فجر الاسلام ، احمد امين ص 39 ·
(5) فجر الاسلام ص 42 ·
(6) فجر الاسلام ص 42 ·
(7) المدخل ص 63 ·
(8) الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ، اوليرى ترجمة تمام حسان ص 150 و 151 ·

تاما » (9) « وطبيعة العقل العربى لا تنظر الى الاشياء نظرة عامة شاملة ، وليس فى استطاعتها ذلك » (10) « ونظرته سطحية اذا نظر الى الشيء الواحد لا يستغرقه بفكره » (11) « فالعقل العربى تركيبى لا تحليلى ، وانه يعنى بالجزئيات ولا يحفل بالكل ، وهو لذلك عرف ادب المثل ولم يعرف القصة ، والفرق بين التركيب والتحليل يتضح فى هذين النوعين من الانواع الادبية · فالمعنى الكبير يمكن تركيزه فى المثل الذى لا يتجاوز السطر ، وهذا المعنى نفسه يمكن ان يصور فى قصة طويلة ، المثل عملية تجريد وتركيب ، وفى القصة على العكس يحدث تشخيص وتحليل وتفصيل » (12) ثم يفصل القول فى تطبيق هذه الاحكام على لغة العرب وآدابهم ·

واحدث الدراسات التى تابعت نفس الاتجاه دراسة عز الدين اسماعيل فى كتابه « الاسس الجمالية للنقد العربى » فقد ردد فيه نفس الافكار عن النظرة الجزئية ، والعقلية التركيبية ، وفسر ذلك بالحرارة والمناخ ، والدائرة المغلقة فى الصحراء ، فالحرارة والمناخ يفسران ظاهرتى الثبات على التقاليد والتكرار ، والصحراء والحرارة ودائرة الافق المغلق تفسرهما ايضا وتفسر معهما الشعور باللامحدود واللانهائى ، كما تفسر لنا وحدة البيت فى القصيدة ، وتفسر تفكك القصيدة كما أن طبيعة العقل العربى التركيبية تفسر لنا اهتمامه بالبيت الواحد دون القصيدة والنظرة التجريدية فى طبيعة هذا العقل تفسر لنا عدم عنايته بالتفصيلات واكتفائه بالخطوط الاساسية ، بل ان من دلالات النظرة التركيبية فى طبيعة العقل العربى ما عرف عن قدرته على اللمحة الفكرية دون الفكرة الكلية (13) ·

على أن هناك ايضا أحكاما قطعية تعسفية على طبيعة العقلية العربية قبيل الاسلام ، ليس مصدرها المستشرقين ولم تكن على اساس من الدراسة اللغوية وانما مصدرها علماء ومفكرون مسلمون ساقوها فى معرض الدفاع عن الاسلام وابراز فضله على العرب ابتداء من ابن خلدون الى محمد عبده وعباس العقاد ومحمد البهى ومحمد حسن الباقورى · فابن خلدون يذهب الى ان جملة العرب كانوا « اهل بغى والحاد. وقطع للارحام ، وتنافس فى الردى ، واعراض عن ذكر الله ، فكانت عبادتهم الاوثان والحجارة ، واكلهم العقارب والخنافس والحيات والجعلان واشرف طعامهم اوبار الابل اذا امروها فى الحرارة فى الدم ، واعظم عزهم وغادة على آل المنذر وآل جفنة ، وبنى جعفر ونجعة من ملوكهم ، وانما كان تنافسهم المؤودة والسائمة والوصيلة والحامى » (14) ·

ويرى محمد عبده أنه « قد بلغ العرب من بخافة العقل حدا صنعوا فيه أصنامهم من الحلوى ثم عبدوها ، فلما جاعوا أكلوها ، وبلغوا من تضعضع الاخلاق وهنا قتلوا فيه بناتهم تخلصا من عار حياتهن ، او تنصلا من نفقات معيشتهن وبلغ الفحش فيهم مبلغا لم يعد معه للعفاف قيمة » (15) ·

وهو يرى ان الاسلام جاء قوة فى قلب الضعف ، وسلطانا فى مظنة العجز وعلما فى وسط امية ، ورشادا فى غمرات الجاهلية (16) ·

أما العقاد فيذهب الى ان حرية العرب قبل الاسلام « هى حرية مصدرها كمصدر الحرية التى تتمتع بها الاوابد فى الخلاء ، او تتمتع بها الطير فى الهواء وعلتها انها حرية مصدرها قلة المنازعة عليها لا قوة المبادىء التى تدعمها وتحميها ، فليست هى حقا من الحقوق ، ولكنها مال همل مباح لقلة الراغبين فيه ، وغيبة المنتفعين بالعدوان عليه » (17) ويقول « نشأت

(9) فجر الاسلام ، احمد امين ص 39 ·
(10) فجر الاسلام ص 42 ·
(11) فجر الاسلام ص 42 ·
(12) فجر الاسلام ص 61 ·
(13) انظر الاسس الجمالية ص 283 الى 288 ، ص 279 الى 282 ·
(14) تاريخ ابن خلدون ج 2 ص 167 — 168 ·
(15) رسالة التوحيد ، محمد عبده ص 180 ·
(16) نفس المصدر ، ص 191 ·
(17) الديمقراطية فى الاسلام ، العقاد ص 27 — 28 ·

الدعوة الاسلامية فى بيئة مريضة بأدواء العصبيات وضروب الضلال فى اختلاط العبادات والخرافات فلو جرت الاسباب التى تدركها فى مجراها المعهود ، فالدعوة التى تأتى من قبل هذه البيئة لن تدعو الى اله واحد يتساوى لديه جميع الناس ، ولن تمنح الانسان حقا واحدا يتساوى فيه جميع الناس » (18).

ويذهب محمد البهى الى أن العرب قبل الاسلام كانوا قوما امميين فى ضلال مبين ، وانهم لم يكونوا اصحاب حضارة (19) .

أما الباقورى فيذهب الى القول بأنه فى جزيرة العرب « عاشت أمة جاهلية فكانت فى جملتها أذل الناس ذلا ، واشقاهم عيشا ، وابينهم ضلالة ، واعراهم جلودا واجوعهم بطونا ، معكومين على راس حجر ، بين الاسدين فارس والروم . . والله ، ما نعلم امة فى حاضر الارض كانت اصغر حظا وادق شانا منهم ، حتى جاء القرآن فنقلهم من الذلة الى العزة ، ومن الشقاء الى السعادة » (20) .

وليس يهم فى ميزان العلم الصحيح أن تصدق هذه الاحكام على عقلية العرب ولغتهم أو لا تصدق ، وانما المهم بمقياس العلم الصحيح أن تصح هذه الاحكام أو يصح غيرها نتيجة دراسة منهجية دقيقة غير متحيزة ولا متحاملة للتراث الوحيد الذى خلفه لنا هؤلاء القوم محط الحكم والتقدير — وهو اللغة ، فاللغة وحدها هى كل ما خلفه هؤلاء الناس من تراث ، اذ لم يتركوا لنا أثرا باقيا مما يعتده المؤرخون من وثائق معتمدة للبحث التاريخى مثل الاوراق والبرديات والنقوش والعمائر ، والتماثيل . . الخ . هذه الوثائق .

واقصد بالعرب الذين ظهر الاسلام بين ظهرانيهم، لا اصعد فى تاريخهم جنوبا الى حضارات اليمن ، ولا شمالا الى حضارات الشمال اقصد عرب الحجاز ونجد بالتحديد ، فلغتهم هى التى بقيت لنا ، وهم الذين قدموا لنا الاسلام .

ومهمة هذا البحث هى الكشف عن تكوين العقل العربى من خلال تراثهم اللغوى ، وذلك لتبين وجه الحق فيما ذكره مستشرقون وباحثون عرب ومسلمون عن طبيعة العقلية العربية ، وطبيعة اللغة العربية ، ولكشف المناخ الفكرى الذى ظهر فيه الاسلام من ناحية ثانية ، ولكشف الاساس الفكرى الذى يقوم عليه بناء اللغة العربية وتركيبها من ناحية ثالثة .

اعمل ذلك اقتناعا منى بانه من اوجب الواجبات علينا فى هذه المرحلة الدقيقة من تريخ أمتنا ، أن نعيد النظر فى التصورات المقررة حاليا لتاريخ هذه الامة وحضارتها وفكرها ، حتى نعرف انفسنا معرفة دقيقة ، لا تنهض على أساس من افكار وآراء ومسلمات بنيت على دراسات سريعة غير مستوعبة وتقوم على سوء الفهم أو سوء النية .

واعمل ذلك اقتناعا منى بأن كشف مناخ الاسلام جزء اساسى من فهمه ، والاسلام وهو دين الله الحق ، لا يقلل من مكانته ، ولا يهون من شانه قط ، ان تظهر الدراسة العلمية أن القوم الذين ظهر بين ظهرانيهم كانوا اهل فكر مستنير ولعل العكس هو الصحيح لانه قد يفسر لنا اشياء فى حركة الاسلام وانتشاره ما تزال مستعصية على التفسير .

واعمل ذلك اقتناعا منى بأن فهم الاساس الفكرى للبنية اللغوية ، ضرورى لفهم اسلوبها وطبيعة تراكيبها ويعين من ثم على تحديد الاسلوب السليم الذى تتطور به وتنمو وتتجدد فى اطار تركيبها الاساسى، وفى ضوء خصائصها الذاتية .

وقد بنيت هذه الدراسة على اساس من دراسة تاريخ اللغة وتطورها لكشف مدى اصالتها ومدى عراقة الفكر العامل فيها ، ثم دراسة بعض الخصائص ذات الدلالة المحددة على طبيعة الفكر ومستواه من جهة ، وذات الدلالة على اسلوب اللغة ومنهجها فى البناء والتطور والنمو ، ثم دراسة تطبيقية على الشعر القديم (الجاهلى) لمتابعة اطراد الظواهر اللغوية ، واسسها الفكرية فى اساليب التعبير الفنى شكلا ومضمونا يضاف الى ذلك دراسة معجمية للشعر القديم

---

(18) عبقرية محمد العقاد ص 24 .
(19) الفكر الاسلامى الحديث ، البهى ص 223 — 224 .
(20) اثر القرآن فى اللغة العربية ، الباقورى ص 9 .

(الجاهلى) حول قضايا الفكر الاساسية وهى : الله ، الوجود ، النفس ، الاخلاق — مع مقارنة تصور الفكر العربى لهذه القضايا بتصور الفكر الاغريقى والمدارس التى تاثرت به على طول تاريخ الفلسفة القديمة قبل الاسلام ، ثم بيان موقف الاسلام من التصور العربى فى هذه القضايا .

وفى ضوء هذه الدراسة الشاملة المتكاملة يمكن فقط الحكم على اللغة العربية والعقلية العربية بمنطق العلم وموازينه . وايا كانت الصورة التى تكشف عنها الدراسة ، فانها ضرورية ليس فقط لبيان وجه الحق فى طبيعة اللغة العربية والعقلية العربية بل للكشف كذلك عن أصالة الفكر العربى ، وأصالة منابعه ، وأصالة مناهجه ، وطبيعة الدور الذى اداه للانسانية عبر التاريخ .

وعلى الله قصد السبيل .

رشاد محمد خليل

*

البـــاب الاول

القســـم الاول

تطـــور اللغـــة وخصائصهـــا

الفصـــل الاول :

أ ــ التطـــور اللغـــوى :

تبدو اللغة العربية التى نـــزل بهـــا القـــرآن وروى بها الشـعر القديم . ودونت فى المعاجم اللغوية ؛ وكأنها قد ظهرت الى الوجود فجأة ، تامة التكوين ، ناضجة الاساليب . مما دفع عددا من اللغويين القدماء الى أن يتصورها لغة مقدسة هبط بها الوحى ، او تجلى بها الالهام على قلوب اصحابها (1) كما دفـــع ذلك احد المستشرقين المحدثين ؛ وهـــو المستشرق الالمانى (فولرز Vollers) الى القول بأن اللغـــة العربية الفصحى لغة صناعية ، ولم تكن يوما من الايام لغة كلام ومخاطبة (3) .

لكن الدراسات الحديثة قد استطاعت ان تصل هذه اللغة التى لم يكن يعرف لها تاريخ ابعد من قرنين من الزمان قبل نزول القرآن ــ الى ما قبل عام ــ 2500 ق . م اى ما قبل الاسلام بأكثر من 3000 سنـــة ، وهـــذا التـــاريخ ، هو تاريخ اقدم نص اكدى ، والاكدية احدى اللغات الميتة التـــى كشفت عنها وعن غيرها البحوث الاثرية فى منطقة الشرق الادنى والتى عكف الباحثون على دراستها ، وتبين لهـــم فى اللغات الســامية وجود خصائص مشتركة بين بعضها البعض ، وبينها وبين بعض اللغات الحية كالعربية والعبرية والحبشية مما دفعهم الى افتـــراض اصـــل مشترك بين هذه اللغات جميعا سموه اللغة الســامية الام ، واطلقوا على مجموعة اللغات التى تشترك فيه اسم اسرة اللغات الســامية وهى تضم العربيـــة والاكادية والكنعانية والحبشية والآرامية . وتشتمل اللغة الكنعانية على اللغات الاوغاريتيـــة والعبريـــة والفينيقية ، وتسمى اللغة الفينيقية فى امتدادها الافريقى اللغة البونية ، كما تشتمل اللغة الآرامية على اللهجتين السريانية والنبطية ، وتشتمل اللغـــة العربيـــة على العربية الجنوبية (لغة اليمن) والعربية الشماليـــة (لغة الحجاز ونجد) (3) .

---

(1) المزهر للسيوطى ج 1 ص 30 : 35 فقه اللغة لابن فارس ص 5 ــ 6 .

(2) بنرك فلزر K. Vollers فى كتابه :
Volkssrache und schript
Sprachelmelten Arabien ; Strassburg ; 1905

(3) اللغة العربية عبر القرون ص 16 ــ 23 . انظر العربية ليوهان فك ، ترجمة محمد عبد الحليم النجار ، وانظر اللغات السامية لفؤاد حسنين .

ومعنى هذا ان اللغة العربية ظلت لغة حية تنمو وتتطور على طول ما يزيد كثيرا على 3000 آلاف سنة محتفظة فى رحلتها الطويلة هذه بأقدم خصائصها اللغوية مما جعل اللغويين ينظرون اليها اليوم على انها اقدم اللغات السامية ، واقربها الى اللغة السامية الام (4) ·

و « يعرف الباحثون اليوم عددا من الالفاظ المشتركة فى كل اللغات السامية نجدها فى العربية والاكاديمية واللغات الكنعانية والآرامية بجانب العربية الجنوبية والحبشية وكان هذه الكلمات هى المعجم الاساسى البسيط الذى كان يستخدمه الساميون القدماء والذى ورثته كل لغة من اللغات السامية عن اللغة الام · يضم هذا المعجم الاساسى الالفاظ الدالة على اعضاء الاسرة فكلمات الاب والام والاخ والاخت والعم كلمات مشتركة فى كل هذه اللغات والكلمات الخاصة بأعضاء جسم الانسان مثل العين والانف والرجل والشعر واليد والاذن والراس الفاظ نجدها مشاعا فى كل اللغات السامية وهذه الالفاظ دون شك هى ميراث قديم عند ما حاولت هذه الجماعات من البشر أن تسمى علاقات الاسرة وان ينظر كل واحد الى اعضاء جسده · وهناك عدد آخر من الكلمات المشتركة الموروثة فى اللغة السامية الام تعبر عن اسماء بعض الحيوانات منها ليث وكلب وعجل ، هذا وقد عرفت بيئة الساميين الاوائل نوعا من الزراعة ، الامر الذى جعل بعض الكلمات الزراعية من المعجم الاساسى المشترك فى كل اللغات السامية وهذه مثل كمون ، سنبلة ، قمح ، ثوم ، وبجانب هذا وذاك فالاعداد شىء مشترك فى هذه اللغات ونعنى بها الاعداد من 1 : 1000 فالساميون القدماء لم يعرفوا كلمة للمليون بل قال العرب مثلا الف الف · اما فى محيط الافعال فهناك أفعال كثيرة مشتركة فى اللغات السامية مثل : ملك .. قتل ، كتب ، هذه الالفاظ اذن من اقدم الالفاظ فى العربية واذا نظرنا الى النقوش الاكادية المؤرخة فى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد وجدنا فيا هذه الكلمات ، هاجر بها الاكاديون قبل هذا التاريخ من مهد الساميين الى أرض الرافدين· معنى هذا ان عمر هذه الالفاظ اكثر من خمسة واربعين قرنا » (5) ·

وتكشف لنا هذه المجموعة من الالفاظ على قلتها عن شىء بالغ الدلالة بالنسبة للشعوب التى يطلق عليها الشعوب السامية بما فيها الشعب العربى ، وهو أن هذه الشعوب قد جاوزت طور المرحلة البدائية منذ هذا التاريخ البعيد الذى يرجع الى ما قبل الميلاد بأكثر من 2500 سنة « ففى الامم البدائية الضعيفة التفكير ، المنحطة المدارك تغزر الكلمات الدالة على المحسات والامور الجزئية ، وتنعدم او تقل الالفاظ الدالة على المعانى الكلية ، وتخلو دلالة المفردات من الدقة والضبط فيكثر فيها الخلط واللبس والابهام وتخلوا القواعد أو تكاد تخلو من ظواهر التحريف والاشتقاق وربط عناصر الجملة ، والعبارة بعضها ببعض ، ويضيق متن اللغة فلا يتسع لاكثر من ضروريات الحياة وفى كثير من الامم البدائية ينعكس فى اللغة من مظاهر الاضطراب والابهام ما تمتاز به عقليات الناطقين بها من سذاجة وتصور ، حتى انها لا تكاد وحدها تبين عن معنى واضح دقيق ، وحتى ان اهلها انفسهم ليضطرون فى اثناء حديثهم الى الاستعانة بالحركات اليدوية والجسمية لتكملة ما ينقص تعبيرهم وما يعوزه من دلالة · فقد روى عن قبائل (البوشيمان Bochiman) عشائر بدائية تسكن جنوب افريقية) انهم اذا ارادوا المحادثة ليلا يضطرون الى اشعال النار ليتمكنوا من رؤية الاشارات اليدوية والجسمية التى تصحب كلامهم فتكمل ناقصه وتوضح مدلولاته (6) ويقرر علماء الاثنوجرافيا الذين عنوا بدراسة السكان الاصليين بأمريكا واستراليا وافريقية ان عقليات هذه الشعوب لا تكاد تدرك المعانى الكلية فى كثير من مظاهرها ، وان هذا القصور العقلى كان له صدى كبير فى لغاتهم فلا نكاد نجد فى كثير منها لفظا يدل على معنى كلى · ففى لغة الهنود الحمر مثلا لا يوجد لفظ للدلالة على شجرة البلوط ، ومن باب أولى لا يوجد اى لفظ للدلالة على الشجرة على

---

(4) نفس المصدر ص 20 ·
(5) اللغة العربية عبر القرون 24 — 25 ·
(6) Rilot : L'Evolution desldéas, P 78

العموم · وفى لغة الهورولين Hurons) من السكان الاصليين لامريكا الشمالية) يوجد لكل حالة من حالات الفعل المتعدى لفظ خاص بها ، ولكن لا يوجد للفعل نفسه لفظ يدل عليه ، فيوجد لفظ للتعبير عن الاكل فى حالة تعلقه بالخبز ولفظ آخر للتعبير عنه فى حالة تعلقه باللحم ، وثالث فى حالة تعلقه بالزبد ، ورابع فى حالةتعلقه بالموز . . وهكذا ، ولكن لا يوجد فعل ولا مصدر للدلالة على الاكل على العموم او الاكل فى زمن ما (7) · ولغة السكان الاصليين لجزيرة نسماينا (بقرب استراليا) لا يوجد بين مفرداتها لفظ يدل على الصفة فاذا ارادوا وصف شيء لجأوا الى تشبيهه بآخر مشتمل على الصفة المقصودة فيقولون مثلا : « فلان كشجرة كذا » اذا ارادوا وصفه بالطول (8) . . « فهو » (9) الظواهر التى تلاحظ فى اللغات البدائية قد اختفت منذ هذا العهد السحيق ، فظهور الاسماء الكلية بالنسبة لاسماء بعض الحيوانات او بعض النباتات او بعض الافعال وكذلك ظهور الاعداد من 1 : 1000 يعنى ان اللغة قد دخلت فعلا فى مرحلة حضارية · كما ان ظهور فعل كتب بالذات له دلالته التى لا تخفى على تقدم هذه المرحلة ·

على أن ذلك لا يعنى ان الدراسات السامية الحديثة قد استطاعت ان تزيح الغموض الشديد الذى يلف تاريخ تطور اللغة العربية حتى تاريخ ازدهارها فى القرنين السابقين على الاسلام · وذلك لان هذه اللغة لم تتطور وتنم عن طريق الكتابة او على ايدى المدرسين · وانما نمت وتطورت حتى ازدهارها فوق الرمال المتحركة عن طريق الحفظ والتلقين ، والتدريب الاجتماعى جيلا بعد جيل ، مما جعلهم يعتزون بالرواية الشفهية الى ابعد الحدود حيث انها كانت الوسيلة الوحيدة لحفظ تراثهم وتاريخهم ولغتهم وحضارتهم ، وحتى راينا هذا الحب يترك اثره الواضح حتى بعد انتشار الكتابة وعصر التدوين مما جعل سلسلة الاسناد بالرواية الشفهية يدخل فى امهات الكتب المدونة فى مختلف فروع العلوم ، وحتى راينا العلماء ولا يجيزون مع الرواية الشفهية اذا صح اسنادها ، الرواية من صحيفة مكتوبة ، ولا الرواية عن صحفى يعتمد على الصحف المكتوبة (10) ·

على ان هذا التاريخ الغامض الشديد الغموض قد ترك لنا بعضا من الآثار التى يمكن أن تلقى الضوء على هذا التطور فى بعض مراحله وهذه الآثار هى :

1 ــ النقــوش :

كشفت لنا جهود الباحثين فى المائة عام الماضية عددا كبيرا من النقوش العربية الشمالية المبكرة ، وصلتنا فى الفترة الزمنية بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادى ، وليست هذه النقوش هى اقدم شيء وصلنا بالعربية ، فقد ذكرت النقوش الاكادية التى دونت فى العراق القديم عددا من اسماء الاعلام العربية ، وقد قام بعض الباحثين بدراسة هذه الاسماء واثبتوا انها أعلام عربية ، ويبدو ان هذه النقوش قد دونت بين 553 ــ 626 ق · م ولكن هذه الاسماء لقلتها لا تقدم لنا معلومات مجدية عن طبيعة اللغة العربية فى تلك الفترة ·

اما النقوش الثمودية والصفرية واللحيانية فتعتبر من اهم مصادرنا للتعرف على المرحلة المبكرة فى تاريخ العربية ، وقد وجدت هذه النقوش فى اماكن كثيرة من المنطقة شبه الرعوية بين صحراء الجزيرة العربية والمناطق الزراعية فى الشام والعراق وكذلك فى شبه جزيرة سيناء ، وتختلف هذه النقوش من ناحية جودة الكتابة ووضوحها ، فبعضها كتب بعناية ودقة واهتمام والبعض الآخر كتبه أفراد بسطاء دون اهتمام بالرونق والجمال ويطلق على النوع الاخير اسم الجرافيتى او المخربشات · وكل هذه النقوش مدونة بخط يشبه الى حد ما الخط المسند الذى عرفته الصحف فى عصورنا القديمة ، ويختلف شكل الخط المسند عن الخط العربى الشمالى اختلافا اساسيا ، ولكن هذا وذاك يشتركان فى خاصية واحدة فقد عنوا بالاصوات الساكنة دون حركات قصيرة فنحن نكتب الكاف والتاء والباء للتعبير عن كتب وكتب وكتب . . الخ · وشبيه

(7) Rilot... ; P 110
(8) Rilot... ; P 204
(9) اللغة والمجتمع ، عبد الواحد ص 14 : 17 ·
(10) طبقات ابن سلام ص 6 ·

بهذا ما عرفناه فى هذه النقوش فهى كتابة لا تعير الحركات القصيرة حظها من الاهتمام ، ومن ثم كان استخراج الظواهر اللغوية من هذا الهيكل الكتابى صعبا فى بعض الظواهر مستحيلا فى بعض الظواهر الاخرى ·

تعرف النقوش الثمودية عددا كبيرا من الظواهر التى نعرفها فى العربية ، ففيها وفرة من الافعال التى نعرفها فى العربية حق المعرفة مثل : علم حل بات رعى رهب بان كتم رد عشق ، وتعرف النقوش الفعل بوزن فاعل مثل : ساعد وبوزن افعل مثل ابتر ، وتعرف النقوش الثمودية كذلك عددا من حروف الجر مثل الى والباء وفى ومن واللام ، وعددا آخر من المفردات الشائعة فى العربية مثل جمل فاتة فرس وعل فلان فلانة آل اسير اسد ذكر حزم ظلم نصر · نقم سلامة سعادة ، وهناك عدد من اسماء الاعلام العربية وردت فى النقوش الثمودية مثل احمد وبدر ووائل وزيد وحليم وطاهرة وظريف وكلب ولبيد ومطر ومكين وحضر ومروان ونوفل وضيف وامين وشهر ، فكل هذه الظواهر والكلمات التى نعرفها اليوم وردت فى النقوش الثمودية التى يؤرخها معظم الباحثين من القرن الرابع او الثالث قبل الميلاد والى القرن الثالث الميلادى ، وهكذا نجد أن عمر كثير من الظواهر فى العربية يرجع على اقرب تقدير الى هذه الفترة ·

اما النقوش الصفرية ففيها ظواهر كثيرة تجعل الباحثين يقررون انها تمثل لهجة عربية شمالية فنجد فيها الافعال : ندم وتشوق ولعن ونهل وسمع وعور وقتل ورعى ، ومن الاسماء الشائعة فيها : فرس حنان ضال خيل خال خمسة كبير ملك معزى سطر عشيرة ضيف رواح قبر ضريح · وبجانب هذا يوجد عدد كبير من اسماء الاعلام العربية ترد فى هذه النقوش مثل اذنيه جمال همام وهب ورد حبيب سالم سميع سرى سعد غانم فهر صباح تيم معن ..

اما المجموعة الثالثة من النقوش فهى النقوش اللحيانية ، وهذه النقوش تعرفنا كثيرا من الخصائص التى تجعل الباحثين يدرجونها فى اللهجات العربية المبكرة ولنقرأ فيها الاسماء الآتية : عبد ، رب ، يوم ، بيت ، راى ، عرض ، نعم ، ملك ، صام ، مراة ، شيمة ، حرة ، غلام ، وهذه الالفاظ مما نعرفه فى العربية ·

وهناك أوجه خلاف بينها وبين العربية التى نعرفها فوزن هفعل يستخدم فى اللحيانة ضمن اوزان التعدية ونحن نعلم ان العربية تعرف مقابل هذا وزن افعل مثل اذهب اكرم ، اما وزن هفعل فنجده فى النقوش اللحيانية فى الفعل همتع اى متع بالصحة ، وهذا الوزن غريب عن العربية · وفوق هذا فاداة التعريف فى النقوش اللحيانية هى الهاء على نفس النحو الذى نعرفه فى اللغة العبرية ، هذا ولم تكن الجماعات السامية القديمة فيما يبدو تستخدم اداة للتعريف فطورت كل لغة سامية وسائلها الخاصة بها للتعريف فال فى العربية تقابل الهاء فى العبرية · اما الآرامية فعرفت الفتحة فى آخر الاسم وسيلة لتعريفه ·

وفوق هذا وذاك فكل النقوش الصفوية والثمودية واللحيانية تشترك فى عدد من الخصائص اللغوية الاساسية التى تاخذها من كتاب اتهم بامكانياتها التعبيرية المحدودة مما يجعلنا نقول انها من اللهجات العربية المبكرة · غير ان اللهجات لا تمثل العربية الفصحى المتطورة التى وصلتنا فى الشعر الجاهلى والقرآن الكريم · فهناك فرق بين وجود بعض الظواهر اللغوية الصرفية او المعجمية المشتركة وبين كون هذه النقوش مرحلة فى طريق التطور الطويل الذى عرفته العربية من العهد السامى القديم قبل القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد وحتى وصلت فى الشعر الجاهلى الى مستوى رفيع ·

وليس الثموديون والصفويون واللحيانيون وحدهم هم اصحاب النقوش التى وجدناها فى صحراء الشام والعراق ، فالنبط ايضا شعب عربى ونعرف هذا من اسماء الاعلام عندهم ولكنهم لم يكتبوا بالعربية وكتبوا بالآرمية وهى لغة الحياة الدولية آنذاك ، ولكن للنبط اهمية كبرى فى تاريخ العربية وخطوطها فالنبط هم من علموا العرب كيف يكتبون ، والخط النبطى هو صورة متطورة عن الخط الآرامى وهو أساس الخط العربى وقد استطاع الباحثون فى تاريخ الكتابة تتبع المراحل التى تطورت بالخط عبر النبط حتى وصل الى الصورة التى نعرفها فى أقدم النقوش المدونة بالخط العربى الشمالى واقدم هذه النقوش المدونة بالخط

العربى نقش زيد المؤرخ سنة 512 م ، ونقش حوران سنة 568 م ، ونقش أم الجمال الذى يؤرخ ايضا بالقرن السادس الميلادى اى أنها من تاريخ متاخر نسبيا اذا قورنت بالنقوش التى وصلتنا باللغات السامية الاخرى.

فأهمية النبط فى هذا المقام ترجع الى دورهم فى تطور الكتابة وتعليمها لغيرهم من العرب ، ان النقوش الثمودية والصفوية واللحيانية تفيد فى دراسة العربية، ولكن لغة الشعر الجاهلى والقرآن الكريم لا تعتبر الامتداد المباشر للغة هذ النقوش ان هـذه اللغـة العربية قد وصلتنا فى الشعر الجاهلى والقرآن الكريم فى صورة مصقولة متبلورة » (11) .

2 ــ اللهجـات :

تعد اللهجات ميدانا هاما جدا اذا نظر اليه فى ضوء اللغة الثقافية التى روى بها الشعر القديم ونزل بها القرآن الكريم . أما الشعر القديم فقد روى بلغـة موحدة لا اثر فيها للهجات القبائل الخاصة التى ينتسب اليها الشعراء « ونحن حين نستعرض شعراء ربيعة تلك القبيلة التى عرفت بالكشكشة لا نكاد نلمح اثرا لتلك الصفة فى شعر شعرائها ، ورواية شعر فيـه كشكشة بشعر خال منها تأباه بعض الاوزان الشعرية.

بل حين نرجع الى ديوان الهذليين لنستشف منه الصفات التى عرفت بها لهجة هذيل كالفحفحـة او تسهيل الهمز أو الاستنطاق ، لا نكاد نعثر على اثر لها فى اشعارهم . وكل الذى نراه فى الديوان ممـا ينسب الى هذيل وحدها لا يعدو ان يكون بضع كلمات قيل لنا انها بلفظها ومعناها قد اختصت بها هذيل : مثل ابل ضحضاح اى كثيرة ولا يعرف هذا غير هذيل والخبطة اى الوتد ، ومعناها فقط مثل : الطرف بمعنى الفتى. الكريم والخحش بمعنى الخشف وهناك كلمات وردت بالديوان فى صيغة مخالفة لما اشتهر عنها مثل سميح بمعنى سمح ونجد بمعنى نجد ، والسب بمعنى السبب اى الحبل . ويوصف كل هذا بانه لغة هذيل .

ويظهر أن شراح الديون حين كان يعييهم تفسير كلمة من الكلمات أو تبرير صيغتها كانوا يعمدون الى الى القول بانها لهجة هذيل : فليس ما ورد بالديوان مما يسمى بلغة هذيل الا نوعا من مماحكات المفسرين والشراح » (12) .

وأما بصدد القرآن فقد ظهر اختلاف اللهجات هذا اول ما ظهر فى القراءات القرآنية . روى عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : « دخلت المسجد اصلى . فدخل رجل فافتتح النمل ، فقرأ ، فخالفنى فى القراءة فلما انفتل قلت : من اقراك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم جاء رجل فقام يصلى فقرأ وافتتح النمل فخالفنى وخالف صاحبى ، فلما انفتل قلت : من اقراك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فدخل قلبى من الشك والتكذيب اشد مما كان فى الجاهلية ، فأخذت بأيديهما ، فانطلقت بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : استقـرىء هذيـن ، فاستقرأ احدهما وقال : أحسنت فدخل قلبى من الشك والتكذيب اشد مما كان فى الجاهلية . ثم استقرأ الآخر وقال : أحسنت . فدخل صدرى من الشك والتكذيب اشد مما كان فى الجاهلية ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى بيده فقـال : اعيـذك بالله يا أبى من الشك ثم قال : ان جبريل عليه السـلام اتانى فقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : اللهم خفف من أمتى ، ثم عاد وقال : ان ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف » (النشر فى القـراءات العشر لابـن الجوزى) . ومن الواضح من هذا الحديث وغيره من الاحاديث أن العرب كانوا يستعملون فى حديثهم اليومى لهجات متعددة تختلف الى حد ما عن اللغة الفصحى التى روى بها الشعر ونزل بها القـرآن ، وان الرسول راعى اختلاف هذه اللهجات فى اقرائه القبائل للقرآن تيسيرا للقراءة عليهم حتى لا ينفروا وانه استأذن ربه فى هذا التيسير فأذن له .

اختـلاف اللهجـات :

وحين بدأ اللغويون فى تدوين اللغـة ، واخـذ النحويون فى تفعيل قواعدها لاحظوا فروقا بين لغة الشعر ولغة الحديث ثم بين لهجات الحديث المختلفة

(11) اللغة العربية عبر القرون ص 29 : 33
(12) فى اللهجات العربية انيس ص 43 : 44 .

سجلوا هذه الفروق ، فمنها ما نسبوه الى اهله ، ومنها ما اكتفوا بايراده ·

ويشتمل هذا الاختلاف على ظواهر صوتية ، ونحوية ولغوية تتعلق ببنية الكلمة ودلالتها والاشتراك والترادف وغيره من الظواهر اللغوية وسنعرض لهذه المسائل جميعا فى تركيز شديد ·

أ ــ الناحية الصوتية : من ظواهر الاختلاف الصوتية :

1) الفتح والامالة : اجمع علماء العربية على نسبة الفتح لاهل الحجاز وعلى نسبة الامالة الى قبائل نجد ، ولا نريد ان نتعرض لدراسة الفتح والامالة من الناحية الصوتية فهذا ليس موضوع بحثنا ، وانما نشير فقط الى نوع الاختلاف فأهل الحجاز ينطقون مثل : باع وقال بفتح الباء والمد بالالف بينما ينطقها اهل نجد بالامالة اما الى الكسر فيقولون بيع او الى الضم فيقولون بوع حسب اختلاف القبائل ·

2) الادغام وتسمى هذه الظاهرة عند المحدثين ASSIMILATION وهى تأتى نتيجة لتأثر الاصوات فى المخرج بعضها ببعض ·

وينقسم الادغام الى قسمين : كبير وهو الذى يفصل فيه بين الصوتين الساكنين صوت لين قصير (اى حركة) وقد نسب هذا الادغام الى ابى عمرو بن العلاء احد القراء السبعة · وهذا النوع من الادغام يتطلب عمليات صوتية معقدة قبل ان يتحقق فضلا عن انه ينسب الى قبيلة خاصة عرفت به وآثرته فى نقطها · صغير وهو الذى يتجاوز فيه الصوتان الساكنان ، دون فاصل اصوات العين (13) ويظهر ان القبائل التى اثرت فى البيئة العراقية بعد الاسلام تميل لهجاتها بوجه عام الى الادغام ، وان قبائل الحجاز كانت تميل الى الاظهار ، ويستانس لذلك بان تميما وهى من قبائل وسط الجزيرة كانت تقول : « محم » بدلا من « معهم » فقد قبلت العين المهجورة الى نظيرها المهموس وهو الحاء لمجاورتها لصوت مهموس وهو الهاء ، ثم ادغمت الهاء فى الحاء ادغاما تقدميا ، وروى عن تميم انها تقول « فزد » بدلا من « فزت » اى ان القاف المهموسة قد قلبت الى نظيرها المجهور وهو الدال ، وذلك لمجاورتها لصوت مجهور وهو الزاى (14) ·

3 ــ الهمز :

تكاد تجمع الروايات على ان قبيلة تميم تلتزم تحقيق الهمز فى حين ان قريشا تتخلص من الهمزة بحذفها او تسهيلها او قلبها الى حرف مد · فتقول : تميم : راس ، بئر ، لؤم ، وتقول قريش : راس ، بير ، لوم ·

4 ــ الكسر والضم :

والكسر هو لهجة الحجاز اى الضم فلهجة تميم يقول الحجازيون : اسوة ، سرية ، غلظة ، مدوة ، عشوة قدوة بكسر الاول يقول التميميون : اسوة ، سرية ، غلظة ، عدوة ، عشوة ، قدوة بضم الاول ·

5 ــ الشدة والرخاوة :

تميل القبائل البدوية الى الاصوات الشديدة فى نطقها على العكس من اهل المدن · فالباء والتاء والدال والكاف ، وغيرها من الاصوات الشديدة تميل فى نطقها على الترتيب الى الفاء والسين والزاى والشين ·

6 ــ جهر الاصوات وهمسها :

تميل القبائل البدوية الى جهر بعض الاصوات بينما تميل قبائل الحضر الى همسها مثال ذلك ان هذيلا تغلب فى لهجتها (الحاء عينا) فتقول : اللعم بدلا من اللحم ، والاعمر بدلا من الاحمر واعسن بدلا من احسن ، وقرا ابن مسعود فى هذه اللهجة (عتى عين) بدلا من (حتى حين) ·

7 ــ التضخيم والترقيق :

تميل القبائل بوجه عام الى اصوات التضخيم فى حين تميل القبائل الحضرية الى الترقيق ، ولذلك تظهر اصوات الاطباق وهى الصاد والظاء والضاد والطاء فى نطق القبائل الاولى بينما تميل الاخرى

---

(13) فى اللجنة العربية : انيس 20 : 71
(14) نفس المصدر 73 ·

الى التخلص منها فتقلب الصاد مثلا سينا فتقول سراط بدلا من صراط ·

8 ــ سرعــة النطــق :

تميل القبائل البدوية الى السرعــة فى نطقهــا فتدغم الاصوات بعضها فى بعض ، وتسقط منها مــا يمكن الاستغناء عنه دون اخلال بفهم السامع ·

لهجــات مشهــورة :

ترتب على هذه الاختلافات الصوتيــة وجــود لهجات اشتهرت نسبتها الى بعض القبائل منها :

« الكشكشة ، وهى فى ربيعة ومضر ، يجعلون بعد كاف الخطاب فى المؤنث شينا فيقولون : رايتكش ، وبكش ، وعليكش ، فمنهم من يثبتها فى حالة الوقف فقط ، وهو الاشهر ومنهم من يبقيها فى الوصل ايضا ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها فى الوصــل ويسكنها فى الوقف ، فيقول ، منش وعليش ·

ومنها : اللشكسة وهــى فى ربيعــة ومضر ، يجعلون بعد الكاف او مكانها فى الذكر سينا على مــا تقــدم ·

ومنها العنعنة وهى فى كثير من العرب فى لغة تيس وتميم ، تجعل الهمزة المبدوء بها عينا فيقولون فى انك عنك وفى اسلم عسلم ، وفى اذن عذن ومنها : الفحفحة فى لغة هذيل ، يجعلون الحاء عينا ·

ومنها : الوكم فى لغة ربيعة ، وهم قوم مــن كلب ، يقولون : عليكم ويكم ، وحيث كان قبل الكاف يــاء او كسرة ·

ومنها : الوهم فى لغة كلب ، يقولون : منهم وعنهم ، وبينهم ، وان لم يكن قبل الهاء ياء او كسرة·

ومنها : العجعجة فى لغة قضاعة ، يجعلون الياء المشدودة جيما يقولون فى تيسى تيج .

ومنها : الاستنطاء فى لغة سعد بن بكر ، وهذيل ، والازد ، وقيس ، والانصار ، تجعل العين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء كانطى فى اعطى ·

ومنها : الوتم فى لغة اليمن ، تجعل السين تاء كالنات فى الناس ·

ومنها : الشنشنة فى لغة اليمن تجعل الكاف شينا مطلقا كلبيش اللهم لبيش اى لبيك ·

ومنها : اللخلخانية فى لغة اعراب الشحر وعمان كقولهم : مشا الله كان اى ما شاء الله كان ·

ومنها الطمطمانية فى لغة حمير كقولهم : طاب اسهواء : اى طاب الهواء » (15) ·

ب ــ الناحية الاعرابية والنحوية :

روى النحاة عدة مسائل اعرابية مختلف عليها وعللوا هذا الاختلاف بانه اختلاف لهجات من هــذه المسائــل :

1) ان ينصب الحجازيون خبر ليس مطلقا ، ولكن بنى تميم يرفعونه اذا اقترن (بالا) حمــلا لهــا علــى (مــا) ·

2) قسم النحلة (مــا) النافية الى حجازيــة وتميمية وقرروا ان خبر (ما) يكــون منصوبا عنــد الحجازيين ، ومرفوعا عند التميميين ·

3) ينصب الخبر بعد (ان) النافية فى لهجــة اهل العالية ، ويروى انه سمع من بعضهم (ان احد خيرا من احد الا بالعافية) ·

4) يصرف بنو اسد مالا ينصرف ، ويقع منهم ذلك فيما علة منعه الوصفية وزيادة الالف والنــون فيقولون (لست بسكران) ·

5) تنصب تميم تمييز (كم) الخبرية مفردا ، وغيرهم يوجب جره ، ويجيزون افراده وجمعه فبنو تميم يقولون كم درهما انفقت وغيرهم يقولون : كــم درهم انفقت ·

---

(15) المزهر للسيوطى ج 1 ص 221 : 223 ، وانظر فقه اللغة ، عبد الواحد ص 120 وانظر فقه اللغة لابن فارس ص 24 وما بعدها ·

6) تعمل (لعل) عمل الجر عند عقيل : قال شاعرهم : لعل الله فضلكم علينا .

7) تعمل (متى) عمل (من) الجارة عند هذيل ، قال شاعرهم :

شربن بماء البحر ثم ترفعت
متى لجج خضر لهن نئيج

8) نصب الاسم والخبر (بليت) لغة تميم او رؤية الذى هو من تميم .

9) مطابقة الفعل لفاعله فى الافراد والتثنية والجمع وهو من خصائص لهجة طىء وتسمى هذه اللغة (بلغة اكلونى البراغيث) .

جـ ــ اختلاف بنية الكلمة :

قال ابن فارس فى فقه اللغة : اختلاف لغات العرب من وجوه :

احدها : الاختلاف فى الحركات نحو نستعين ونستعين بفتح النون وكسرها ، قال الفراء : هى مفتوحة فى لغة قريش واسد وغيرهم يكسرها .

والوجه الآخر وهو الاختلاف فى الحركة والسكون نحو معكم ومعكم .

ووجه آخر : وهو الاختلاف فى ابدال الحروف ، نحو : اولئك واولائك ومنها قولهم : ان زيدا وعن زيدا .

وبعد ذلك : الاختلاف فى الهزة والتلبين نحو مستهزلون ومستهزون .

ومنها : الاختلاف فى التقديم والتاخير نحو صاعقة وصاقعة .

ومنها : الاختلاف فى الحذف والاثبات نحو استحييت واستحيت .

ومنها : الاختلاف فى الحرف الصحيح يبدل حرفا معتلا، نحو أما زيد ، وايما زيد .

ومنها : الاختلاف فى الامالة والتقويم مثل قضى ومدمى- فبعضهم يفخم وبعضهم يميل .

ومنها : الاختلاف فى الحرف الساكن يستقبله مثله . فمنهم من يكسر الاول ومنهم من يضم ، نحو : اشتروا الضلالة .

ومنها : الاختلاف فى التذكير والتانيث ، فان من العرب من يقول : هذه البقر ، وهذه النخل ، ومنهم من يقول : هذا البقر ، وهذا النخل .

ومنها : الاختلاف فى الادغام نحو : مهتدون ومهدون .

ومنها : الاختلاف فى الاعراب نحو : ما زيد قائما : وما زيد قائم ، وان هذين ، وان هذان .

ومنها : الاختلاف فى صور الجمع نحو : اسرى واسارى

ومنها : الاختلاف فى التحقيق والاختلاس نحو : يامركم ويامركم ، وعفى له وعفى له .

ومنها : الاختلاف فى الوقف على هاء التانيث مثل : هذه امه ، وهذه امت .

ومنها : الاختلاف فى الزيادة نحو : انظر ، وانظور (16)

د ــ اختلاف دلالة الكلمة .. التضاد :

وهو ان تدل الكلمة الواحدة على معنيين متناقضين ، وقد اختلف حول وضع العرب الكلمة الواحدة للمعنيين المتضادين او انكار ذلك . وقد الف فى الاضداد جماعة من ائمة اللغة ، منهم قطرب ، والتوزى، وابو بكر بن الانبارى ، وابو البركات بن الانبارى ، وابن الدهان ، والصاغانى » (17) ، ولكن بحثهم فى تاييد وجود التضاد او نفيه لم يسر مع الاسف فى الطريق الصحيح فكل من الفريقين قد ايد وجهة نظره بحجج منطقية تدور حول ما يجب ومالا

---

(16) الزهر للسيوطى ج 1 ص 255 : 256 ، وفقه اللغة لابن فارس ص 19 : 21 ، وقد مر بعض هذه الاختلافات فى الصوتيات .
(17) الزهر ج 1 ص 387 .

يجب . فقد « ذكر صاحب الحاصل : ان النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد ، لان المشترك يجب فيه افادة التردد بين معنييه ، والتردد بين النقيضين حاصل بالذات لا من اللفظ » (18) ويقول « ابو بكر الانبارى فى اول كتابه (الاضداد) : هذا كتاب ذكر الحروف التى توقعها العرب على المعانى المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤيدا عن معنيين مختلفين 397 » ثم اصبح التضاد ما ملخصه ان كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط اوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين لانها تتقدمها ويأتى بعدها ما يدل على خصوصية احد المعنيين دون الآخر ومن ذلك قول الشاعر :

كل شىء ما خلا الموت جلل
والفتى يسعى ويلهيه الامل

فدل ما تقدم قبل « جلل » وتاخر بعده ، على ان معناه كل شىء ما خلا الموت يسير ولا يتوهم ذو عقل وتمييز ان الجلل هنا معناه عظيم (19) .

وذهب بعضهم الى ان الحرف اذا وقع على معنيين متضادين فمحال ان يكون العربى قد اوقعه عليهما بمساواة بينهما ولكن احد المعنيين لحى من العرب والمعنى الآخر لحى غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء من هؤلاء . قالوا : فالجون الابيض فى لغة حى من العرب ، والجون الاسود فى لغة حى آخر ثم أخذ احد الفريقين من الآخر كما قالت قريش : حسب يحسب . فكان من حسب من لغتهم فى انفسهم ويحسب لغة لغيرهم ، سموها منهم فتكلموا بها ، ولم يضع اصل البناء على يفعل (20) والراى الاخير كان من الممكن ان يقودنا الى شىء هام لو انه بنى على اساس استقرائى احصائى بدلا من الاساس المنطقى بمعنى ان نتتبع اصحاب هذا الراى المتضاد فى لهجات القبائل ثم يقومون باحصائه ثم تصنيفه حسب القبائل ، فاذا تبين ان بعض القبائل تستعمل اللفظ الواحد بمعنى وتستعمله الاخرى بمعنى واطرد هذا فى بقية الالفاظ امكن القول بهذا الراى الذى ذهب اليه الآخرون ، واذا تبين ان القبيلة الواحدة تستعمل اللفظ الواحد لمعنيين مختلفين وان هذا يطرد فى بقية الالفاظ قلنا ان العرب تضع اللفظ الواحد لمعنيين متضادين ، ثم نبحث بعدها لذلك عن علة وسبب ، ولهذا عن سبب آخر .

ومن هذا القبيل ما رواه الازدى فى كتاب الترقيص : اخبرنا ابو بكر بن دريد حدثنا عن عبد الرحمن عن عمه قال : خرج رجل من بنى كلاب ، او من سائر بنى عامر بن صعصعة الى ذى جدن ، فاطلع الى سطح ، والملك عليه ؟ فلما رآه الملك اختبره فقال له ثب اى اقعد . فقال : ليتعلم الملك انى سامع مطيع ، ثم وثب من السطح فقال الملك : ما شأنه ؟ فقالوا له : ابيت اللعن ؟ ؟ ان الوثب فى كلام نزار الطمر . فقال الملك : ليست عربيتنا كعربيتهم ، من ظفر حمر . اى من اراد ان يقيم بظفائر فليتكلم بالحميرية . فعلى الرغم من الصنعة الواضحة فى كل خطوة من خطوات هذا الخبر ، فقد كنا نتمنى ان يتجه اللغويون هذا الاتجاه بصورة اكثر واقعية مع الفاظ مثل : الصريم بمعنى الصبح والليل ؟ والسدفة بمعنى الظلمة والضوء ، والقرء بمعنى الطهر والحيض .. الخ . بصورة تمكننا من معرفة كيفية تداخل اللهجات ، وتطورها الى الارقى عن طريق الاحتكاك ثم الانتخاب .

هـ ــ المشترك اللفظى :

وهو ان يدل اللفظ الواحد على اكثر من معنى فى وقت واحد ، وقد اختلفوا ايضا فى المشترك اللفظى « فالاكثرون على انه ممكن الوقوع ، لجواز ان يقع اما من واضعين ، بأن يضع احدهما لفظا لمعنى ، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين فى افادته للمعنيين ، وهذا على ان اللغات غير توقيفية ، واما ومن واضع واحد لغرض الابهام على السامع حيث يكون التصريح سببا للمفسدة كما روى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ــ وقد سأله

---

(18) الزهر للسيوطى ج 1 ص 397 ، الاضداد فى اللغة للانبارى ص 2 .
(19) المزهر للسيوطى ج 1 ص 397 : 398 ، الاضداد للانبارى ص 2 : 3 .
(20) المزهر ج 1 ص 401 : 402 ، الاضداد ص 10 .

رجل عن النبى صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما الى الغار : من هذا ؟ قال : هذا رجل يهدينى السبيل.

والاكثرون ايضا على انه واقع لنقل اهل اللغة ذلك فى كثير من الالفاظ ومن الناس من اوجب وقوعه — قال : لان المعانى غير متناهية والالفاظ متناهية ؛ فاذا وزع لزم الاشتراك .

وذهب بعضهم الى ان الاشتراك اغلب — قال : لان الحروف بأسرها مشتركة بشهادة النحاة ، والافعال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاء ، والمضارع كذلك ، وهو ايضا مشترك بين الحال والاستقبال ، والاسماء كثير فيها الاشتراك فاذا ضممناها الى قسمى الحروف والافعال كان الاشتراك اغلب (21) .

وواضح هنا ايضا ان الخلاف جدلى فى جوهره ، غير ان دلالة المشترك اللفظى على التطور لا يمكن ان يكون محل شك لانه لا يمكن تصور ان يكون اللفظ الواحد قد وضع ابتداء للدلالة على مجموعة من المعانى المشتركة وانما المتصور انه يكون اللفظ وضع للدلالة على شىء حى فى الغالب ثم جرد بالمجاز للدلالة على شىء معنوى ، ومثل الاوز جمع اوزة لهذا الطائر المعروف ورجل اوز بمعنى غليظ ، ومثل العين بمعنى الحاسة المبصرة والعين بمعنى الجاسوس والعين بمعنى ينبوع الماء . .

اما الالفاظ المشتركة بين عدة معان حسية فاما ان يكون الاصل فيها واحدا ثم وضع لغيره لمشابهة بين الاثنين ، او ان تكون احدى القبائل قد وضعت اللفظ لشىء ثم وضعت قبيلة اخرى نفس الاسم لشىء وثالثة لشىء آخر وكذا ، من ذلك لفظ الارض ، جاء فى الصحاح : الارض المعروفة ، وكل ما سفل فهو ارض ، والارض اسفل قوائم الدابة والارض : النفضة والرعدة . قال ابن عباس فى يوم زلزلة : ازلزلت الارض ام بى ارض ، والارض : الزكام ، والارض : مصدر ارضت الخشبة لتؤرض ارضا فهى ما ارضته اذا اكلتها الارضة وفى الجمهرة : الهلال : هلال السماء وهلال السيد : وهو شبيه بالهلال يعرقب به حمار الوحش وهلال الفعل : وهو الدوابة والهلال : القطعة من الغبار . وهلال الاصبع : المطيف بالظفر ، والهلال قطعة ، والهلال : الحية اذا سلخت ، والهلال : باقى الماء فى الحوض ، والهلال : الجمل الذى قد اكثر الضراب حتى هزل .

وواضح ان اكثر ذلك يأتى من باب المجاز وهو من اهم الابواب التى تطورت بها اللغة ونمت واتسعت .

و — المترادفات :

وهو ان يدل اكثر من لفظ واحد على معنى واحد فى وقت واحد ، وكما اختلفوا فى الاشتراك والقضاء واختلفوا ايضا فى المترادف فمنهم من اقر المترادف . ومنهم من انكره ، ومنهم من يقف عند حد الاعتدال ومنهم يركب متن الشطط . (22)

ورأينا فى الترادف كرأينا فى التضاد والاشتراك وهو انه لا يتصور ان يكون الشىء الواحد قد سمى بأسماء متعددة ابتداء ، وانما المتصور ان يكون الشىء الواحد قد وضع له لفظ واحد ابتداء ، ثم مع التطور والاحتكاك وكثرة الاستعمال واستمراره اخذت تظهر للشىء الواحد اسماء اخرى لاسباب متباينة ، او ان يكون الشىء الواحد قد وضعت له اسماء مختلفة فى وقت واحد فى جهات متعددة . ثم حصل احتكاك واختلاط اختلطت معه الاسماء على الشىء الواحد واشتهرت عليه ، ولنأخذ لذلك مثلا الاسماء التى ذكرها ابن خالويه للسيف ، جاء « فى شرح الدرير . الصارم ، والزداء ، والخليل ، والقضيب ، والصفيحة ، والمفقر ، والصمهامة ، والمأثور ، والمقضب ، والكتهام ، والاثيث ، والمعضد ، والجراز ، واللدن والفطار ، وذو الكريهة ، والمشرفى ، والقساسى ، والعضب ، والحسام ، والمذكر ، والهذام ، والهذوم ، والمنصل ، والهذاذ ، والهذهاذ ، والهذاهذ ، والمخصل ، والمهذم ، والقاضب ، والمصمم ، والمطبق ، والضريبة ، والهندوانى ، والمهند ، والصقيل ، والابيض ، والغمر ،

(21) المزهر ص 369 : 370 ، وانظر فقه اللغة لابن فارس ص 65 وما بعدها .
(22) انظر المزهر للسيوطى ج 1 ص 402 : 403 .

والعقيقة ، والمبين ، وهو الذى لا يقطع ، والهندكى ايضا ، فى شعر كثير » (23) ·

فنحن نستطيع بمجرد النظر ان نرد بعض هذه الاسماء الى النسبة ، مثل الهندوانى ، والمهند ، والهندكى ، كما نستطيع بمجرد النظر أن نرد بعض هذه الاسماء الى الصفة مثل : الصارم من الصرم وهو القطع ، والخليل : من الصاحب ، واللدن من اللادن وهو المرن ، والابيض بالنظر الى لونه الصافى ، والصقيل بالنظر الى لمعانه ، والمتين بالنظر الى صلابته ·

فاذا تأكد لنا ان بعضا من هذه المترادفات ما تزال واضحة الاصل الى الحد الذى يمكن معها ردها الى اصولها من النسبة او الصفة دون رجوع الى المعاجم ، امكن القول بأن باقى الاسماء يمكن رده ايضا الى صفات يمكن استخراجها من المعاجم كالقاضب والضريبة ، والعضب ، والرداء ، والعقيقة ، والغمر .. الخ · وهو اغلبها وان القليل جدا هو الذى يتعذر الحصول على اصله · على اننا لا نذهب الى القول بأن هذه الاسماء كانت تستعمل ابدا منظورا الى نسبتها او وظيفتها وانما نقول انها هكذا كانت ثم غلبت فى الاستعمال كأسماء سواء وضحت عند السامع نسبتها ووصفيتها لم لم تتضح ، وهذا الاصل واضح جدا فى الصفات التى تطلق على افراد تحقيرا او تدليلا او تعظيما ثم تغلب عليهم فتحل محل اسمائهم الاصلية ، او تستعمل معها وهو ما يسمى بأسماء الشهرة وقد ايد المحدثون من علماء اللغات وقوع الترادف فى اى لغة من لغات البشر وذكروا لوقوعه شروطا أوردها ابراهيم انيس ونوجزها فيما يلى :

1) الاتفاق فى المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما فى ذهن الكثرة الغالبة ·

2) الاتحاد فى البيئة اللغوية كأن تنتمى الكلمتان الى لهجة واحدة او مجموعة منسجمة من اللهجات ·

3) الاتحاد فى العصر كأن تكون الكلمتان فى عهد خاص وزمن معين وهى النظرة التى يعبرون عنها بكلمة synchronic فلا يجوز ان نبحث الترادف بين كلمتين احداهما من العصر العباسى والاخرى من العصر الحديث مثلا ·

4) الا يكون احد اللفظين نتيجة تطور صوتى للفظ الآخر فلا نقارن بين (الجثل والجمل) بمعنى النمل (24) ·

ويشكل الترادف فى العربية بغزارته ظاهرة استلفتت نظر الباحثين قديما وحديثا ، فقد ألف فيه بعضهم كتبا منهم « مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس ، الف فيه كتابا أسماه الروض المسلوك فيما له اسمان الى الوف وافرد خلق من الائمة كتبا فى اشياء مخصوصة ، فألف ابن خالويه كتابا فى اسماء الاسد ، وكتابا فى اسماء الحية وأورد صاحب القاموس فى كتابه الذى سماه ترقيق الاسل لتصفيق العسل للعسل ثمانين اسما وكتب فيه ابن خالويه ، والقالى ، والزجاجى ، وابن السكيت ، وثعلب وغيرهم (25) ·

وقد جمع ، فون هامر Von Hammer — المفردات العربية المتصلة بالجمل وشؤونه · فوصلت الى خمسة آلاف وستمائة واربعة واربعين (26) ويكشف لنا الترادف بغزارته هذه عن التطور الكبير الذى مرت به العربية من ناحيتين ·

أولا — الناحية التاريخية :

والتى تتمثل فى :

1) تاريخ طويل مر على هذه المفردات لكى تشتق وتوضع جيلا بعد جيل حتى تتراكم على هذه الصورة الهائلة فنحن لا ندرى كم من الزمن احتاجه اشتقاق 5644 اسما للجمل وشؤونه الا اننا نقطع ان هذا الزمن لا بد ان يكون قد استغرق اجيالا كثيرة ·

---

(23) المزهر : ج 1 ص 409 : 410 ·
(24) المزهر ج 1 ص 409 : 410 (1) فى اللهجات العربية ص 178 : 184 ·
(25) المزهر ج 1 ص 407 : 413 ·
(26) فقه اللغة ، عبد الواحد ص 163 · وانظر :

2) كما تتمثل ايضا فى الاحتكاك الطويل بين مختلف القبائل على تعاقب اجيال كثيرة يقرض بعضها بعضا ويأخذ بعضها من بعض ثم يتجمع هذا الرصيد ببطء ليصبح رصيدا لغويا مشتركا تستعمله اللغة الثقافية ، ويتصرف فيه الشعراء والخطباء وتتداوله السنة الناس دون تمييز ·

ثانيا ــ الناحية الاشتقاقية :

وهى تمثل لنا مرونة عقلية ضخمة وقدرة اشترك فيها العرب على اختلافهم على التصرف فى المعانى بالمجاز ، وعلى نمو هذه المقدرة وتتوارثها جيلا بعد جيل حتى اثمرت ثمرتها فى النهاية فى خلق هذه اللغة الناضجة التى دون بها الشعر ونزل بها القرآن ·

ز ــ بصمات أخرى للتطور :

على انا نجد بالاضافة الى كل ما سبق بصمات اخرى للتطور الذى مرت به اللغة العربية تتمثل فى كثير من المظاهر اللغوية التى نذكر منها :

1) **الضعيف من اللغات :** وهو ما انحط عن درجة الفصيح ومنها فى ديوان الفارابى اللهجة لغة فى اللهجة وهى ضعيفة · وانبذ نبيذا لغة ضعيفة فى نبذ واندفع لونه لغة ضعيفة فى امتقع وتمندل بالمنديل لغة ضعيفة فى تندل وواخاه لغة فى آخاه وهى ضعيفة والامتحاء لغة ضعيفة فى الامحاء (27) ·

2) **المنكر :** وهو اضعف من الضعيف واقل استعمالا من امثلته فى الجمهرة قال قوم : بلق الدابة ، وهذا لا يعرف فى اصل اللغة ·

وفيها : قال قوم : نبلة وحدة النبل · ولبس بالمعروف ·

وفى الصحاح جرعت الماء بالفتح لغة انكرها الاصمعى والمعروف جرعت بالكسر (28) ·

3) **المتروك :** وهو ما كان قديما من اللغات ثم ترك واستعمل غيره وامثلة ذلك كثيرة فى كتب اللغة ·

قال فى الجمهرة : اسماء الايام فى الجاهلية : السبت : شبار ــ والاحد : اول والاثنين اهون واوهد والثلاثاء جبار والاربعاء دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة :

واسماء الشهور فى الجاهلية المؤتمر وهو المحرم وصفر وهو ناجز وشهر ربيع الاول وهو خوان وقالوا خوان · وربيع الآخر وهو ويمان وجمادى الاولى الحنين ، وجمادى الآخرة ربى · ورجب : الاصم ــ وشعبان : عادل ، ورمضان ناتق وشوال وعل وذو القعدة ورنه وذو الحجة برك (29) ·

4 ــ الردىء والمذموم :

وهو اللهجات التى سبق الكلام عنها من كشكشة وكسكسه وتلتله . . الخ ·

5) الشاذ : ومنه ما هو مطرد فى القياس شاذ فى الاستعمال وذلك نحو الماضى من بذر ويدع . وكذلك قولهم : مكان مبقل ، هذا هو القياس ، والاكثر فى السماع باقل ، والاول مسموع ايضا ابوزيد فى كتاب « جيلة ومحالة .» وانشد اعاشنى بعدك وادمبقل (30) والشاذ فى القياس والاستعمال جميعا وهو كتتميم مفعول ما عينه واو او ياء نحو ثوب مصوون ومسك مدووف وخلى البغداديون فرس تقوود ، ورجل معودود من قرضه (31) ·

6) ومن ذلك ايضا الحوشى والضرائب والنوادر : قال ابراهيم بن المهدى لكاتبه عبد الله بن صاعد : واياك وتتبع وحشى الكلام طمعا فى نيل البلاغة ، فان ذلك هو العى الاكبر وعليك بما سهل مع تجنيك الفاظ السهل · والغرائب جمع غريبة ، وهى بمعنى الحوشى ، والشوارد جمع شاردة وهى ايضا بمعناها والنوادر الشواذ قال فى الصحاح ندر الشىء يندر ندورا سقط وشذ ومنه النوادر وقد الف الاقدمون كتبا فى

---

(27) المزهر ص 214 ج 1 ·
(28) المزهر ص 218 ·
(29) المزهر ج 1 ص 219 ·
(30) المزهر ج 1 ص 227 ، 228 ؛ والخصائص لابن جنى ج 1 ص 101 ·
(31) المزهر ج 1 ص 229 والخصائص ط ص 102 ·

النوادر كنوادر ابى زيد ونوادر ابن الاعرابى ونوادر ابى عمرو الشيبانى وغيرهم ، وفى آخر الجمهرة ابواب معقودة للنوادر وفى الغريب المصنف لابى عبيد باب لنوادر الاسماء وباب لنوادر الافعال والف الصنعانى كتابا لطيفا فى شوارد اللغة ، ومن عبارات العلماء المستعملة فى ذلك النادرة وهى بمعنى الشوارد (32) ومن امثلة النوادر فى الاسماء البدرت : الرجل الدليل ، والحرش : الاثر ، والعيفة ساحل البحر (33) ·

ومن امثلة النوادر فى الافعال ما ذكره ابو عبيد فى الغريب المصنف متعت بالشىء ذهبت ، تشاول القوم : تناول بعضهم بعضا عند القتال بالرماح ، خرج يستمى الوحش يطلبها (34) ·

اللغة الثقافية :

يتضح لنا مما سبق أن هناك مراحل طويلة جدا من التطور مرت على اللغة العربية قبل ان تستكمل بناءها وادواتها علمية كانت او ادبية وقد ادرك القدماء هذا المعنى وعبروا عنه بقولهم « قال الفراء : كانت العرب القدماء تحضر الموسم فى كل عام وتحج البيت فى الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا افصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ »(35) و « وقال ابن فارس فى فقه اللغة : باب القول فى افصح العرب · اخبرنى ابو الحسن احمد بن محمد مولى بنى هاشم بقزوين قال حدثنا ابو الحسن محمد عبد عباس الحشكى قال : حدثنا اسماعيل بن أبى عبيد الله ، قال : اجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لاشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وايامهم ومحالهم ان قريشا افصح العرب السنة ، واصفاهم لغة ، وذلك ان الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل قريشا فطان حزمه ومولاة بيته فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ، ويتحاكمون الى قريش فى دارهم وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة السنتها اذا اتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم واشعارهم احسن لغاتهم واصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التى طبعوا عليها فصاروا بذلك افصح العرب (36) ·

وقد حدد الاقدمون ايضا موطن هذه اللغة الثقافية وحصروها فى نطاق معين من القبائل التى يمكن ان يقال انها تشكل وحدة حضارية تمثل مستوى خاصا من الثقافة نقل السيوطى عن أبى نصر الفارابى قوله فى اول كتابه المسمى (بالالفاظ والحروف) كانت قريش اجود العرب انتقادا للافصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعا ، وابينها ابانة عما فى النفس والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعنهم اخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، واسد ، فان هؤلاء هم الذين **عنهم اكثر ما اخذ معظمه** وعليهم اتكل فى الغريب وفى الاعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ·

وبالجملة لم يؤخذ عن حضرى قط ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم فانه لم يؤخذ من لخم ولا من جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان

لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية (37) ولا من عبد القيس ولا من عمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من اهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم (38) ·

---

(32) المزهر ج 1 ص 234 ·
(33) المزهر ج 1 ص 236 ·
(34) المزهر ج 1 ص 237 ·
(35) المزهر ج 1 ص 221 ·
(36) المزهر ج 1 ص 209 : 210 ، فقه اللغة لابن فارس ص 231 ·
(37) الاصح بالسريانية ـ اللسان العربى ·
(38) المزهر ج 1 ص 211 : 212 ·

دلالة التطور العقلية والنفسية :

نستطيع بناء على ما سبق القول بأن الفكر العربى قد دخل مرحلة حضارية قبل ظهور الاسلام بما يزيد على 3000 آلاف سنة ، وظل طوال هذا التاريخ ينمو ويتطور فوجود الاصول السامية القديمة فى العربية واستمرارها طوال التاريخ لا يدل على عزلة هذه اللغة خلف رمال الصحراء الشاسعة كما ذهب المستشرقون ، لان هذا القول لو كان صحيحا لتجمدت هذه اللغة على حالها القديمة تلك ، ولما نمت وتطورت واتسعت هذا التطور والاتساع الهائل الذى يشهد به التطور الذى درسنا آثاره واللغة الثقافية التى سندرس بعض خصائصها ، بل ان ثلاثة آلاف سنة من العزلة كانت كفيلة بأن تقضى تماما على المرحلة التى قطعتها اللغة الام فى تطورها وتمرد اللهجات المتفرغة عنها الى مرحلة بدائية او شبيهة بها — لان الانسان كائن اجتماعى لا ينمو ولا يتطور ولا يتحضر الا بالاحتكاك والاجتماع — وقد شاهدنا العكس من ذلك وهو استمرار اللغة فى اتساعها ونموها وتطورها فلا بد اذن ان بقاء هذه الاصول ونموها بالتجريد والاشتقاق والمجاز راجع الى حيوية هائلة فى العقلية العربية مكنتها من الاستمرار والتطور وقدر كبير من حرية الارادة والتصرف مكنهما من أن تستفيد من احتكاكها بالحضارات دون أن تفقد شخصيتها واصالتها من جهة ، وان تندفع فى نموها وازدهارها من جهة اخرى.

ب — خصائص لغوية ذات دلالة فكرية :

تكلم العرب قديما عن خصائص اللغة العربية ، وكان الدافع لحديثهم عن الخصائص أحد سببين :

الاول : سبب دينى : وذلك لان اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم ، والقرآن كلام الله تعالى الذى لا يعلو عليه كلام ، والذى اعجز ببلاغته الانس والجن، واذن فلا بد ان تكون اللغة التى نزل بها افضل اللغات واوسعها ، يقول ابن فارس فى فقه اللغة : « لغة العرب افضل اللغات واوسعها ، قال تعالى : « وانه لتنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين · بلسان عربى مبين (39) » فوصفه سبحانه بأبلغ ما يوصف الكلام ، وهو البيان · وقال تعالى : « خلق الانسان علمه البيان » (40) فقدم سبحانه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه ، وتفرد بانشائه ، من شمس وقمر ، ونجم وشجر ، وغير ذلك من الخلائق المحكمة ، والنشايا المتقنة ، فلما خص سبحانه — اللسان العربى بالبيان علم ان سائر اللغات قاصرة عنه ووافقة دونه » (41) ·

ثم اخذ يعدد الخصائص التى تنفرد بها اللغة العربية من دون اللغات ، ومنها الترادف ، وقد سبق ان بينا فى دراسة التطور اللغوى أن الترادف مسألة خلافية كما ان دلالة اسماء كثيرة على الشىء الواحد فى نفس الوقت ادخل فى باب الخصائص لانه لا مبرر ان يثبت بدليل قاطع ان هذه الاسماء جميعا قد وضعت للشىء الواحد ابتداء ، وانها لم تكن نتيجة تطور وتقارض واحتكاك قبل النظر فيما اذا كان لدلالة اسماء كثيرة على شىء واحد فى وقت واحد مميزة فى ذاته أم لا ثم تكلم عن القلب والاعراب ، والعروض ، وحفظ الانساب ، والهمز فى عرض الكلام ، وبعض الحروف التى اختصت بها العربية ، والتصريف والنظم الذى اختص به العرب ، مثل قولهم عاد فلان شيخا ، وهو لم يكن شيخا قط · ومخالفة الظاهر كقولهم فى المدح قاتله الله ما اشعره والاستعارة والحذف والاختصار والزيادة ·

وهى خصائص يقتضى اثباتها للغة العربية وحدها التحقق من شئين :

اولا : ان يثبت بالدراسة المقارنة انها خصائص للغة العربية تنفرد بها دون اللغات ·

ثانيا : ان يتأكد ان هذه الخصائص تصلح فى ذاتها كميزة يتمدح بها ، فالاعراب مثلا ليس مما تنفرد

---

(39) سورة الشعراء 191 : 195 ·
(40) سورة الرحمن 3 : 4 ·
(41) المزهر ج 1 ص 321 ، وفقه اللغة لابن فارس ص 12 ·

به اللغة العربية ، وانما تشاركها فيه اخواتها الساميات كما ان الدراسات الحديثة تثير الشك فى قيمتـــه وفى اطراده قبل الاسلام وهو اعتراض خطير لا بد مـــن تحقيقه قبل اثبات الميزة او عدمها ·

الثانـــى سبب عنصرى : وذلك لان الشعـــوب المغلوبة وعلى راسها الفرس ، لم يرتح بعض ابنائها لغلبة العرب عليهم لاسباب لا داعى للخوض فيها ، والمهم انهم طعنوا فيما طعنوا فيه فى اللغة العربية ، وفيما يزعمه لها العـــرب من مزايـــا فى الفصاحـــة والبلاغة والبيان ومما قالوه ما رواه الجاحظ « ومن احب أن يبلغ فى صناعة البلاغة ويعرف الغـــريب ، ويتبحر فى اللغة ، فليقرأ كتاب كاروند · ومن احتـــاج الى العقل والادب ، والعلم بالمراتب والعبر والمثلات، والالفاظ الكريمة ، والمعانى الشريفة فلينظر فى سير الملوك · فهذه الفرس ورسائلها وخطبها والفاظها ، ومعانيها وهذه اليونان ورسائلها وخطبها ، وعللها وحكمها ، وهذه كتبها فى المنطق التى قد جعلتها الحكماء بها تعرف المستقوم من الصحة ، والخطأ من الصواب ، وهذه كتب الهند فى حكمها واسرارها وسيرها وعللها ، فمن قرأ هذه الكتب ، وعرف غور تلك العقول وغرائب تلك الحكم ، عرف اين البيان والبلاغة ، واين تكاملت تلك الصناعة فكيف سقط على جميع الامم من المعروفين بتدقيق المعانى ، وتخير الالفاظ وتمييز الامور ، أن يشيروا بالقنا والعصى ، والقضبان والقسى كلا ، ولكنكم كنتم رعاة الابل والغنم · فحملتـــم العصى فى الحضر بفضل عادتكم لحملها فى السفر ، وحملتموها فى المدر ، بفضل عادتكم لحملها فى الوبر ، وحملتموها فى السلم ، بفضل عادتكم لحملها فى الحرب · ولطول اعتبـــاركم لمخاطبة الابل ، جفا كلامكم وغلظت مخارج اصواتكم ، حتى كأنكم اذا كلمتم الجلساء انما تخاطبون الصمان · وانما كان جل قتالكم بالعصى · ولذلك فخر الاعشى على سائر العرب فقال :

لسنا نقاتـــل بالعصى ولا نرامى بالحجاره
الا عـــلالة أو بـــدا هة قارح نهد الجزراة (42)

وقد رد الجاحظ على هذه الاتهامـــات معـــددا الخصائص التى تتميز بها عقلية العرب ولغتهم على سائر اللغات فقال « وجملة القول انا لا نعرف الخطب الا للعرب والفرس · فأما الهند فانما لهم معان مدونة وكتب مخلدة لا تضاف لرجل معروف ولا الى عالم موصوف وانما هى كتب متوارثة وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة ·

ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق · وكان صاحب المنطق نفسه بكى اللسان غير موصوف بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه وهم يزعمون أن جالينوس كان انطق الناس ، ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة · وفـــى الفرس خطباء ، الا ان كل كلام للفرس ، وكل معنى للعجم فانما هو عن طول فكرة ، واجتهاد راى ، وطول خلوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكر ودراسة الكتب ، وحكاية الثانى علم الاول ، وزيادة الثالث فى علم الثانى ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم · وكل شىء للعرب فانمـــا هـــو بديهـــة وارتجال ، وكأنه الهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكر ولا استعانة ، وانما هو ان يصرف وهمه الى الكلام ، والى رجز يوم الخصام ، او حين يمنح على راس بئر ، او يحدو ببعير ، او عند المقارعة او المناقلة او عند صراع او فى حرب ، فمـــا هـــو الا ان يصرف همه الى جملة المذهب ، والى العمود الذى اليه يقصد فنأتيه المعانى ارسالا ، وتنثال عليه الالفـــاظ انثيالا يقيده على نفسه ولا يدرسه احد من ولده · وكانوا اميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفـــون وكـــان الكلام الجيد عندهم اظهر واكثر ، وهم عليه اقدر ، وله اقهر ، وكل واحد فى نفسه انطق وبكائه من البيان ارفع وخطباؤهم للكلام اوجد ، والكلام عليهم اسهل ، وهو عليهم ايسر من ان يفتقروا الى تحفظ ، ويحتاجوا الى تدارس ، وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من قبله ، فلم يحفظوا الا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب وان شيئا هذا الذى فى ايدينا جزء منه الا بالمقدار الذى لا يعلمه الا من احاط بقطر السحاب، وعدد التراب ، وهو الله الذى يحيط بما كان والعالم بما سيكون ·

(42) البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج 3 ص 14 : 15 ·

ونحن ــ ابقاك الله ــ اذا ادعينا للعرب اصناف البلاغة من القصيد والارجاز ومن المنثور والاسجاع ومن المزدوج ومالا يزدوج فمعنا العلم ان ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت الذى لا يستطيع اشعر الناس اليوم ولا ارفعهم فى البيان ان يقول مثل ذلك الا فى اليسير والنبذ القليل ·

ونحن لا نستطيع ان نعلم ان الرسائل التى بأيدى الناس للفرس انها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة واذ كان مثل ابن المقفع وسهل ابن هارون ، وابى عبيد الله وعبد الحميد ، وغيلان يستطيعون ان يولدوا مثل تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير » (43) والجاحظ هنا يلقى الكلام على عواهنه، ويرسله ارسالا بلا تدقيق او تحقيق فما هذه البديهة التى يتحدث عنها ، وما حدها وما مداها وما الفرق بين البديهة والالهام بهذا المعنى وكيف يتفق هذا وما ورد من شعر يدل على اناة شديدة واعمال فكر شديد وهو الطابع الغالب على القصيدة الكاملة ، وكيف يتفق هذا مع تحكيك زهير لقصائده حتى يحول عليها الحول قبل اخراجها للناس ؟

وما هو الطبع وما حده وما مداه ؟ كلام مرسل لا يدل على شىء ·

وكذلك الكلام عن السجع والازدواج والديباجة والرونق · كلام مرسل ، اذ لا يتصور ان ينفرد العرب مثل الديباجة والرونق دون غيرهم من الامم كما لا يمكن تصور قيمة حقيقية للسجع والازدواج خارج اطار معين وهكذا نجد ان الكلام عن الخصائص بسبب من الدين او بسبب من النعرة لم يؤسس على اساس سليم، ولم يعرف حقه من البحث والمقارنة ·

ولكنا سنعترض هنا لبعض الخصائص اللغوية على اساس مختلف ولسبب مختلف ·

اما الاساس فانا لا ننظر الى الخصائص من ناحية تفرد العربية بها ، وانما ننظر اليها من ناحية ارتباطها ببعض الخصائص العقلية ودلالتها عليها ، او على اساس ان اللغة ظاهرة اجتماعية تتأثر بالظروف التى يعيشها المجتمع فتتخلف بتخلفه وتتقدم بتقدمه وتنعكس عليها كافة الآثار العقلية والاجتماعية ·

اما السبب فهو اننا نقيس عن طريق هذه الخصائص المستوى الحضارى للفرد عن طريق دراسة الظواهر التى تحتاج لعمليات عقلية وشروط نفسية خاصة لا توجد ولا تنمو ولا تتطور الا بواسطتها ومن خلالها ·

وقد تبلورت لدينا هذه الخصائص ذات الدلالة الخاصة ، والتى سندرسها على الترتيب فيما يلى :

1) الاشتقاق

2) التجريد والمجاز

3) الزمن كصيرورة ·

ا ــ الفعل المضارع وما شابهه

ب ــ الايجاز

الفصل الاول

(1) الاشتقاق :

قسم بعض العلماء الاشتقاق الى صغير وكبير واكبر والاشتقاق الصغير او الاصغر كما يسمى ايضا هو الاشتقاق الاساسى الذى بنيت عليه المادة المعجمية كلها وهو الذى يهمنا امره فى هذا البحث ، لانه من اخطر الاصول اللغوية دلالة على العمليات العقلية والنفسية المختلفة وارتباطا بها وهو يحتاج الى ــ ويدل فى الوقت ذاته على ــ عدة عمليات مثل الملاحظة والجمع والترتيب والمقارنة والاستنتاج والادراك والخيال ورقة الاحساس ودقة التمييز فهو مقياس بالغ الاهمية لكل هذه العمليات على اختلافها وهو يستطيع ان يضع ايدينا على مقدرة العرب على الترقى من الحسى الى المعنوى وعلى التدرج فى الحسى والمعنوى ، وعلى ادراك العرب للعلاقات التى تربط الاشياء والكائنات بعضها ببعض ·

(43) البيان والتبيين ج 3 ص 27 : 29 ·

ولكنا لا نستطيع أن نتصور هذه العلاقات الا اذا نظرنا الى الاشتقاق نظرة لغوية مستبعدين جهد الامكان النظرة المنطقية الى اللغة والنحو ، اى الا اذا نظرنا الى الاشتقاق من وجهة نظر تاريخية فى ضوء النصوص الموجودة فعلا ، لا من وجهة تقعيدية فالموازين الصرفية والقواعد النحوية قد وضعت بعد الاسلام وبعد عصر التدوين ومهما كان من اعتماد هذه الموازين والقواعد على النصوص فقد غلب التصور المنطقى على عقلية الذين وضعوا هذه القواعد واقاموا هذه الموازين .

فقد اختلف الكوفيون والبصريون حول مصدر الاشتقاق هل هو الفعل او المصدر أما الكوفيون فذهبوا الى ان أصل الاشتقاق هو الفعل واحتجوا لرايهم بما يأتى :

1) ان المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله.

2) ان الفعل يعمل فى المصدر .

3) ان المصدر يذكر تأكيدا للفعل .

4) ان المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل .

5) ان المصدر انما سمى مصدرا لا لصدور الفعل عنه كما يقول البصريون وانما لانه مصدور فدل ذلك على ان الفعل أصل والمصدر فرع لانه تابع له فيما سبق .

واما البصريون فقالوا ان أصل الاشتقاق هو المصدر واحتجوا لرايهم بما يأتى :

1) ان المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين .

2) ان المصدر اسم والاسم يقوم بنفسه ويستغنى عن الفعل واما الفعل فانه لا يقوم بنفسه ويفتقر الى الاسم .

3) ان الفعل بصيغته يدل على شيئين الحدث والزمان المحصل ، والمصدر يدل بصيغته على شىء واحد وهو الحدث .

4) ان المصدر له مثال واحد نحو الضرب والقتل والفعل له امثلة مختلفة .

5) ان الفعل يدل بصيغته على ما يدل عليه المصدر وليس العكس .

6) ان المصدر لا يجرى على سنن فى القياس ولو كان مشتقا من الفعل لما اختلف فى اسماء الفاعلين والمفعولين .

7) ان المصدر ولو كان مشتقا من الفعل لدل على ما فى الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث .

8) ان المصدر لو كان مشتقا من الفعل لوجب حذف الهمزة فى مثل اكرم اكراما كما حذفت فى اسم الفاعل والمفعول تحوم « يكرم وفكر » .

9) ان الاصل فى تسمية المصدر هو الموضوع الذى يصدر عنه . وكل هذا دليل على ان المصدر أصل والفعل فرع .

ويلاحظ على ادلة الفريقين انهما فى اساسها ادلة مصنوعة كما يلاحظ أن ادلة الكوفيين اقرب الى الواقع كما انها تطابق القاعدة التى جرت عليها كتب النحو والصرف فى اشتقاق المصادر والمشتقات المشهورة مثل اسماء الفاعل والمفعول والزمان والمكان وغيرها من الافعال لا من المصادر ورغم المنطقية التى تتحكم فى آراء الفريقين فاننا نجد الكوفيين قد احتجوا بحجة قوية ذات طبيعة استقرائية وهى ان المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل وهى حجة تهدم حجة البصريين الاساسية وهى ان المصدر أصل لانه يدل على زمان مطلق بينما الفعل يدل على زمان مقيد وذلك اطلاق المصدر يجعله غير صالح للاشتقاق لان الاشتقاق من هذا المطلق يحتاج الى عقلية فلسفية نظرية لا الى عقلية واقعية عملية وهى العقلية التى قامت بمسؤولية الاشتقاق على طول تاريخ العربية القديم قبل ان تظهر المدارس والمجامع اللغوية والنحوية المتخصصة هذا بالاضافة الى اضطراب البصريين فى تصور المصدر فهو اسم حينا ودال على الزمان حينا ودال على الحدث دون الزمان حينا مع أن ابن مالك وهو يشرح مذهب البصريين اكثر ما يشرح يقول :

المصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل كأمن من أمن

على أن القول بالاشتقاق من الفعل أو المصدر كليهما تحكم لا مبرر له ، وهو يخالف فى الوقت نفسه الواقع العملى للاشتقاق كما تصوره المادة المعجمية نفسها ، لقد نظر النحاة الى الاشتقاق من ناحية الميزان الصرفى الذى وضعوه بأنفسهم فأدى ذلك الى ان اصبحوا هم أنفسهم اسرى هذه الصيغ الصرفية .

وقد ذهب ولفنسون مذهب الكوفيين فى القول بأن الاشتقاق لا يكون الا من الفعل فقال « ان من خصائص الساميات ان اغلب الكلمات فيها مشتق من اصل ثلاثى وثنائى وهذا الاصل فعل يضاف الى أوله أو آخره حرف أو اكثر .

نشأ من اشتقاق الكلمات من أصل هو الفعل ان سادت العقلية الفعلية — اذا صح هذا الاستعمال — على اللغات السامية ، اى أن لاغلب الكلمات فى هذه اللغات مظهرا فعليا حتى فى الاسماء الجامدة والالفاظ الدخيلة التى تسربت من اللغات الاجنبية . فقد اخذت هذه الكلمات مظهرا فعليا ايضا .

وقد راى بعض علماء اللغة العربية أن المصدر الاسمى هو الاصل الذى يشتق منه أصل كل الكلمات والصيغ ، ولكن هذا الراى خطأ — فى رأينا — لانه يجعل أصل الاشتقاق مضافا لاصله فى جميع أخواتها السامية .

وقد تسرب هذا الراى الى هؤلاء العلماء من الفرس الذين بحثوا فى اللغة العربية بعقليتهم الآرية والاصل فى الاشتقاق عند الآريين أن يكون من مصدر أسمى .

اما فى اللغات السامية فالفعل هو كل شىء فمنه تتكون الجملة ، ولم يخضع الفعل للاسم والضمير بل نجد الضمير مسندا الى الفعل ومرتبطا به ارتباطا وثيقا .

وعلى كل حال فنظرية العقلية الفعلية فى اللغات السامية هى نظريتنا الخاصة اذا لم يشر اليها أحد من علماء الافرنج » (44) والى هذا الراى ايضا ذهب بعض الباحثين من المستشرقين كما بين ذلك فؤاد حسنين فى نقده لادعاء ولفنسون انه يتفرد وحده بين العلماء الغربيين بهذا الراى ، فقد ذكر فؤاد حسنين أن « هذا الراى وحده قد شغل العلماء وقتا طويلا فبعضهم من افرد له الابحاث العديدة فى مجلات المستشرقين والبعض الآخر لم يقنع بذلك فكتب فيه الكتب الكثيرة وكان ذلك فى القرن التاسع عشر فالنظرية العقلية ، ليست وليدة القرن العشرين وليست من نتائج قريحتك بل هى ثمار القرن التاسع عشر فى أوربا ونتيجة من نتائج ابحاث جمهرة من اكابر مستشرقى المانيا » (45) .

كما ذهب باحثون آخرون الى أن أصل الاشتقاق فى العربية هو الاصول الثنائية يقول الاب انستاس كرملى « الثنائية bilittéralism هى النظرية القائلة بأن الاصول فى العربية — وكذلك فى اخوانها السامية — ليست الالفاظ ذوات الحروف الثلاثة ، بل ذوات الحرفين ، اذن من شأن الثلاثيات أن ترد الى الثنائيات » (46) وقد دافع عن هذه النظرية جورجى زيدان فقال « ان الالفاظ المانعة (47) الدالة

---

(44) تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون ص 14 : 15 .
(45) اللغات السامية فؤاد حسنين بحث صغير بدون ترقيم .
(46) المعجمية العربية ص 6 .
(47) يقسم جورجى زيدان الالفاظ من حيث الدلالة الى « الفاظ ذات دلالة مطلقة ويسميها « الفاظا مطلقة وهى التى تصح الدلالة بواحدة منها على اى موجود حسبا كان او معنويا ، وتشتمل على الضمائر واسماء الاشارة واسم الموصول وما شاكل ذلك . والى ذات دلالة مانعة وندعوها تساهلا « الفاظا مانعة » اى لا يمكن الدلالة باحدها الا على قسم من الموجودات او على نوع واحد من المعنى . فبقولنا « حيوان » مثلا نقصد بعض الموجودات وهكذا لو قلنا « مادة » او « قوة » اذ يخرج فى الاولى جميع ظواهر القوة كالانفعالات والعقليات ، وفى الثانية تخرج المادة وظواهرها ولكن بقولنا « هذا » ربما نقصد الحيوان او المادة او القوة او المحبة ان الحزن أو الفرح او ما شاكل ذلك ونقول « انت » لكل ما نخاطبه جمادا كان او حيا حسيا او معنويا ، وكذا فى البواقى . والالفاظ المانعة تقسم الى « دالة على معنى فى نفسها » وتنحصر فى الفعل والاسم ومشتقاتها ودالة على معنى فى غيرها « وهى الحروف وما شابهها » الفلسفة اللغوية زيدان ص 55 .

على معنى فى نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية (احادية المقطع) تحاكى اصواتا طبيعية (48)·

وتشتمل هذه الالفاظ على الاسم والفعل وما يشتق منها واللغويون يردون كلا من الاسم والفعل الى اصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية ، ولا يرون هذه الاصول قابلة للرد الى اقل من ذلك ، وعندى أنها قابلة ولو بعد العناء . . » (49)

ويؤيد مراد كامل وجهة نظر جورجى زيدان بقوله « ان اقدم الاسماء صيغة فى اللغات السامية هى الاسماء الثنائية وقد حافظت العربية على بنائه الأصلى فى كثير منها ، غير انها اشتقت من بعضها صيغا جديدة » (48) الا انه على الرغم من اقتناعه بأن اقدم الاسماء فى اللغات السامية صيغة هى الاسماء الثنائية ، الا انه لا يرى ان هذه الاسماء وحدها هى الاصل فيقول : « وهناك اسماء ثلاثية اصلية نجدها مشتركة فى اللغات السامية وهى على الاخص اسماء الاشياء المادية المنظورة الملموسة منها للحيوان : النمر والذئب والابل والثور والحمار والكلب والخنزير والنسر والذباب ، ومنها للنبات : العنب والثوم والقثاء والكمون ومنها لاعضاء الجسم الراس والعين والاذن والانف والسن والشعر والشفة والظفر والركبة والذنب والقرن واللب والكلية والكتف ، ومنها لغير ذلك : السماء والشمس والارض والحقل والبئر والبيت والعمود والعرش والقوس والحبل والاناء والقمح والدبش ، وهذه الاسماء كلها لم تشتق من الافعال والدليل على ذلك :

1 — انه فى كثير منها لا يكاد معناها ان يحتمل الاشتقاق من فعل اصلا فمن اى فعل نشتق اسماء كالذئب والقدم والراس والارض ؟ ولماذا نفترض أن يكون هناك فعل اسبق من هذه الاسماء وامثالها ؟

2 — ان بعض هذه الاسماء تخالف الافعال التى يحمل معناها الاشتقاق منها مخالفة تامة مثل الاذن ففعلها السمع ، وكذلك العين وفعلها رأى .

3 — لا نجد صلة بين اوزان هذه الاسماء ومعانيها فانا نرى الاسماء المتقاربة فى المعنى متقاربة فى الوزن نحو الثور والحمار والعين والاذن ، ولو اشتقت من افعال لكان لكل معنى وزن واحد بنيت عليه الاسماء او اوزان قليلة . . » (51) ·

بل انه يذهب الى أن بعض الصيغ الرباعية مثل فعلل قديمة جدا فى اللغات السامية ومن اوزانه : عكبر وعقرب وارنب وهى سامية الاصل » (52) وان كان لا يمنع احتمال أن تكون الباء فى عقرب وارنب علامة الحقت للدلالة على معنى كل منهما (53) ·

كما يذهب الى أن هناك اسماء مشتقة من الافعال فيقول « ومن اسماء الاشياء المادية ما اشتق من الافعال مثال ذلك اسماء الآلة والمكان وهى سامية الاصل · ووزن مفعال للالة اصله فعال ثم الحقت به الميم ، وفعال أقدم وزن لاسم الآلة فى اللغات السامية ومنه : سنان ونطاق ولسان » (54) ثم يذهب فى نهاية الامر الى أن الاشتقاق بالنسبة الى العربية بالغ المرونة حيث يقول واكثر اللغات السامية امسكت عن اشتقاق الاسماء الجديدة فى زمان قديم جدا الا على القليل من الوزان كالمصادر والانساب فأصبحت جملة اسمائها محدودة لا يزاد عليها الا القليل فى المادة الطويلة ، فاشتقاق الاسماء فيها ميت او يكاد · وداومت

---

(48) ذهب الى هذا ايضا بعض اللغويين العرب يقول بن جنى « وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوى الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشجيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبى ونحو ذلك · ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندى وجه صالح ، ومذهب متقبل » الخصائص ط ص 44 — 45 ·

(49) الفلسفة اللغوية ص 98 ·

(50) الفلسفة اللغوية ، هامش ص 101 ·

(51) نفس المصدر هامش ص 102 — 103 ·

(52 ، 53 ، 54) نفس المصدر هامش ص 104 ·

(53) الفلسفة اللغوية هامش ص 104 — 105 ·

(54) انظر كتاب الاشتقاق ، لعبد الله امين ففيه تفصيل واف لهذا الموضوع ·

اللغة العربية تشتق الاسماء الجديدة الكثيرة على الاوزان المتنوعة · وجاز للشاعر أن يرتجل الاسماء الجديدة على الاوزان المعروفة فكانت الكلمة تستخدم مرة فى بيت من الشعر ثم لا يعاد استخدامها وكانت جملة الاسماء غير محدودة بل قابلة للزيادة والنقصان فى كل وقت ووجد عدد من الاسماء فى الواقع وان لم يوجد فى الاستعمال ثم جمع اللغويون الكلمات المروية فى الشعر عند العرب وضبطوا معانيها » (53) ·

وهكذا نجد ان الدراسة الحديثة المؤسسة على منهج المقارنة بين اللغات السامية تلتقى مع الصورة الواقعية التى تقدمها المعاجم العربية فحين ينظر الى المادة المعجمية .. نجد ان اصل الاشتقاق مرن جدا ، كما نجد ان الاشتقاق عملية عقلية تقوم على اساس ملاحظة المناسبة بين المشتق والمشتق منه بصرف النظر عن نوع المشتق ، حتى انا لا نكاد نجد مادة معجمية لم تكن عندهم صالحة للاشتقاق ، سواء اكانت هذه المادة اسما او فعلا او حرفا (54) ·

1 ــ الاشتقاق من الاسماء :

لا يخضع الاشتقاق من الاسماء لقاعدة معينة فكل اسم قابل للاشتقاق ولكن هذا لا يعنى ان كل اسم يجب ان يشتق منه ، وانما ذلك امر متروك للظروف العملية وحدها ، فقد اشتق العرب مثلا من :

× اسماء العدد واسماء الازمنة : فمن اسماء العدد : ثنيته اثنيته ثنيا صرت معه ثانيا ، وثنيت الشيء بالتثقيل : جعلته اثنين · المصباح المنير ، ومن اسماء الازمنة ، الاصيل : الوقت بعد العصر الى المغرب ، وآصلنا : دخلنا فى الاصيل ، لسان العرب ·

× اسماء الاعيان :

أ ــ الامكنة : الحرم : مكة واحرم القوم : دخلوا فى الحرم · لسان العرب .

السرب : المسلك فى خفية او الانسراب الدخول فى السرب · لسان العرب .

الشرق : ناحية طلوع الشمس · وشرقوا ذهبوا الى الشرق ، أو اتوا الشرق لسان العرب ·

ب ــ اسماء القبائل : قيس قبيلة من مضر : تقيس فلان : اذا تشبه بهم وتمسك منهم اما بحلف او جوار ، او ولاء ، لسان العرب ·

ج ــ اسماء الاقارب : الاب : ابوت وابيت : صرت ابا وابوته اباوة : صرت له ابا · ويقال : ماله اب يابوه : اى يغذوه ويربيه ، وتابينت ابا : اى اتخذت ابا : لسان العرب ·

د ــ اعضاء الجسم : اشتق العرب من اسماء الاعضاء افعالا ، اما تصريحا او ضمنا ومن هذه الافعال اشتقوا المصادر وجميع المشتقات ومن ذلك :

الابط : باطن المنكب : وتأبط الشيء : وضعه تحت ابطه ، لسان العرب ·

الاذن : عضو السمع : واذنه اذنا فهو ماذون : اصاب اذنه على ما يطرد فى الاعضاء ، وآذنه كاذنه اى ضرب اذنه وقال : اذنت للشيء واذن له اذنا : اذا استمعت له ، لسان العرب ·

*** اسماء متنوعة :**

الجيش : الجنود يسيرون لحرب او غيرها : يقال جيش فلان اى جمع الجيوش واستجاشه : اى طلب جيشا ، لسان العرب ·

الحبل : الرباط : وحبل الشيء حبلا شده بالحبل · لسان العرب ·

الحصباء : الحصى واداته حصيته والحصى صغار الحجارة ، حصبه يحصبه حصبا : رماه بالحصباء ، وتحاصبوا : تراموا بالحصباء ، لسان العرب ·

الخطام : كل ما وضع فى انف البعير ليقاد به ، وخطمه بالخطام يخطمه خطما ، وخطمه : كلاهما جعله على انفه ، وكذلك اذا حز انفه حزا غير عميق ، يوضع عليه الخطام ، لسان العرب ·

الذئب من الحيوان المفترس · فيه خبث ودهاء وهو شبه الكلب فى الجسم : وذأب الرجل ذآبة ، وذئب ·

وتذأب : خبث وصار كالذئب خبثا ودهاء ــ وذئب الرجل نزع من الذئب وذابته : نزعته ، لسان العرب ·

والاشتقاق من الاسماء على اختلافهـا كثيـر جدا ولا يقع تحت حصر ، ولا يتصور ان تكون هـذه الاسماء نفسها مشتقة عن افعال او مصادر لانه لا يوجد لها موازين معينة ولا طرق واضحة فى الاشتقاق يمكن ان توضع لها اقيسة مطردة كالاسماء التى تؤخذ من غيرها مادة ومنها المصادر نفسها ، وانما الممكن هو ان يكون غيرها من المشتقات والافعال والمصادر مأخوذا عنها ، لان لكل منها موازين معينة ، وطرقا فى الاخذ مطردة .

ومما يقوى ان الاشتقاق قد وقع فى الاسماء ابتداء دون ان تكون هذه الاسماء نفسها مشتقة من مصادر وافعال ، ان العرب قد اعربوا اسماء اعجمية ، ثم اشتقوا منها مصادر وافعالا ومشتقات ــ وذلك عندهم كثير جدا ــ ولا يعقل ان يكونوا قد اشتقوا من افعال او مصادر هذه الاسماء فى مصادرها الاعجمية ، ومن هذه الاسمـاء :

الدرهم والدريهم لغتان . فارسى او يونانى (55) معرب ملحق ببناء كلامهم :

ورجل مدرهم ولا فعل له : كثير الدراهم . حكاه ابو زيد قال :

ولم يقولوا درهيم . قال ابن جنى : لكنه اذا وجد اسم المفعول فالفعل حاصل ، ودرهمت الخبـازى : استدارت فصارت على اشكال الدراهم فعلا وان كان اعجميا ، قال ابن جنى واما قولهم : درهمت الخبازى فليس من قولهم : الرجل مدرهم ، لسان العرب .

الفلفل : بالضم معروف لا ينبت بأرض العرب وقد كثر مجيئه فى كلامهم . وقد فلفل الطعام والشراب . . وثوب مفلفل : اذا كانت دارات وشيه تحكى استدارة الفلفل وصفره ، وخمر مفلفل القى فيه الفلفل ، فهو يحذى اللسان ، وشراب مفلفل : اى يلذع لذع الفلفل لسان العـرب .

وقد صرح النحويون بجواز الاشتقاق من الاسم الرباعى ووقوعه فيه . يقول جمال الدين ابو عبد الله محمد بن مالك فى كتاب (تسهيل الفوائد ، وتكميـل المقاصد فى النحو) (فصل) انفرد الرباعى بفعلـل لازما ومتعديا لمعانى كثيرة . وقـد يصاغ مـن اسم رباعى ، التسهيل 56 : 57 .

ويقول سيبويه فى (هذا باب تمثيل ما بنت العرب من نبات الاربعة فى الاسماء والصفات غير مزبدة وما الحقها من نبات الثلاثة كما لحقها فى الفعل ما يأتى :

فالحرف من نبات الاربعة يكون على مثال فعلل ، فيكون فى الاسماء والصفات فالاسماء نحو جعفـز ، وعنبر ، وجندل ، والصفة : مسلهب وجلحم ، وشجعم ، وما الحقوا به من نبات الثلاثة حوفل ، زينب وجدول ، ومهدد ، وعلقى ، ورعشن ، وسبنتـة ، وعنسـل

وهذا النحو لانك لو صيرتهن فعلا كن بمنزلـة الاربعة . فهذا دليل الا ترى انك حيث قلت : حوقلت وبيطرت ، وسلقيت اجريتهن مجرى الاربعة » (56).

2 ــ الاشتقاق من حروف :

وقع الاشتقاق فى المعاجم من الحـروف على اختلافها ، سواء اكانت حروفا للمعانى ، او حـروفا هجائيـة .

أ ــ حـروف المعانى : من ذلك :

سوف : كلمة معناها التنفيس والتأخير ، قال سيبويه : سوف : كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد ، الا ترى انك تقول : سوفته : اذا قلت له مرة بعد مرة ، سوف افعل ، لسان العرب .

نعم : قالوا : نعم الرجل ، اذا قال له نعم ، ونعم نعم كقولك بلى ، الا ان نعم فى جواب الواجب وهى موقوفة الآخر ، لانها حرف جاء لمعنى ، وفى التنزيل « هل وجدتم ما وعدتكم حقا ؟ قالوا : نعم . ونعم الرجل : قال له نعم ، فنعم بذلك بالا ، وانعم له : اى قال له : نعم ، لسان العرب .

---

(55) فى الجمهرة ج 3 ص 368 ان الكلمة معربة وكذلك فى اللسان ولم يذكر مصدرها وذكر الاب انستاس الكرملى فى مجموع النقود العربية (حاشية ص 24) ، الدرهم فى اليونانية دراهمى : انظر تعليـق محمود شاكر على مادة درهم هامش المعرب للجواليقى ص 48 .

(56) سيبويـه 2 ــ 335 .

ب ــ حروف الهجاء : من ذلك :

حرف التاء : رجل تأتا وعلى فعلال ، وفيه تأتاه : يتردد فى التاء اذا تكلم ، والتأتأة حكايــة الصوت ، لسان العرب ·

حرف الفاء : الفأفأة على فعــلال الذى يكثــر ترداد الفاء اذا تكلم ، والفأفأة حبسة فى اللسان ، وغلبةالفاء على الكلام ، وقد فأفأ ، ورجل فأفأ وفأفاء يمد ويقصر وامراة فأفاة ، وفيه فأفأة · الليث : الفأفأة فى الكلام كأن الفاء تغلب على اللسان فتقول : فأفأ فلان فى كلامه فأفأة ، وقال المبرد : الفأفأة : الترديد فى الفاء ، وهو ان يتردد فى الفاء اذا تكلم ، لسان العرب·

هذا فيما يختص بالاشتقاق من الاسماء والحروف اما لاشتقاق من الافعال فلا حاجة الى ايراد امثلة له لانه اشهر انواع الاشتقاق وعلى اساسه قامت القواعد

وهكذا يتبين لنا أن الاشتقاق لا يمكن ارجاعه الى اصل واحد بعينه ويظهر أن بعضا من اللغويين القدماء قد تنبه الى هذه المسألة بعد تدوين المعاجم ، وظهور تنوع مصادر الاشتقاق فيها ، فقد ذكر السيوطى قول « طائفة من المتأخرين اللغويين كل الكلم مشتق ، ونسب ذلك الى سيبويه والزجاج » (57) وان كان التعميم على هذه الصورة يجنح الى التطرف كما لاحظ ذلك السيوطى (58) ــ لا لما يستلزمه من قول بالدور والتسلسل كما ذهب (59) وانما لان بعض المكلم وهو الحروف الابجدية يستحيل أن يكون لها مصدر اصلى نشتق منه ، وان كان من الممكن أن تكون هى نفسهــا مصدرا للاشتقاق كما مر ·

وخلاصة القول أن الاشتقاق لا يرجع الى سبب آخر وراء مناسبة المعنى بين المشتق والمشتق منه فكون المشتق منه فعلا أو اسما أو حرفا لا دخل له فى عملية الاشتقاق ذاتها فليس هناك أصل وفرع ، وانما هناك مشتق ومشتق منه أو كما يقول تمــام حسان الاشتقاق « رد لفظ الى آخر لموافقته اياه فى حــروفه الاصلية ومناسبته له فى المعنى » (60) فالقول بأن كلمة او صيغة اصل لكلمة او صيغة اخرى مردود فى القديم والحديث فلا الفعل كما يقول الكوفيون ، ولا المصدر ، كما يقول البصريون ، أصل للمشتقات ، لانك قد رايت ان الادلة على اصالة كل منهما ضعيفة لا تقاوم النظرة الفاحصة · فما وجه القول اذا فى الاشتقــاق ، وما نظرة علم اللغة الحديث اليه ؟

وجه القول كما اراه فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، ان مسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات واشتراكها فى شىء معين خير من أن تقوم على افتراض اصل منها وفرع » (61) ·

الصيغة او الميزان الصرفى :

ولكن اذا كان الاشتقاق كسب لنا على هــذه الصورة المرونة العظيمة فى العقلية العربية ، وطاقــة الخيال الواسعة القادرة على ادراك مختلف العلاقات الدقيقة والمناسبات المتنوعة بين الاشيــاء والاشيــاء ــ او بين الاشياء والمعانى ــ او بين المعانى والمعانى او بين الافعال والاشياء والمعانى .. فان الصيغــة التى بنى عليها الاشتقاق او الميزان الصرفى للكلمــة يكشف لنا عن خاصية تكاد تنفرد العربية بها « وتدخل الصيغة فى الجدول كما تدخل الامثلة اى الكلمــات التى توزن عليها ــ فنحــن نستطيــع أن نصــرف الصيغة من غير الاستعانة بامثلتها ، وهذه خاصــة من خواص اللغة العربية ، وربما كانت فى اللغــات السلمية ايضا · مثال ذلك :

انا	افتعلت افتعل	
نحن	افتعلنا نفتعل	
انت	افتعلت تفتعل	افتعلى
انت	افتعلت تفتعلين	افتعلى
انتما	افتعلتما تفتعلان	افتعــلا

(57 ، 58) الزهر ج 1 ص 348 ·
(59 ، 60) مناهج البحث فى اللغة تمام حسان ص 178 ·
(61) نفس المصدر ص 181 ــ 182 ·

انتم	افتعلتم	تفتعلون	افتعلوا
انتن	افتعلتن	تفتعلن	افتعلن
هو	افتعل	يفتعل	
هى	افتعلت	تفتعل	
هما	افتعلا	يفتعلان او تفتعلان	
هم	افتعلوا	يفتعلون	
هن	افتعلن	يفتعلن	

ومثل هذا يمكن أن يتم مع كل صيغة من صيغ الافعال نتيجة ذلك تصريفا فى الداخل مورفيم الافتعال· بحسب اختلاف الضمائر الشخصية التى يعبر كل منها عن مورفيم آخر هو المتكلم او الخطاب او الغيبة مع مورفيم الافراد او التثنية او الجمع ·

واكتفاء الصرف بالصيغة كاكتفاء الاصوات بالصوت ، واكتفاء التشكيل بالحرف والمقطع استكفاء قرضه التحليل · والا فليست هذه الا مفهومات منهجية لا تعبيرات باللغة ·

ونحن لا نتكلم اصواتا ، ولا حروفا ، ولا مورفيمات ، ولا صيغا ، وانما نتكلم جملا مفيدة مركبة من هذه الاجزاء التحليلية ، التى يعتبر النظر المنهجى مسؤولا عن اكثرها ، حيث يخلقها باعتبارها وسائل تقسيمية ، أو ادوات لتناول مادة اللغة تناولا ينبنى على منهج خاص · فالصيغة جزء من المنهج لا من اللغة نفسها ، وانك تقول « خرج محمد بالامس » فنتكلم على شرط اللغة ولا نقول « فعل مفعل بالفعل » لان هذا ليس من اللغة ·

واللغة العربية محظوظة جدا بوجود هذه الصيغ الصرفية لان هذه الصيغ تصلح لان تستخدم اداة من ادوات الكشف عن الحدود بين الكلمات فى انسياق ويشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الاساس الذى يمكن به ان تحدد الكلمات (التاكيد من عندى) ·

والباحثون فى لغات غير لغاتهم جديدة عليهم يعانون التعب والمشقة اللذين يجدونهما فى سبيل هذا التحديد فيمدون الى كل الوسائل الممكنة يستخدمونها فى هذا الغرض ، ويظهر القسر والعسف فى استخدامها واضحا · **فاما اتخاذ الصيغة الصرفية اداة من ادوات خلق الحدود بين الكلمات فى السياق ، فميزة اللغة العربية من كبريات ميزاتها التى تفاخر بها** (التاكيد من عندى) ·

وتساعد الصيغة فى الاعم الاغلب على تحديد الباب ايضا ، ذلك لان معناها الوظيفى هو المورفيم ، نفسه تعبير عن الباب ، فكأن الباب احد معانى الصيغة غير المباشرة · ومعنى هذا الكلام اننا اذا اخذنا « فاعل » فسنجد كل ما على مثالها داخلا فى باب الفعل الماضى الذى يدل على المشاركة ، (نقول غالبا اضرازا من « سافر ») ، فالصيغة هنا دلت على النسبة الى قسم من اقسام الكلام ، **وهذه ميزة من ميزات اللغة العربية ايضا** (التاكيد من عندى) ·

واعتماد هذه الدلالة هى ما يسميه علماء اللغة بالتحديد الجراماطبقى (62) ·

وعن طريق **هذه الصيغة التى لا يحتاج تغيير المعنى فيها** يقابلها من فعال الى اكثر من زيادة حركة ، كعلم وعلم ·

أو — زيادة مادة كطالب وطلب

أو — زيادتها كضارب وضرب

أو — نقصان حركة كفرس وفرس

أو — نقصان مادة كثبت وثبات

أو — نقصانهما كنزا ونزوان

أو — نقصان حركة وزيادة مادة كغضبى وغضب

أو — نقص مادة وزيادة حركة ، كحرم وحرمان

أو — زيادتهما مع نقصانهما ، كاستنوق من الناقة ·

أو — تغاير الحركتين كبطر بطرا

أو — نقصان حركة وزيادة اخرى وحرف ، كاضرب من الضرب ·

---

(62) مناهج البحث فى اللغة 175 : 177 ·

أو ـــ نقصان مادة وزيادة اخرى كراضع من الرضاعة ·

أو ـــ نقص مادة بزيادة أخرى وحركة كخاف من الخوف ·

أو ـــ نقصان حركة وحوف وزيادة حرف ، كفاخر من الفخار ·

نقصت الفا وزادت الفا وفتحة (63) ·

عن طريق هذه التغيرات البسيطة أمكن اشتقاق سبعة وخمسين مادة من مادة واحدة هى مادة (الجمل) كما سيرد عند الكلام عن التجريد ، وعن هذا الطريق تكونت هذه المادة اللغوية الضخمة التى تملأ بطون المعاجم ، كما فتح باب القياس لتستمر اللغة فى نموها وازهارها على نفس الاساس على اختلاف الاجيال واختلاف العصور واختلاف الظروف ·

نخرج من هذا بأن الاشتقاق فى أصوله المختلفة ، والصيغة أو الميزان الصرفى فى تقاليبه المتعددة يعكسان، مرونة عقلية واسعة ، ودقة شديدة لملاحظة المناسبات والفروق الحسية والمعنوية التى تقع تحت التصرف ومقدرة على التمييز الدقيق بين درجات هذه الفروق ، وخيالا واسعا يستوعبها جميعا دون قصور أو اعياء ، وارهافا شديدا فى الحس يلمح ما خفى وما دق من الفروق ، والدلالات ، والاشارات ·

(63) انظر المزهر ج 1 ص 348 ـــ 349 ·

مكة وحمورابي

الأستاذ عبد الحق فاضل

ندخل الموضوع رأساً ، دون مقدمات ..

يقول الباحثون .. المستشرقون .. ان اسم (مكة) مقتبس من الحبشية (مكورابا) : معبد ، أو هيكل ، لكنهم على عادتهم لم يتساءلوا من اين جاء اسم مكورابا هذا .

ثم لماذا لم يقولوا على العكس ان (مكورايا) مقتبس من (مكة) ؟..لا أدري .ذلك ديدنهم..كلما شاهدوا كلمة مشتركة بين العربية وغيرها قالوا ان العربية هي الجهة المستفيدة . حتى (الخيمة) زعم اللغويون العرب وغيرهم ان اسمها هذا مستعار من الحبشية ، مع أن الخيمة من الزم لوازم البداوة – لا الحضارة – ان كانت ذريعة الحضارة هي التي تغريهم في كثير من الاحيان بهذا الظلم، أو الجهل . كان في وسعهم ان يقولوا بكل سهولة ان العربي البدوي حين هاجر الى الحبشة لف لغته في خيمته وحملهما معه الى حيث أنشأ اللغات الساميّة الحبشية من جعزية وأمهرية وغيرهما .

ولقد كان المسلمون هم الذين تفطنوا الى هذه الصلة الاشتقاقيّة بين مكة ومكورابا لوجب عليهم أن يقولوا عكس المستشرقين بأسبقية مكة . فذلك تطبيقاً للآية : «إن أول بيت وضع للناس للّذي ببكّة» .

لكن تعالوا ننظر ماذا قال المسلمون في تسمية مكة .

تقول المعاجم ..كلا .. دعونا مما تقول المعاجم ، فاننا لم نجد فيها شيئاً ذا بال يخرج عما اورده ياقوت .

يذكر ياقوت في معجم بلدانه آراءاً شتّى غير منسقة ثم يبدي من عند نفسه رأياً له ، ثم يعود الى سرد آراء الآخرين المتنوعة الشتّى . ولنوردها مختصرة مع شيء من الترتيب كما يلي : وللقارىء ان يضحك من بعضها اذا هو شاء .

«قال بعضهم : مكة هي بكة والميم بدل من الباء كما قيل ما هذا بضربة لازب ولازم» . . وهذا صحيح كالذى سيثبته لنا التأثيل فيما يأتي من بقية الحديث .

«وقيل انما سميت بكة لان الاقدام تبُك بعضها بعضاً ... وقيل لازدحام الناس فيها» .

«وقال الشرقي القطامي : انما سميت بكة لان العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمُك فيه أي نصفر صفير المكّاء (زنة الرمان) حول الكعبة ، وكانوا يصفرون ويصفّقون بأيديهم اذا طافوا بها . والمكّاء بتشديد الكاف (وضم الميم) : طائر يأوي الرياض» .

«وقال ابو بكر الانباري : سميت مكة لانها تمك الجبّارين أي تذهب بنخوتهم» !

«وقال آخرون (لا ندري من هم): سميت مكة لانها لا تفجر بها أحد إلا بكّت عنقه فكان يصيح وقد التوت عنقه» !

«وقال قوم : سميت مكة لانها بين جبلين مرتفعين عليها وهي في هبطة بمنزلة المكوك» !

«ويقال : انها سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم قد امتك الفصيل ضرع امه اذا مصه مصاً شديدا» !

ويلاحظ احدهم (لا يذكر الحموي من هو) انه لا مشابهة بين مص الفصيل ضرع امه وازدحام الناس ، فيحاول ايضاح الامر فيبدي أنهما قولان : احدهما انها "سميت مكة لازدحام الناس فيها» أي من معنى البك ، بالباء.. والثاني "لان مكة عُبدت الناس فيها فيأتون من جميع الاطراف من قولهم امتك الفصيل أخلاق الناقة اذا جذب ما فيها جذباً شديداً فلم يُبق فيها شيئا . وهذا قول اهل اللغة» ! فهذا يترجم المص الى الجذب والجذب الى قدوم الناس (أي انجذابهم) الى مكة من جميع الاطراف.

هنا ينزل الحموي بنفسه الى الميدان ليدلي بحل من لدنه جذري للمشكلة فيقول : «قال عبيد الله الفقير اليه: وجدنا أنها سميت مكة من مك الثدي أي مصه لقلة مائها لانهم كانوا يتمكون الماء اي يستخرجونه . وقيل انها تمك الذنوب اي تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع امه» . تخريج حسن – اي ما يخص قلة الماء – لولا إلحاقه به مك الذنوب ! ولله في مفسّريه شؤون ..

لا نريد الزراية بهذه الآراء مهما بعُد بعضها عن المنطق وقرب بعضها من السخف ، فانما هي محاولات من السلف للبحث على طريقتهم عن حقائق الاشياء وإماطة الحُجُب عن اسرارها .. لكننا غير قادرين أن نساوي بين غثها وسمينها في مقياس من التقدير واحد .. مع أننا سنرى انها جميعاً على خطأ .

قد رأينا فيما تقدم ان بعضهم خلط بين تسمية بكة ومكة ، وبعضهم عد بكة ومكة شيئاً واحداً من عمل الإبدال . لكن اكثرهم يقررون في مختلف المصادر ان (بكة) هي البيت او الحرم او الكعبة ، وأن (مكة) هي ما حول ذلك أو القرية أو بطن الوادي . فذلك على ما يظهر لانهم وجدوا اسم (بكة) في القرآن مرة واحدة و (مكة) مرة واحدة اخرى ، وفي الاولى يقترن اسم بكة بالبيت في الآية التي سبق إيرادها : «إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة» فاستنتجوا ان المقصود بها هو البيت نفسه .. وفي الثانية يقترن اسم (مكة) ببطن مكة في الآية : «وهو الذي كف ايديهم عنكم وكف أيديكم عنهم ببطن مكة» فاستنتجوا أن المراد بطن الوادي .

ولا اعرف لماذا لم يلاحظوا – العلماء المسلمون – وجه الشبه بين مكة ومكورابا ، مع أن بعض الصحابة والتابعين ومن تلاهم يعرفون الحبشية ، وبعضهم أحباش – مثلما لحظه المستشرقون المتأخرون .

مهما تكن الحال فان ملابسات ومقارنات لغوية

وتاريخية جعلتني أعتقد أن تسمية (مكة) قد جاءت عن طريق يختلف عن كل هذا كل الاختلاف .. مما يمكنني الآن أن اقدمه نموذجاً آخر – بالاضافة الى ما سبق أن قدمت من نماذج في مختلف المناسبات اللغوية – من نشوء اللغة وتكونها من الرمز البدائي وتنقله في مراحل التطور المتدرج في تحريف الالفاظ وتحوير المعاني الى ان صار يطلق على أقدس موضع عند مئات الملايين من بني الانسان .

هل لدى الاعزاء القراء مانع من ان نتحدث قليلا في تسمية بغداد ؟ نؤكد لهم ، وسيرون مصداق تأكيدنا ، أن هذا الانتقال لن يكون خروجاً عن صدد عنوان موضوعنا الذي نعترف أنه «مكة وحمورابي» .

كان المعتقد – سطحيا – عند بعضهم ان التسمية فارسية من (باغ) : حديقة و (داد) : عطاء أو تأسيس ، فيكون معنى (بغداد) شيئاً من معنى الحديقة او الجنة .

ثم التفت من هم اعلم بالفارسية من اولئك الى أن (بغ) بالفارسية : اسم إلآه قديم ، فصار معنى اسم بغداد عندهم : «مؤسسها الله» ، وفسّره آخرون بانه يعني «أهله حبيبي» .

أيّاً كان الصواب فقد جاء الاكتشاف الثالث ليظهر أن أصل الالاه (بغ) الفارسي هو الالاه بكه (BAGA) البابلي . واكثر من هذا أنهم عثروا على اسم بغداد في أكاتيب مسمارية معاصرة لحمورابي ، أي في القرن الثامن عشر (ق.م) .

ثم تطور اسم بغداد في العربية فصار ينطق كذلك : بغداذ ، وبغدان ، ومغدان ...

ها قد وصلنا الى قمة المشكلة .

فما أثل اسم الالاه (بكه) ؟ بل ما رسمه .. يا ترى ؟

بج بج بج بج بج بج ....

هذا الصوت لابد انكم تعرفونه . اين سمعتموه ؟ نعم ، خرزتم ! إنه مطلع اغنية محمد فوزي :

مامه .. زمانها كايّه كايه لعب وحاكات !

صوت رجل يحاول إسكات طفل يبكي . وهو ليس محاكاة لبعض الاصوات الطبيعية او الصنيعية التي تألّف منها معظم ألفاظ المعجم من قبيل : صج .. هو .. قط .. مص .. شم ...

وانما هو واحد من الاصوات التي نقترح تسميتها «مرتجلة» أي يتفوه بها المرء في بعض حالات له شعورية أو انفعالية كيفما اتفق ، اي بحسب ما يتبادر إلى جهاز أعضائه النطقية مثل قوله : بس بس لدعاء الحيوان أو زجره (1). وقد اتفق لاحدهم أو إحداهن ، في غابة معربية ، أن قال أو قالت لطفل يبكي : بج بج بج بج ، لإسكاته ، فذهبت مثلا ، وتناقلتها غابات وأجيال .

لعلكم تحسبون أني أشتط في التخريج إذ أعزو هذه اللفظة العامية الى ذلك الاصل الهمجي البدائي العريق . فمعذرة . إني لم أخبركم بعد أنها كلمة فصيحة . تقول المعاجم – بعضها – بجبجت الصبي : لاعبته وسكّتّه بالمغاغاة والغناء ! وهذا معنى متطور طبعاً ، فأصل البجبجة من غير ريب هو أن يقال للصبي بج بج بج .. على طريقة محمد فوزي ، ثم ظهرت المناغاة والغناء فيما بعد . لكن بعض المعجميين القدامى الذين لم تكن الدراسات اللغوية قد اكتملت في زمانهم لم يكونوا يعرفون هذا المعنى (ولا ننس ان الكثيرين منهم لم يكونوا من العرب الاقحاح او كانوا من العرب المحليين الذين يجهلون الكثير مما ليس من لغة قبيلتهم أو بلدهم). فابن منظور – صاحب «لسان العرب» – يقول : «البجبجة

---

1 – تطرقنا الى صوت «بس بس» وما تفرع منه من بعض المعاني في مناسبة لغوية اخرى .

شيء يفعله الانسان عند مناغاة الصبي بالفم» ! وعنه نقل صاحب القاموس – الفيروزابادي – لكنه لم يفهم معنى «بالفم» – مثلي – فحذفها ، ثم اختصر تعبير «يفعله الانسان» .. فقال : «شيء يفعل عند مناغاة الصبي» ! ولكان أمثل بواضعي معجمين خطيرين ان يُغفلا ذكر البجبجة من أن يشرحاها على هذا النحو المزري الذي هو أحوج منها الى الشرح . ولئن كان محمد فوزي أعلم من هذين الجهبذين بذلك الشيء الذي «يفعل» عند إسكات (أصبح من مناغاة) الصبي .. فهو لم يكن يقدر أن للأمر كل هذه الخطورة العلمية – الي سنرى .

من البجبجة نشأ قولهم (بخ بخ) .. «تقال عند تعظيم الانسان، وعند التعجب من الشيء، وعند المدح، والرضا عن الشيء» – (اللسان) .

من حقكم الآن ، بل من الحق عليكم أن تسألونا كيف ندعي أن (البخبخة) قد نشأت من (البجبجة) وبينهما هذا البون في اللفظ والمعنى ؟

اما من ناحية اللفظ فان هذه العربية حافلة بكلمات تنطق على وجهين او اكثر ، فيا طالما ابدلوا الحروف بعضها ببعض ، حتى الحروف المتباعدة في المسامع ومخارج النطق . ومن امثلة إبدالهم الخاء من الجيم بالذات أن الجابية تنطق الخابية أيضاً .. وأزلخت الباب : أزلجته .. والزمخرة هي الزمجرة .. بل ان المجنون المسكين سموه كذلك المخنون !.. ويجدر بالذكر في هذا المقام أن إبدال الجيم خاءاً قاعدة شبه عامة في الاسبانية مثل خوزيه (= جوزيف) .. وخوان (= جوان) ...

ليس مستغرباً إذن أن نطقوا البجبجة : بخبخة .

واما من ناحية المعنى فقد كان أصل معنى البخ هو : سكون الغضب . يقول المعجم : بخ فلان : سكن من غضبه ، او اعجب بنفسه . فواضح أن هذا أصله سكون الصبي من بكائه . ذلك بان الطفل حين يسكت من العويل سرعان ما يرضى فيضحك ويلعب والدموع ما تزال تملأ عينيه وتبلل وجهه ، وقد رضي عن العالم، كأن لم يكن شيء . فمن هنا صارت (بخ بخ) تعني «سكون المرء من غضبه» و «الرضا عن الشيء» كما تقدم بنا من النص المعجمي . ومن نتائج رضاك عن الشيء أن تمدحه ، فصارت البخبخة تعني المدح أيضاً ، ثم التعجب ، ثم الاعجاب بالنفس ، ثم تعظيم الانسان .. وكل ذلك اورده (اللسان) ، آنفا ، سوى رتبناه هنا منطقياً حسب تسلسله في النشوء .

جاء في المعجم كذلك ان بخ : كلمة فخر ، وبَخْ بَخْ : تعظيم الامر وتفخيمه . نطقوها : بخ بخ (بفتح فسكون). وبخ بخ (بالتخفيف والكسر مع التنوين) ، وبخٍّ بخٍّ (مثلها مع التشديد) .

ثم نطقوها بالهاء كذلك : به به ، بنفس حالات التخفيف والتشديد ، وبنفس المعنى . ومن هذه المادة الهائية نشأ (البهاء) في الفصحى و (الباهي) بمعنى الجيد والفاخر في بعض الدارجات (من : بها يبهو ، وَبَهِيَ يَبْهَى ، بهاءاً : حسُن وظرف) . ومن هنا نشأ في الفصحى البهر والباهر ، ومنه زهر (البهار) الذي دخل الفارسية بدون اداة تعريف (بهار) : ربيع .. وعلى العكس من ذلك في العربية صارت لفظة (الربيع) تعني : الكلأ والخضر .

ومنها بهّ فلان بهاً (زنة شدّ شداً) : نبُل وزاد في جاهه ومنزلته عند السلطان .

ثم صار (البخّ) يعني : «الرجل السريّ» اي الشريف الرفيع القدر في المجتمع ، وليس بخاف ان السراوة كانت تعني عند العرب ما يشبه معنى الارستقراطية بالتعبير الحديث .

في لغة القرعيز وما شاكلها من بعض لغات تلك المناطق نعثر على البخّ بصيغة (بكّ : bag) لقبا يدل

على النبل والتشريف ، يطلقونه على رئيس القبيلة أو أمير البلد . وقد ظهر اللقب في التركية على العهد العثماني ومنها تسرب الى الاقطار العربية بصيغة (بكّ bag) و(بيك beg) و (بيه beh) . ثم باي تونس أي سلطانها . وقد الغي اللقب رسمياً في تركية منذ إلغاء الخلافة ، ثم في الاقطار العربية واحداً بعد واحد .

وربما كان من (البخّ) أيضاً لقب (باشا pasha) الذي صار اعلى من لقب (البيكّ) بل أعلى الالقاب الرسمية لدى الدولة العثمانية يلقب به الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) وغيره من رجالات الدولة وكبار قادة الجيش . ومن تركية انتقل اللقب الى الاقطار العربية ثم كان من شأنه في الإلغاء ما كان من شأن (البيك)

يظنون أن أثل الباشا هو (بادشاه) في الفارسية ، لكننا نحسب عكس ذلك اي أن (بادشاه) هو المشتق من (باشا).

يقول المعجم الفارسي «**بادشاه : من باد : حارس وشاه : أصل ورب ورئيس**»(1) . والكلمة ما زالت تعني بالفارسية : الملك عامة ، عدا ملك ايران فهو يسمى (شاه) . ونظن شاه هذه من (باد شاه) نفسها .

ويقول (برهان قاطع) : «**شاه : الاصل والرب. ولما كان الملوك بالنسبة الى الناس هم الاصل والرب سموا شاه**» ومن معاني الرياسة في (شاه) اطلقوا في اجيال خلت (شاهبندر) التجار على رئيس التجار ، بمثابة ما يسمى الآن رئيس غرفة التجارة في التنظيم المعاصر .

بعد الشاه ظهر في الفارسية تعبير (شاهان شاه) ومعناه اللفظي : ملك الملوك ، استعملوه بمعنى الامبراطور. ثم صار ينطق مخففا (شاهنشاه) الذي صار يعني «**الباري تعالى**» كما يقول ابن خلف تبريزي « **أو الذي يصبح الآخرون بمعونته ملوكا**» .

هكذا تنتقل الكلمة من البجبجة الى البخّ ، الى البيك ، الى الباشا .. الى الشاهنشاه : ملك الملوك، ثم رب الارباب.

نتحول الآن الى (البعل) وهو بالعربية معجميا : رب الشيء ومالكه أو مستحقه او صاحبه . فاذا كان كل من الرب (اي صاحب الشيء) والبعل والشاهنشاه قد أصبح يعني الإلاه فمن اليسير أن ندرك كيف صار (بكّه) المتطور من (البخ) بكل معانيه الفخمة تلك ، يعني الالاه أيضا .

أعترف بانني لا اعرف الكثير عن هذا الالآه الساميّ الخطير (بكّه) ، لكني اجد اسمه بصيغة (بك bak) في (بعلبك) : البلدة اللبنانية المعروفة . يقول ياقوت «**بعلبك : اسم مركب من بعل : اسم صنم ، وبك : أصله من بك عنقه أي دقها ، وتباكّ القوم اي ازدحموا . فإما أن يكون نُسب الصنم الى بكّ وهو اسم رجل أو جعلوه يبكّ الاعناق . هذا ان كان عربياً ، وان كان أعجميا فلا اشتقاق**». العبارة الاخيرة تنبيء انهم يقولون ذلك تخريجاً من لفظتي بعل وبك ، لا عن علم سابق بأن الكلمة اسم رجل او غير ذلك .

بعد ان راينا اسم الالاه بعل قد ظهر في الشق الاول من اسم (بعلبك) واسم الالآه البابلي (بكّه) يؤلف الشق الثاني منه يبدو طبيعياً جداً ان نجد هذا الاخير اسما للبلدة العربية المقدسة (بكّة) .

والغريب ان قدامى اللغويين قد ربطوا عن طريق الخطأ بين التسميتين ، دون أن يدروا . لا لوم عليهم ان يجهلوا أن (بك) إلآه مثل (بعل) لكننا نسجل عليهم استقراباً صغيراً من تعليلهم تسمية كل من بعلبك وبكة بازدحام الناس ودق الاعناق . ثم لا يلحظون — فيما اطلعنا عليه من مصادر — هذا الشبه الصريح بين التسميتين

---

1 — ابن خلف تبريزي — «برهان قاطع» — تأليف عام 1062هـ .

الخاطئتين . فلا هم اهتدوا الى الصواب ولا هم ادركوا الصلة بين الخطأين .

كيف نطقوا اسم (بكة) أول الامر ، لاندري. لكن الاسم المعروف ينطق بالكاف العربي المشبع كما في اسم (بعلبك) – لابالكاف المخفف كما في اسم (بكه Baga) البابلي .

بل لعل هذا النطق العربي (بك) هو الاثل المتطور من (البخ) ، فاني لأ حسب انهم أطلقوه أولا على هذا المعبد في مكة – الكعبة . ولا نعلم هل قبل ذلك أم بعده ظهر الاسم في ديار الشام عند الكنعانية حيث أضافوه الى إلآه آخر في اسم (بعلبك) تأكيداً لصفة الالوهية أو بمعنى مقدس آخر .

والذي نُخمّنه ان اسم (بكّ) الذي كان يدل على الكعبة ، قد عم مع الزمن فصار يطلق على (القرية) المحيطة به . ولما كانت اسماء المدن مؤنثة في العربية فقد أنّث بعضهم (بكّ) فصار (بكّة) ، وشاعت هذه الصيغة واستقرت ونُسيت صيغة المذكر الاولى .

وكما ارتحلت صيغة (بك) الى ديار الشام لتظهر في (بعلبك) ظعنت صيغة (بكّة) إلى الرافدانية (أرض الرافدين) لتظهر في البابلية بصيغة (بكّه Baga). وهذا هو التعليل الوحيد الذي يخطر على بالنا ، لظهور الهاء أو الفتحة على آخر الصيغة البابلية .

لا نرى مناصاً من أعادة هذه الآية مرة اخرى ، وبتمامها : «إن أول بيت وضع للناس كلّذي ببكة ، مباركاً ، وهدى للعالمين» . فهل كان عرب الجاهلية يقولون بأنه اول بيت ام ان القرآن هو الذي يقرر ذلك لاول مرة ؟ لئن كان العرب يعرفون ان الذي ببكة هو أول بيت مقدس وضع في ذلك البلد – مما كانوا يتوازنونه في تاريخهم كغيره من بعض منقولات اخرى أيدها القرآن فلعمري لقد صدقت مأثوراتهم . وان كان القرآن قد قرره لاول مرة فلا جدال ولا تعقيب .

بعد أن اكتشفنا الصلة بين مكة والالاه الكنعاني (بك) في بعلبك من جهة ، والالاه البابلي (بكه) في بغداد من جهة ثانية ، نرجع الى سؤالنا الذي ألقيناه على أنفسنا في طلائع هذا الحديث : ما منشأ كلمة (مكورابا) الحبشية إذن ؟

بعد حين من الدهر لم يكن في ذاكرة التاريخ شيئاً مذكورا نطقوا بكة بالميم (مكة) . ومثل هذا كثير الحدوث في العربية نكتفي من نماذجه بما تقدم بنا من تسمية بغداد: (بغدان ومغدان) .

ولا بد أن الاسم الجديد (مكة) قد انحدر جنوباً الى اليمن . والارجح انهم استعملوه كما هو أول الامر ، ثم حوروا لفظه بنفس معناه ، ثم بمعان أخرى . و من ذلك تكونت صيغة (مكورابا) . أي أن الكلمة إنما ارتحلت إلى الحبشة عن الطريق الجغرافي الطبيعي– اليمن.

لكن كيف أصبحت مكة تنطق (مكورابا) ؟ و هل تم ذلك في الحبشة أم في اليمن قبل ذلك ؟ الافضل أن ندعو أخانا القاريء إلى إعمال فكره معنا في هذه الجولة الاستكشافية .

أن يأذن لنا قبل كل شيء أن نسأله هل لاحظ العلاقة اللفظية بين اسم مكو رابا وحمورابي ؟ و هل هذا التماثل الظاهري دلالة معنوية أم هو مجرد تشابه لفظي ، سانح ؟

لا ندعي أن أحد الإسمين مستعار من الآخر ، لكننا نزعم مبدئيا أن الشطر الثاني من الاسمين ربما يعني شيئاً واحداً ، إن لم يكن الشطر الاول منهما كذلك .

حمو رابي يتألف من (حمو : الحمو ، رب الاسرة رابي : الكبير ، الجليل) . أما مكورابا فيقولون أنه يعني المعبد و حسب. لكننا نتوهم أنه هو أيضاً (= مكو : مكة ، المعبد + رابا : الكبير ، الجليل) .

و هناك من يفسر اسم حمورابي بأنه (حمو : حارس

حام + رابي : آلهة) أي حامي الآلهة . أي أن الامر يتوقف على معنى (رابي) وأثلها العربي بالدرجة الاولى هل هو من (الرب) الاله أم من (الرابي) المرتفع السامي.

ونحن و إن كنا نرجح التفسير الاول ، لانرى هذا التفسير الثاني بمستطيع أن يفصم الصلة بين (حمورابي) و (مكورابا) ، فهذا الاخير أيضاً يمكن أن يكون (مكو : مكة ، معبد + رابا : آلهة ، أو إله) ، أي معبد الاله أو الآلهة .

«إن الأسئلة تنهمر علينا في كل خطوة . و السؤال الذي يطل برأسه هنا هو : ألا توجد صلة حقاً بين كلمتي (حمو) و (مكو) ؟

لا نستبعد وجود الصلة. فان أصل معنى (مكو) هو الاله أي (بك) كما نعلم . ولعله صار يعني الاله الحامي ولاسيما أن كل انسان كان يتخذ لنفسه حاميا من أحد الآلهة فان صح هذا قد يصح أيضاً أن (حمو) صارت تطلق على أبي الاسرة باعتباره حاميها المسؤول عنها ، ثم على أبي الزوج لانهم كانوا يتزوجون في بيت أبيهم الذي يبقى محتفظاً بالسلطة الابوية . وكما صعد رب البيت فصار يعني (الرب) الإله أيضاً هبط الاله الحامي فصار حامي الاسرة ، أي حماها ، أبا الزوج ، ثم شمل أبا الزوجة ، تعميماً . ومن ثم (الحماية) قد ظهرت في العربية عن هذا السبيل . وعندئذ يكون من السهل أن نتصور انتقال (حمو) بمعنى الحامي أو الحمي او الرب الى لغة العموريين ، قوم حمورابي . فعلى هذا يكون اسم بكة أقدم كثيراً من حمورابي .

سؤال آخر . لماذا قلنا أننا نرجح التفسير الاول لاسم حمورابي ، أي (الحمو الكبير) ؟

جواب آخر . لانه يساعدنا على تفسير إضافة (رابا) بمعنى الكبير الى (مكو) . وبعبارة أصح لان منطق الاحداث في التاريخ يلمّح تلميحاً يكاد يكون تصريحا ، الى ذلك.. حتى لو كان اسم حمورابي يعني أي شيء آخر.

معلوم أن (أبرهة) شيّد معبداً فخماً في اليمن ينافس به الكعبة ، وحاول جهده ان يصرف العرب اليه عن مكة ، فلم يفلح ، في حكاية مشهورة .

أكبر الظن عندنا ان هذه لم تكن المرة الاولى ، بل الاخيرة . لو قد أفلحت المحاولة لكان في ذلك نفعاً وأي نفع تجاري كبير لليمن ، بالاضافة الى الشرف الديني . لابد أن تحويل الاسواق الموسمية والاتجاه الروحي الى اليمن لم يكن من همّ أبرهة وحده ، فالمعقول ان يكون حكام اليمن – من اهل الحبشة او اليمن نفسها – قد حاولوا منذ عهود بعيدة نفس المحاولة بانشاء كعبة ، أي مكة ، اكبر من مكة وسموها باسم اكبر من اسمها ايضاً اي مكة الكبرى مثلا (مكورابا) ! هذا احتمال على كل حال ، إن صح كان فيه تفسير التسمية ، وكان دليلا على أن (مكة) قد صارت (مكورابا) في اليمن ومنها هاجرت الى الحبشة ، لا العكس ، وعلى أنها صارت تعني المعبد وحسب بعد مر الاجيال .

ويقول اللغويون العرب ان (المحراب) بالعربية مقتبس من الحبشية والاغلب انهم يقصدون من (مكورابا) . لا اعتراض لدينا على ذلك . لكن لدينا سؤال : هل من مكورابا الحبشية أم اليمنية ؟

الامر الطبيعي ان يكون (المحراب) استعمل بمعنى ديني أول الأمر. وقد تخصص في الإسلام بالمكان الذي يقف الإمام حياله في الصلاة ليسجد فيه ويكون المنبر في مساجد الجمعة عن يمينه .

اما لغوياً فالمحراب : اكرم موضع في البيت أو المسجد. فهذا يشير إلى أنهم كغيرهم من الامم كانوا يتخذون في دورهم مكاناً للعبادة يقيمون فيه الاصنام او الصور يتعبدون لها ، وبكلمة موجزة ان المحراب كان يعني : معبد البيت ، ثم انتقل الى المسجد .

ومن معانيه اللغوية كذلك : الغرفة ، والغرفة العالية يُرتقى اليها ، وصدر المجلس ، واكرم مجالس الملوك اي مجلس الملك ينفرد به عن جلسائه ، وما الى ذلك . ومنه «محاريب غُمدان باليمن» ، يقصدون قصر غمدان.

فمحاريب غمدان هذي ، وقول ابي العلاء انه دخل محرابا من محاريب حمير فنفخ في وجهه ريح المسك — يجعلنا نرى من المحتمل أن تكون كلمة المحراب أيضاً قد نشأت في اليمن .

ومن تطورات معاني المحراب وتقلباتها صار يعني مأوى الاسد ! هنا يقدم لنا فن التأويل نموذجاً من طرائف تخبط اللغويين ، هو قول اللسان : «وقيل سمي المحراب محرابا لان الإمام اذا قام فيه لم يأمن ان يلحن ويخطيء فهو خائف مكاناً كأنه مأوى الاسد»! .. ولله في مفسّريه شؤون .. وشجون .

على ما تقدم نستطيع ترسيس كلمة المحراب ، أي ارجاعها الى رسّها البديء على تسلسل يستعرض المراحل التي اجتازتها ، والصيغ التي تقمصتها واحدة بعد واحدة ، فيما يشبه تناسخ الارواح .. على هذه الوثيرة :

بج بج بج : لاسكات الطفل — **البَخّ** : سكوت الغضب — **بخ بخ** : تعبير عن الرضا ، فالاستحسان ، فالمدح ، فالفخر ، فالتعظيم والتفخيم ، فالجاه والحظوة عند السلطان — **به به** : مثل بخ بخ — **البخ** : الرجل السَرِيّ — **البكّ والباي**: من ألقاب السراوة والرفعة — **بكّ** : إلاه كنعاني — **بكّة**: الكعبة — **مكة** : البلدة المحيطة بها — **بكَه** (baga) : إلاه بابلي به سميت بغداد — **مكورابا** : المعبد بالحبشية ، والاغلب أن الصيغة تكونت بمعنى مكة الكبرى في الحميرية — **المحراب** : المعبد ، ثم المعبد الخصوصي في البيت ، ثم اكرم غرفة أو مكان في الدار ، ثم مجلس الملك الذي ينفرد فيه عن جلسائه ، والظاهر أنهم يقصدون به سرير الملك.

أقدس موضع عند المسلمين أي (مكة) قد سمي اذن بأقدس كلمة عندهم أي اسم الله .

خط جديد لتسهيل الطباعة

الدكتور عفيف بهنسي

(المدير العام للآثار والمتاحف) ــ دمشق

« تلقينا هذا البحث من كاتبه الفاضل ننشره الحاقا بما سبق نشره فى مضمار الخط العربى ومحاولات تيسيره وتطويعه لحاجتنا الحضارية المعاصرة فى الطباعة والتعليم ، آملين أن تنتهى هذه الابحاث والدراسات الى نتيجة ايجابية فى التطبيق » ·

□ من الصورة الى الابجدية :

بعد العثور على النقوش الكتابية فى سرابيط الخادم (سيناء) كشف النقاب عن حلقة هامة من تطور الكتابة العربية ، وهى مرحلة الانتقال من الصورة الى الحرف · فلقد تبين أن الكتابة **الاوغاريتية** التى استخدمت الخط **المسمارى** أو المسند ، كانت أول ولادة للابجدية التى اخذت شكلا متصلا عند الآراميين ثم العرب ، وكان التساؤل يدور حول أصل الكتابة الاوغاريتية التصويرى ، اذ أن اكثر الكتابات العالمية ابتدات من الصورة كوسيلة للتخاطب ثم انتقلت الى الرمز ككلمة ثابتة حتى تمكن العقل البشرى من ابتكار الحروف الابجدية التى سهلت مهمة الكتابة والقراءة · وقدمت الحضارة الكنعانية (الاوغاريتية والفينيقية) أول ابجدية انتشرت فيما بعد فى اكثر الكتابات ·

□ الشام مهد الكتابة العربية :

كان العرب قبل الاسلام كالتدمريين (فى الشام) وسكان الحضر (فى العراق) يتكلمون الآرامية وهى لغة شقيقة للعربية الاسلامية وبينهما من التقارب والوحدة ما يؤكد اصلهما الواحد · أما العرب الانباط (فى جنوب الشام) فكانوا يتكلمون بالعربية ويكتبون بالآرامية المعدلة ، وكان يبدو من النقوش التى عثر عليها حتى الآن ، أن الكتابة العربية قد تطورت بشكل ظاهر عن الكتابة النبطية · ثم اخذت تستقل وتتكون منتشرة من الحيرة (فى العراق) مهد الادب والحضارة الى الانباط (فى الجزيرة العربية) كما يقول المؤرخون العرب ، وان كانت الكشوف الاثرية الحديثة قد ابانت أن منشأ الكتابة العربية هو بلاد الشام ، تشهد على ذلك كتابة ام الجمال (حوران) وكتابة النمارة (حوران) ونقش زبد (ج · حلب) ثم تاتى أول كتابة عربية جاهلية عثر عليها فى حوران ــ اللجا ايضا وترجع الى عام 463 م وهى كتابة قاعدية انيقة ·

□ ثلاثمائة وخمسون مليونا يكتبون بالعربية :

لقد انتشرت الكتابة العربية بسرعة مذهلة مع انتشار الحضارة العربية بعد الاسلام ، وعدا الجزيرة والشام فلقد اصبحت سائدة فى العراق وفارس وخراسان وما وراء النهر والسند ، وانتشرت فى ارمينية والقوقاز وديار بكر وآسية الصغرى ، كما انتشرت فى مصر وشمالى افريقية كله وفى بلاد الاندلس ، وبقيت مستمرة فى اكثر هذه الامصار حتى

بعد غياب السلطة العربية ، بل حتى بعد نزوح المسلمين . كما تم فى بلاد الاندلس حيث استمر المدجنون زمنا يستعملون العربية فى الكتابة الاسبانية ، واطلق على هذه الكتابة اسم (**الجميادو**) وهى تحريف لكلمة (الاعجمى) وما زال الحرف العربى وسيلة الكتابة عند ثلاثمائة وخمسين مليونا من المسلمين نراه باشكال مختلفة تستند وتستمد شخصيتها من التراث الكتابى الضخم الذى يتجلى فى النقوش المعمارية وفى المخطوطات .

□ انواع الخطوط فى نشأة الاسلام :

من اوائل اشكال الخط العربى التى ظهرت ايام الرسول الخط **المكى والمدنى** ويصف صاحب الفهرست — ابن النديم — هذا الخط « نفى الفاته تعويج الى يمنة : اليد واعلى الاصابع ، وفى شكله انضجاع يسير» على ان ثمة خطا آخر يميل الى التربيع فى زواياه ويطلق عليه اسم (**المزوى**) وكان يستعمل للاخبار العامة ومنشؤه الكوفة . ثم تظهر المصاحف الشريفة السبعة التى كتبها زيد بن ثابت فى عهد عثمان وقد كتبت بالخط المدنى ذاته او بقلم **الطومار**(؟!) « وهو قلم مبسوط كله ليس فيه شىء مستدير » كما يقول القلقشندى . ومهما يكن من امر فان خطوط مصاحف عثمان ، لم تخرج عن الخط المدنى وهو تطوير واضح للخط النبطى . ولا بد من الاشارة الى ان هذا الخط يمتاز بالامور التالية لاحظها الدكتور المنجد :

1 — ربطت الحروف فى الكلمة الواحدة ، الا الحروف التى لا تربط

2 — شكل الحروف النهائية فى الكلمة مختلف عن شكل البدائية فيها .

3 — ان ملاحظة ابن النديم فى شكل الالف وميلان الكتابة صحيحة.

وفى عهد عمر ظهر خط «**المشق**» وفى القاموس المشق فى الكتابة : مد حروفها . وهو خط سريع ممتد الحروف غامض التركيب ، ومن الخطوط التى كانتتكتببها المصاحف ويختلف عن الخط المدنى فى انتصاب مداته .

وفى عهد عمر ايضا ظهر خط جديد فى الكوفة التى انشاها بامره سعد بن ابى وقاص واطلق عليه اسم الخط **الكوفى** : وهو خط يابس فيه صنعة وهندسة لعلها استمدت من الكتابة السريانية التى كانت شائعة فى اطراف الكوفة وبخاصة فى الحيرة . ولكن الخط الكوفى لم يكن يابسا دائما بل ظهر خط مقور مستدير كما يقول ابن مقلة ، وهو يشبه النسخى المعروف اليوم . ولقد انتقل منذ ذلك الوقت الى المدينة ومنها الى مصر .

□ الكتابة فى عهد الامويين والعباسيين واشهر الخطاطين

وفى عهد الامويين ظهر الخط **الشامى** ويعتقد ابن النديم أن الخطاط « **قطبة المحرر** » وهو اول من ابدع الخط العربى وطوره ، فقد ابتدع اربعة اقلام لعلها **الجليل والطومار والثلث والنصف** ، الاولان يابسان والآخران لينان . واشتهر من الخطاطين فى العهد الاموى مالك ابن دينار — وخالد بن ابى الهياج — وشعيب بن حمزة واسحاق بن حماد ، وابراهيم الشجرى . وقد لا يكون الخط الشامى بعيدا جدا عن الخط الكوفى بنوعيه ، ولكن الفروق بينهما ترجع الى اختلاف طرائق الخطاطين ، بدأ ذلك ايضا ، فى الخطوط المعاصرة الاخرى كالخط المصرى والقيروانى ، وفى الخطوط التى ظهرت فيما بعد فى العصر العباسى وذكرها ابن النديم **كالمثلث والمدور والراصف والمصنو والتجاويد** ولعل من اشهر الخطاطين فى العصر العباسى ، الاحول المحرر وهو احد كبار الخطاطين ، وكان وزير المعتصم معجبا بخطه ولا يكتب له احد غير الاحول . ولقد ابتكر من الاقلام — **المسلسل** وهو خط متصل لا انقطاع بين حروفه . **والحمام** ، وكان يستعمل لكتابة الرسائل وسمى **بالغبارى ،والاجازة،** وهو خط قريب من الثلثوالنسخى. اما ابو على محمد بن مقلة المتوفى عام 228 هـ فقد كان وزيرا للمقتدر وللقاهر بالله وللراضيبالله ، ثم وشى به فقطع الراضى يده اليمنى فصار يكتب باليسرى ، وقيل كان يشد القلم على ساعده المقطوع عند الكتابة ، وابتكر ابن مقلة خط **النسخ** الذى انتشر عنه ثم تطور ، واشتهر عبد الله بن مقلة مع اخيه بكتابة الخط الجميل وان كان قد تتلمذ علىالاحول المحرر . وكان ابنا مقلة ، الوزير واخوه قد برعا فى خط **الثلث** وتلم **التوقيعات** ، وكان اسلوب ابن مقلة الوزير فى خط الثلث يتناقله الخطاطون والمحررون . ومن اشهر من اخذ باسلوب ابن مقلة عبد الله بن اسد القارى المتوفى عام 410 هـ وكان يكتب الشعر بخط قريب من المحقق، واخذ عنه ابن اسد ، الخطاط الاشهر ابن البواب صاحب المعجزات فى حسن الخط كما يقول ابن الفوطى . ولعله تجاوز الوزير ابن مقلة فى

مقدرته على تجديد خط الثلث وتنويعه.

واذا كانت آثار ابن مقلة مفقودة ولا يمكن التعرف على نماذج من خطه الا عن طريق ما شرحه الكتاب والمؤرخون فان بعضا من آثار ابن البواب قد وصلت الينا مثل ديوان سلامة بن جندل والقرآن المحفوظ فى مكتبة شستربتى فى دبلن ، بل ان مخطوطا هاما عثر عليه الدكتور صلاح المنجد ونشره وهو كتاب « جامع محاسن كتابة الكتاب» كان قد جمعه وكتبه بخطه محمد بن حسن الطيبى ، احد كبار الخطاطين فى القرن العاشر الهجرى ، بأسلوب ابن البواب المتعدد الاقلام ، وبهذا يكشف هذا الكتاب عن اشكال انواع الاقلام التى كانت تعرف اسماؤها دون التأكد من اشكالها المطابقة لهذه الاسماء ، ومن الاقلام التى عرض الطيبى نماذجها على انها من طريقة ابن البواب هى قلم **الثلث** المعتاد (وهو **خفيف الثلث**) قلم **المنشور** قلم **التواقيع** (او التوتيعات) ، قلم **جليل الثلث** (او الثلث الثقيل) قلم **المصاحف** ، **المسلسل** ، **الغبار** ، **النسخ** ، **جليل المحقق** ، **الريحان** ، قلم **الرياشى** (او الرياسى) وقلم **الحواش** ، **والاشعار** ، **والرقاع** ، **والمقترن** ، وقلم اللؤلؤى .

ثم ازدهرت المدرسة الفارسية فى العهد التيمورى والصفوى وظهر الخط **الفارسى** وقلم **نستعليق والديوانى والهمايونى والكوفى الايرانى** وفيه جمع بديع من الزخرفة التخيلية والخط الجميل ، ومنه **الكوفى المزهر** الذى انتقل الى مصر فى عهد الفاطميين .

وكان مير على ، الوزير والشاعر والموسيقى ، من اشهر خطاطى هراة وبخارى فى القرن الخامس عشر واليه يرجع ابتكار خط نستعليق ، ثم ظهر فى هراة الخطاط الشهير سلطان على مشهدى وابنه سلطان محمد نور كما ظهر فى تبريز الخطاطون عبد الرحمن الخوارزمى وولداه ، وقد ادخلوا تحسينات على خط **التعليق** ، اما خط **الرقاع** ، او **الرقعى** فلقد ابتكره الاتراك العثمانيون . ومن اشهر الخطاطين الاتراك واغزرهم انتاجا الحافظ عثمان بن على وكان معلم السلطان أحمد خان الثانى عام 1693 م .

واستمر الخطاطون فى المغرب العربى والاندلس بالتفنن بالخط الحجازى وربما اخذوا من الجليل والثلث فى خط مبتكر .

□ الكتابة العربية وصعوبة الطباعة :

لقد بلغ عدد اشكال الخطوط والاقلام العربية المعروفة الثمانين ، وشرح بعضا منها وكتب عنها القلقشندى فى صبح الاعشى (ج 30) ، وابان قواعد الخط وطرقه كما تحدث عن نشأته وفنونه . واذا اضفنا الى هذه الخطوط الثمانين ما استحدث خلال هذا القرن من خطوط منسجمة مع مفهوم الفن المعاصر ومع ضرورات الكتابة الاعلامية والمطبعية ، لبلغ عددها الضعف . كل هذا يعطينا الدليل على امكانية الكتابة العربية لاستيعاب ابداعات الخطاطين . ولكن لا بد من عرض ملاحظة فى نقطتين :

الاولى : ان هذه الانواع المتعددة من خطوط الكتابة العربية لم تخفف من الصعوبات التى تسببها الكتابة العربية فى التعليم او الطباعة ، بل ما زالت الخطوط التقليدية وهى الثلث والنسخى والرقعى والفارسى هى الخطوط المستعملة فى التعليم وبين هذه الخطوط من الفروق ما يستعصى على المتعلم الناشىء الذى يرى نفسه أمام اشكال عديدة من الابجديات . ابجدية حروف البداية وابجدية حروف النهاية وابجدية جروف الوسط وابجدية الحروف المستقلة ، واذا تذكرنا ان اشكال حروف هذه الابجديات مختلفة باختلاف انواع الخطوط لوجدنا اطفالنا المساكين امام مئات الحروف المنوعة .

والنقطة الثانية : ان المجامع اللغوية او المؤسسات العربية الموحدة لم تسع بعد الى اعتماد خط موحد يسهل على الطالب والقارىء فهم ما يقراه ، ذلك ان الخطوط العربية المنوعة انما هى صيغ فنية ابداعية ولها شأن هام فى نطاق الفن ، الا انها وسيلة لنقل الافكار والمعرفة ايضا فلا بد من اسلوب سهل محدد العلامات والحروف يخفف من صعوبات الطباعة ، وهى مشكلة لم تجد لها حلا حتى الآن .

□ ابتكار الاحرف الحديثة :

لقد انتشرت الكتابة اللاتينية انتشارا واسعا نظرا لعدم تنوع الحرف الواحد بحسب موقعه من الكلمة . وتبقى مشكلة الحروف الكبيرة والحروف الصغيرة تنتظر التوحيد لتخفيف الصعوبة على المبتدىء . اما الكتابة العربية فانها على جمالها واصالتها ما زالت تحتاج الى تبسيط ، ويشترط لايجاد حروف تستجيب لضرورات التعليم السريع وسهولة الطباعة الشروط التالية :

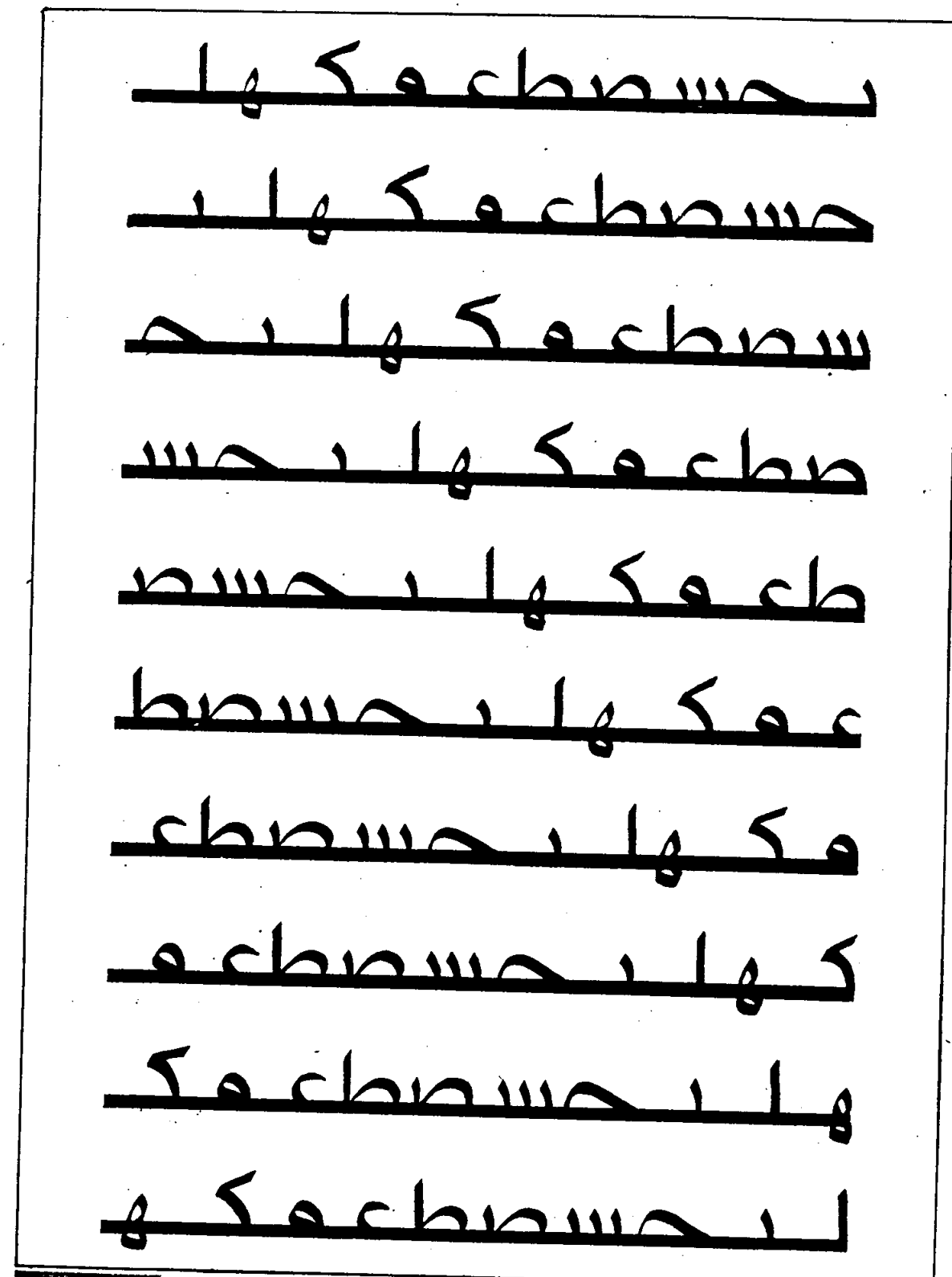

الأحرف الطباعية المبتكرة ومَوقعها المختلف من الكلمة

1 — أن تستمد هذه الكتابة من الخطوط العربية التقليدية .

2 — أن يختار من حروف هذه الخطوط الاشكال التى يمكن استعمالها متصلة ومنفصلة ويمكن استعمالها ايضا فى بداية الكلمة ووسطها ونهايتها دون تعديل . مثل ذلك انه عوضا ان يكون لحرف العين اربعة انواع مثل (ع ـعـ ـع ع) نكتفى بحرف واحد مثل ع .

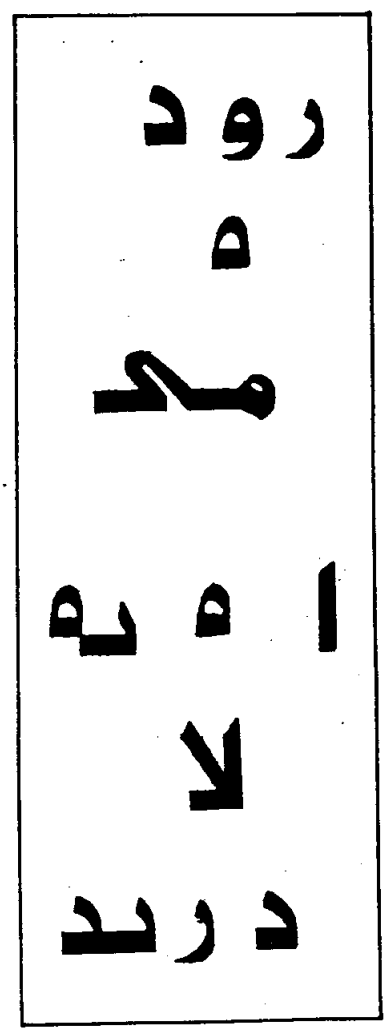

3 — أن يكون من الممكن كتابة هذه الحروف بالقلم (القصبة) أو بالتسطير ، مما يعمم كتابة الخط ويسهل استعماله بين غير المختصين.

4 — لقد كانت الحروف فى البداية دون تنقيط حتى جاء ابو الاسود الدؤلى فى عهد الراشدين فاضاف اليها التنقيط . ولو بقيت الحروف بدون تنقيط حتى عهد الطباعة لخفف ذلك خمسة عشر حرفا اى ستين نوعا من الحروف المطبعية (البدائية والوسطى والنهائية والمستقلة) . ولا بد من الانتباه الى هذه الملاحظة فى ابتكار الحروف الجديدة وذلك بفصل النقاط عن الحروف وليس بالغائها . ثم باضافتها عند الطباعة بالآلة الطابعة (الداكتيلو او الانترتيب) ، وهذا يسهل الى حد بعيد عملية الطباعة ويجعلها سريعة الانتشار اذ يختصر عدد الحروف الى 17 عوضا عن 28 حرفا او 72 حرفا منوعا وهو فرق واسع .

ولقد لجأ بعض الخطاطين المعاصرين فى العراق والشام الى ايجاد خط حديث تتوفر فى حروفه بعض الشروط المواتية لوسائل الطباعة . ودخلت حيز الاستعمال المطبعى الجزئى فى العراق وحيز الاعلان فى الشام ، ولكن هذه المحاولات لم تنجح فى تحقيق جميع الشروط ، ونحن هنا نضع امام القارىء محاولتنا فى ايجاد حروف بسهلة واضحة محددة العدد ، نرجو أن تساعد فى حل مشاكل الحرف العربى التى عرضناها .

وانه من الواضح ان هذه الحروف مستوفية لجميع الشروط التى ذكرناها ، ولقد تناقص عدد الحروف بنسبة الثلث مما ينقص تكاليف الطباعة والجهد المبذول بنفس النسبة .

ومما يساعد فى سرعة تعلم القراءة والكتابة عند الاطفال والامميين والاجانب . ولم تخرج هذه الحروف فى جمالها ودلالتها عن اوضح الخطوط العربية المعروفة كالنسخى والكوفى .

والجدير بالملاحظة ان الحروف ظهرت بدون تنقيط لخدمة الطباعة واضافة النقط امر سهل فى الآلة ، وهذا التدبير هو الذى ادى الى انقاص عدد الحروف المطبعية ، فحرف ب مثلا كما نراه فى الجداول الموضحة اعلاه يحل محل بـ

ب ب ب ت ت ت ت ث ث ث

ن ن ن يـ يـ وحرف ح يحل محل

ح ح ح ح ج ج ج ج خ خ خ خ

وهكذا .

لقد ظهر الحرف العربى باشكال جميلة كثيرة التنوع ، مما يدل على حرية الابداع فى نطاق الحرف باعتباره عنصرا من عناصر الفن العربى وكدليل على غنى حرية الابتكار سنختار بعض اشكال حرف السين لنرى الفروق الكبيرة فى الاشكال مع الاحتفاظ بالعنصر الاساسى وهو الاسنان الثلاثة ومن المؤكد أن نفس التنوع ونفس الفروق قائم بين جميع الحروف الاخرى .

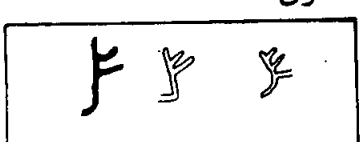

السين فى نقش
ام الجمال ٢٥٠م ،
ونقش النمارة ٣٢٨م ،
ونقش حجر زبد ٥١١م

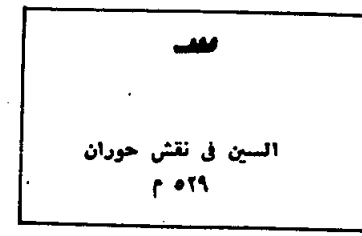

السين فى نقش حوران
٥٢٩ م

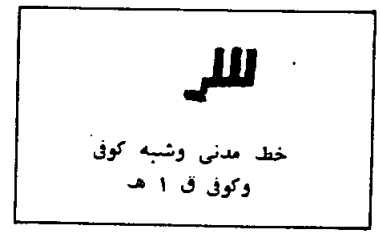

خط مدنى وشبه كوفى
وكوفى ق ١ هـ

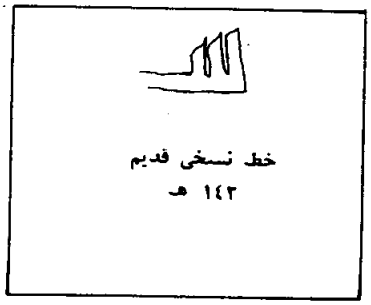

خط نسخى قديم
١٤٣ هـ

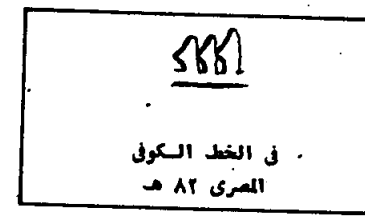

فى الخط الكوفى
المصرى ٨٢ هـ

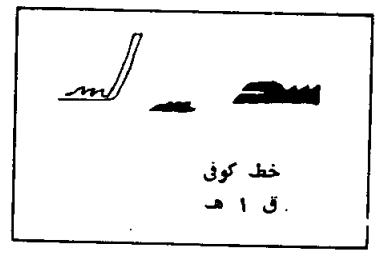

خط كوفى
ق ١ هـ

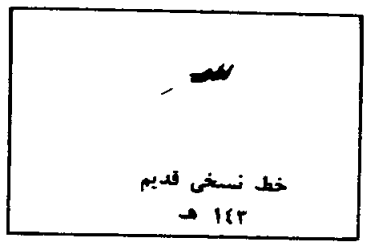

خط نسخى قديم
١٤٣ هـ

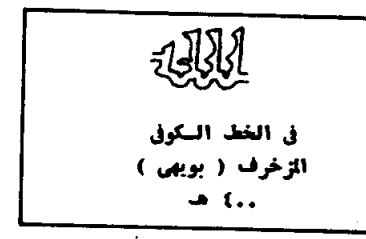

فى الخط الكوفى
المزخرف (بويهى)
٤٠٠ هـ

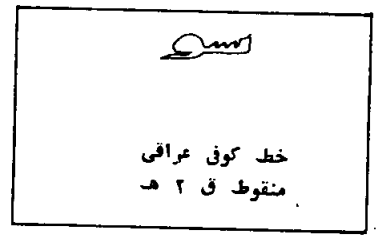

خط كوفى عراقى
منقوط ق ٢ هـ

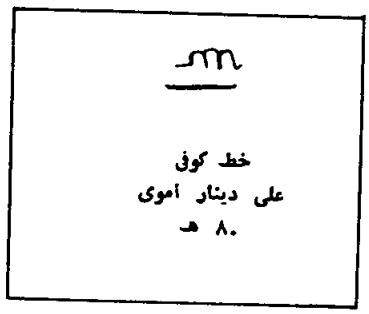

خط كوفى
على دينار أموى
٨٠ هـ

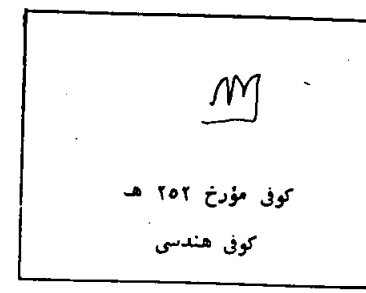

كوفى مؤرخ ٢٥٢ هـ
كوفى هندسى

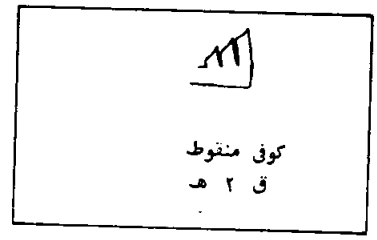

كوفى منقوط
ق ٢ هـ

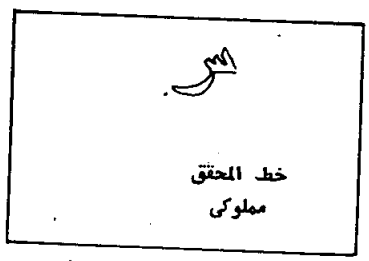

خط المحقق
مملوكى

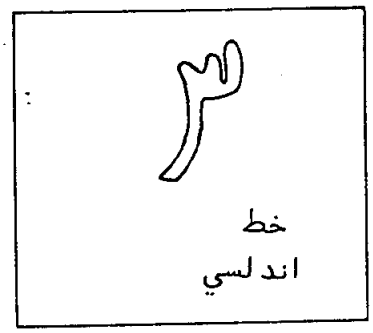

خط
اندلسي

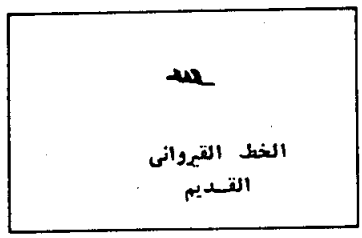

الخط القيروانى
القـديم

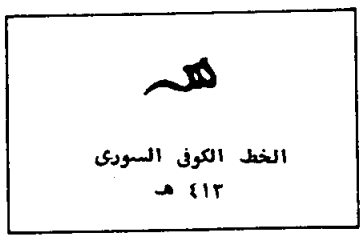

الخط الكوفى السورى
٤١٣ هـ

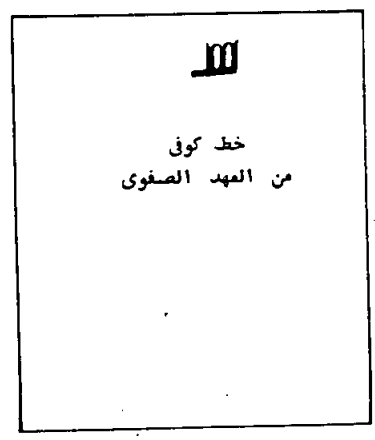

خط كوفى
من العهد الصفوى

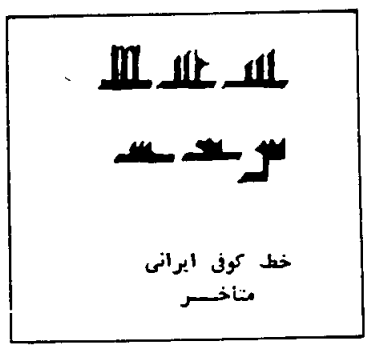

خط كوفى ايرانى
متاخـــر

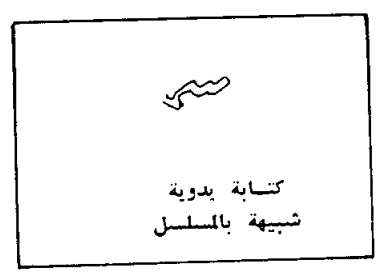

كتـابة يدوية
شبيهة بالمسلسل

السين فى الخط الثلث

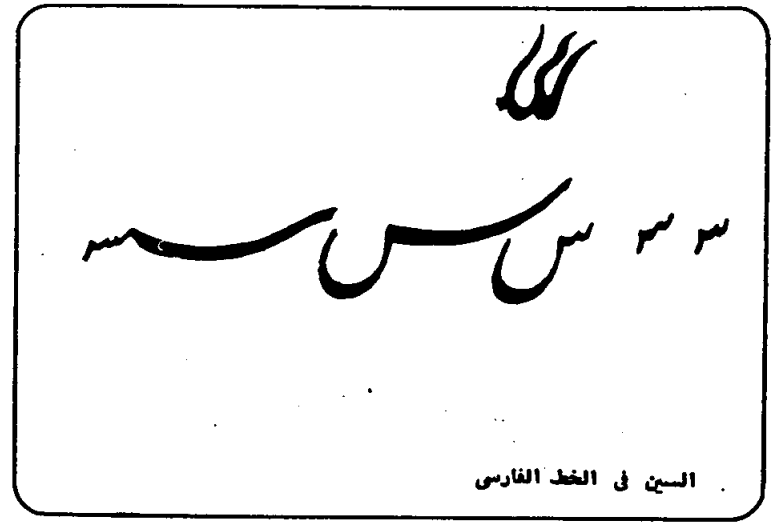

السين فى الخط الفارسى

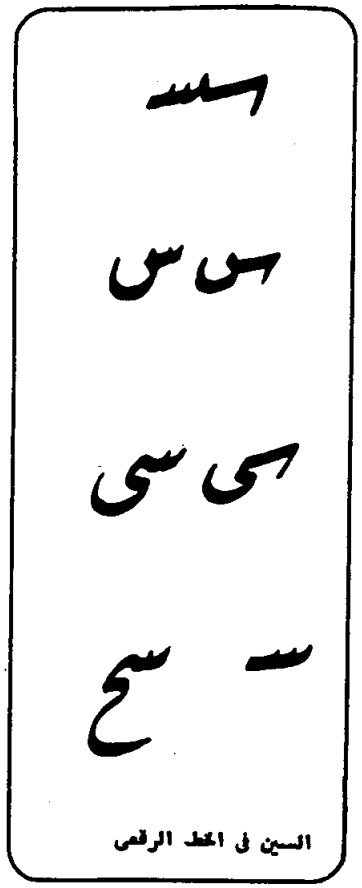

السين فى الخط الرقعى

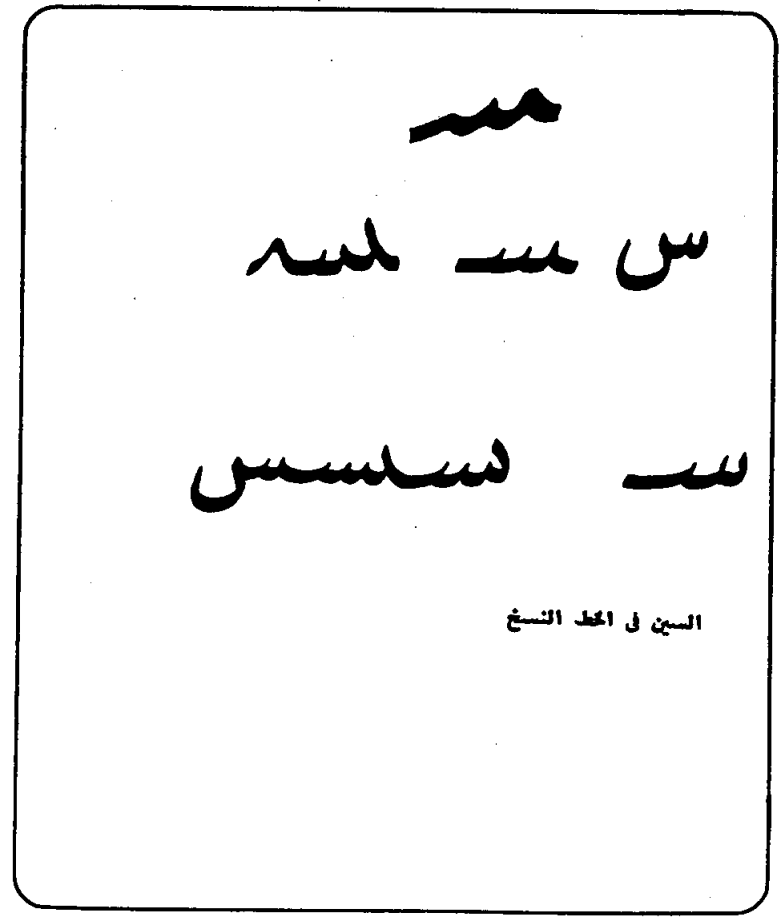

السين فى الخط النسخ

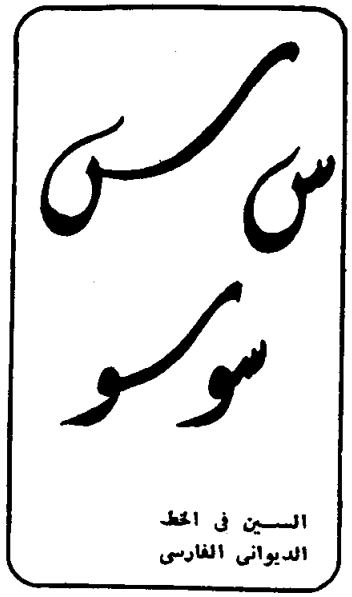

السين فى الخط
الديوانى الفارسى

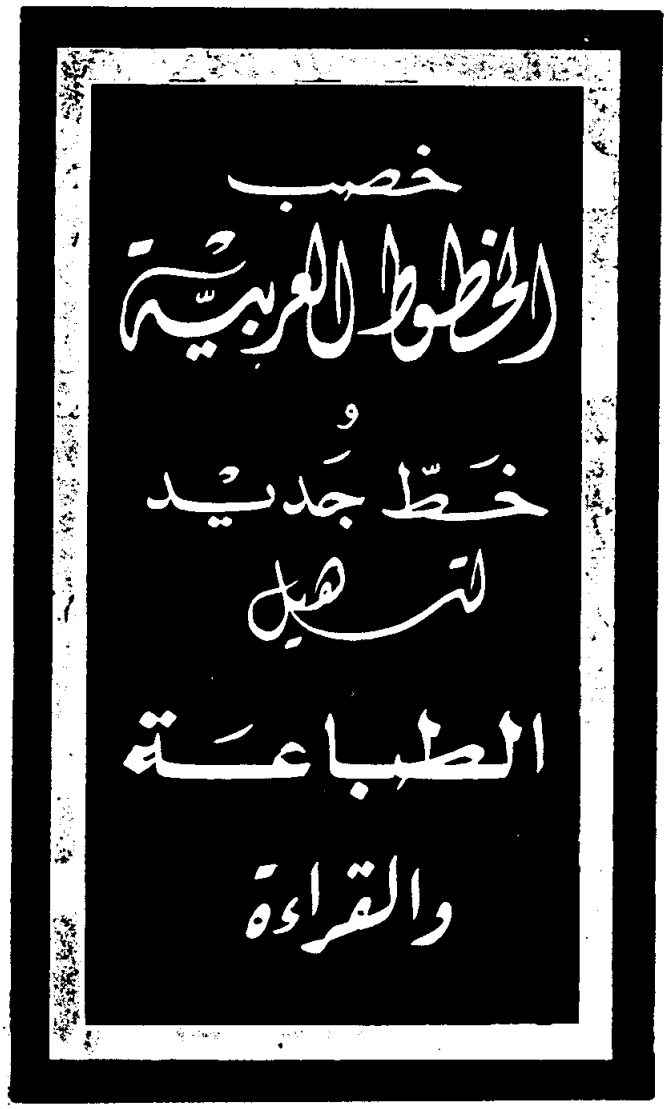
خصب
الخطوط العربية
وُ
خَطّ جَديد
لتسهيل
الطباعة
والقراءة

اللغة العربية بين الواقع والادعاء

الأستاذ محمد محمد الخطابي

لقد كثرت الدراسات ، وتعددت المناقشات فى ايامنا هذه ، عن اللغة العربية وعن مدى قدرتها على استيعاب علوم العصر ، وتخوف فريق من عدم امكان اللغة العربية مسايرة هذا العصر المتطور المذهل . كما تحمس فريق آخر فأبرز امكانات هذه اللغة مستشهدا بتجربة الماضى حيث بلغت اللغة العربية فيه فى نقل العلوم وترجمتها شأوا بعيدا ، ولقد كثر الكلام فى هذا المجال حتى كاد يصبح حديث جميع المجالس والمنتديات فى مختلف البلاد العربية ، فهل تعانى العربية حقا من هذا النقص ؟ وتعيش نوعا من العزلة لدرجة انها فى حاجة الى دفاع ومناقشات من هذا القبيل ؟

واحقاقا للحق يمكن القول بأن اللغة العربية ليست فى حاجة الى ارتداء درع الوقاية يحميها هجمات الكائدين ويرد عنها شماتة المغرضين ، اذ تؤكد كل الدلائل قديما وحديثا — ان هذه اللغة — كانت وما تزال لغة حية مكتملة الجوانب اللهم ما يريد ان يلحق بها بعض المتشككين من نعوت وعيوب كانت قد اثارتها زمرة من المستشرقين الحاقدين فى منتصف هذا القرن حيث أوجدوا موضوعات لم يكن لها وجود قبلهم ، وما كانت لتعد مشاكل ونواقص تحول دون الخلق والتأليف والابداع . وانما كان الغرض من خلق هذه المشاكل اثارة البلبلة بين ابناء هذه اللغة وبث الشكوك فيما بينهم ازاء هذه اللغة التى يعرفون هم انفسهم جيدا انها لغة تتوفر على جميع مقومات اللغات الحية المتطورة الصالحة لكل عصر ، ثم هم فعلوا ذلك متوخين القضاء عليها واحلال محلها لغة المستعمر الدخيل ، من هذه المشاكل التى اثيرت على سبيل المثال ، مشكلة الحرف العربى ، مشكلة النحو العربى ، مشكلة الشكل ، العامية والفصحى .. الخ.

ويجدر بنا أن نتوقف قليلا عند كل نقطة من هذه النقاط فى محاولة معرفة هل هى حقا مشاكل حقيقية تعانى منها اللغة العربية ام ان لغتنا براء من هذه الادعاءات ؟

اما بالنسبة للحرف العربى فقد تعددت محاولات اصلاحه وتحسينه ولكنها باءت كلها بالفشل الذريع، وظلت الغلبة للاشكال المتوارثة التى كتبت بها عشرات الآلاف من الكتب فى مختلف الميادين العلمية والفلسفية والادبية .. وسواها ، قالوا ان شكل

الحرف الراهن وتركيبه لا يتفق والعصر ، وان رصف صفحة بالخط الفرنجي يعادل فى الزمن رصف صفحتين فى الخط العربى لتزايد عيون الحرف العربى التى تتعدد وتتغير بتغير مواقعها فى الاول او الوسط او الآخر وهكذا .. فتقدم لنا كثير من الباحثين اشكالا متباينة لخط جديد تشبه الى حد بعيد رسوم الخط الفرنجي ، غير أن القارىء العربى يكتشف منذ الوهلة الاولى انها فى غالبيتها اشكال غريبة عليه يمجها ذوقه العربى السليم ، بل انها فى بعض الاحيان تكلفه عناء شديدا فى هجاء حرف واحد منها ! والحقيقة التى تتضح بعد ذلك هى أن جمالية الخط العربى أو حرفه لا تبارى « فقد ثبت الآن أن الحرف العربى حرف مثالى فى جمال تكوينه وشكله وتنوعه والتوائه واستوائه وتعريجاته واختصاره ، وأن الصفحة الواحدة من الكتاب العربى لو كتبت بالحرف اللاتينى لاحتاجت الى صفحتين على الاقل ، فالكتاب المؤلف من مائة صفحة بهذا الخط الجميل لا يمكن رصفه بأقل من مائتى صفحة بالحرف اللاتينى ، ثم ان تطور الطباعة اليوم يتجه اتجاها سريعا نحو اللونتيب والمونوتيب . ومعنى ذلك هو العدول بالتدريج عن اسلوب الرصف الحرفى واختصار القوالب الى نحو 160 فقط ، وقد توصل بعض العلماء الى ابتكار رسم حديث للحرف العربى لا يخرجه عن شكله ولا يبعده عن اصله ولا تزيد قوالبه على المائة والامل قريب بتوفيق جامعة الدول العربية الى حل مشكلة الحرف حلا سريعا وموضوعيا تسهل به الكتابة على الراقنة وفى المطابع بحيث تسقط دعوى الداعين الى الحروف اللاتينية وينعقد خصومنا معركة » (1) .

حقا انه لمن السخف أن نجد بين ظهرانينا من تسمح له نفسه بالدعوة الى استبدال الحرف العربى بالحرف اللاتينى متخذين مما ابتدعه مصطفى اتاتورك للغة التركية مثالا يحتذى وكذلك بدعوى السهولة واليسر وضبط الكتابة وابراز حركات الحروف ، وهذه دعوى باطلة من اساسها تحمس لها بعض ذوى النيات السيئة من اعداد هذه اللغة عربا كانوا ام اجانب ، ومن بين المفكرين الذين تحمسوا لهذه الدعوى ذوى الثقل الخاص فى العصر الحديث يذكر اسم الكاتب سلامة موسى فى مصر الذى تحمس لهذه الفكرة وقدم تبريرات ومقترحات فى شأنها يقول فى هذا الخصوص : « هذا السخط الذى يتولانا كلما فكرنا فى حالنا الثقافية وتعطيل هذه اللغة لنا عن الرقى الثقافى ، تزيد حدته كلما فكرنا وادى بنا التفكير الى اليقين بأن اصلاحها مستطاع ، والقلق عام ولكن الجبن عن الابتكار اعم . ولذلك كلما نجد الشجاعة للدعوة الى الاصلاح الجرىء الا فى رجال نابهين لا يبالون الجهلة والحمقى مثل قاسم أمين ، او أحمد امين فى الدعوة الى الغاء الاعراب ، ومثل عبد العزيز فهمى حيث يدعو الى الخط اللاتينى هو وثبة المستقبل لو اننا عملنا به لاستطعنا ان ننقل مصر الى مقام تركيا (؟!) التى اغلق عليها هذا الخط ابواب ماضيها وفتح لها ابواب مستقبلها » .

ولقد قدم سلامة موسى بعض المقترحات نجملها فيما يلى :

هذا الاقتراح يحتاج اولا الى الغاء الاعراب وميزاته :

اولا : الاقتراب من التوحيد الشرى لانه وسيلة القراءة والكتابة عند المتمرنين الذين يملكون الصناعة اى العلم والقوة والمستقبل . وهذا الخط تاخذ به الامم التى ترغب فى التجدد كما فعلت تركيا ، ومن المرجح أن يعمم هذا الخط العالم كله تقريبا .

وثانيا : حين نصطنع الخط اللاتينى يزول هذا الانفصال النفسى الذى أحدثته هاتان الكلمتان المشؤومتان : شرق وغرب ، فلا نتغير من أن نعيش العيشة العصرية ولان يجر هذا الخط فى اثره كثيرا من ضروب الاصلاح الاخرى مثل المساواة الاقتصادية بين الجنسين ، ومثل التفكير العلمى والعقلية بل النفسية العلمية ايضا ، الخ .

وثالثا ورابعا وخامسا :

وسادسا : اننا عند ما نكتب بالخط اللاتينى نجد

---

(1) انظر مجلة « اللسان العربى » المجلد التاسع الجزء الاول ص 9 . ضمن مقال ثورية التعريب للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله .

أن تعلم اللغات الاوروبية قد سهل أيضا ، فتفتح لنا آفاق هى الآن مغلقة (2) .

ويختم سلامة موسى هذه المقترحات بالتساؤل التالى : « وبالجملة نستطيع أن نقول ان الخط اللاتينى هو وثبة فى النور نحو المستقبل ، ولكن هل العناصر التى تنتفع ببقاء الخط العربى والتقاليد ترضى بهذه الوثبة ؟

ان القارىء الكريم يلاحظ — لا شك — كم فى هذه الدعوة من مغالاة كما انه يتبين له ولا ريب انها لا تستند الى أساس سليم تبنى عليه وانما هى دعوة تخريب أكثر مما هى دعوة بناء ، فهى بالتالى دعوة باطلة كغيرها من الدعوات المشبوهة التى لا ترمى سوى الى تشتيت التراث العربى وتشويهه ، ولقد حاق بدعوة سلامة موسى فشل ذريع كما باءت بالفشل دعوات غيره من أمثال أمين شميل ، وعبد العزيز فهمى وقبلهما الدكتور سبيتا ، وويلمور ، ووليم ويلكوكس ، وغيرهم من المغرضين . « وظلت السيطرة للحرف العربى » ثم ماذا كان سيفعل هؤلاء فى كثير من الحروف العربية التى لا تجد لها رسما سوى فى النطق العربى كحروف : الحاء ، والغين ، والعين ، والذال ، والضاد ، والطاء ، والقاف ، والثاء ، والهاء .. الخ . ثم ماذا سيكون موقفهم من التراث العربى المكتوب بحروف عربية ؟ وهكذا وئدت هذه الدعوة فى مهدها .

ننتقل بعد ذلك الى مسألة النحو العربى ، ان النشأ من متعلمى اللغة العربية يتكون من صعوبة نحوها ، والحق أنه ما من « نحو » فى أى لغة من لغات الارض الا ويعانى أصحابها من هذه الشكوى . ولقد أصبح « نحو » اللغة الالمانية مضرب الامثال فى الصعوبة والتعقيد على أن قواعد العربية ليست أشد صعوبة من هذه اللغة أو تلك ، يقول الدكتور : محمد كامل حسين فى دراسة قيمة له عن النحو العربى : « والواقع أن قواعد اللغة العربية بسيطة جدا يمكن الالمام بها بعد درس غير مرهق ، ولا يحتاج المتعلم بعد ذلك الا الى المران على تطبيق هذه القواعد الشاملة فيستقيم بذلك لسانه دون عناء كبير (3) . ان الخطأ الفادح الذى يقع فيه مخططو مناهج التعليم عندنا كونهم يلقنون القواعد فى صورتها الجافة قبل النصوص ، فى حين اننا نجد أن القائمين على مناهج التعليم فى المدارس الاوربية على اختلافها يعودون التلميذ على التعامل مع النص — فى المقام الاول — فهو يقرأ ويعيد ويحفظ من غير أن يكون ذا المام واسع بعلم النحو ، ثم يطبق — بعد ذلك ما قرأه على القواعد ، فماذا أردنا الخروج بنحونا من صلابته وجفوته علينا أن نكثر فى المراحل الاولى من مناهج تعليمنا من النصوص وما أغنى لغتنا العربية بشتى أنواع هذه النصوص على اختلافها ، فالتعامل مع النص يكسب الطالب أو المتعلم سليقة فطرية ويعوده بطريقة تلقائية على اشكال الحروف وبنائها وتراكيبها وتعدد أساليبها ، والتاريخ العربى يقول لنا ان النص سابق للنحو ، فقد وجدت النصوص منذ كانت العربية ، أما النحو « كعلم قائم مدون » فلم توضع مبادئه الا فى زمن متأخر جدا أى فى القرن الاول الهجرى أيام على بن ابى طالب ، وكلنا يعرف قصة أبى الاسود الدؤلى مع ابنته وغيرها من القصص التى تروى فى مجال سبب وضع النحو العربى .

لقد كانت العرب اذن تنطق بالسليقة ، ولا تخطىء أبدا فى كلامها من غير أن تعلم لماذا كان الفاعل مرفوعا ولا المفعول منصوبا ، كما أن كثيرا من علماء العربية وواضعى معاجمها المشهورة كانوا يقصدون الاعراب فى البوادى حيث العربية سليمة نقية غير مشوبة فيأخذون عنهم النطق الصحيح ، ومعروف عن الزمخشرى هذا حيث أنه فى « أساس بلاغته » كان يؤم البوادى العربية ويسجل المعانى المستعملة عندها وهكذا الشأن مع باقى لغويى العرب .

اذن فالشكوى من النحو هى شكوى من قواعده الجافة الموضوعة فى قوالب مملة شأنها شأن القوانين الجامدة ، أما اللغة العربية فالدليل قائم — قديما وحديثا — على أن المران والمتابعة والممارسة كل أولئك يكسب الدارس لها مهارة فائقة على التركيب

(2) سلامة موسى ، البلاغة العصرية واللغة العربية ص 109 . نقلا عن اللغة العربية وعلوم العصر ، للدكتورة بنت الشاطىء « اللسان العربى » المجلد الرابع عشر ج 1 ص 15 .
(3) مجلة « مجمع اللغة العربية » القاهرة ، فبراير 1971 ص 26 .

السليم والنطق الصحيح ، وكم من متعلم أو كاتب لم يدرس القواعد قط ومع ذلك يستطيع أن يكتب ويؤلف نتيجة الممارسة والقراءة المتواصلة ، الم يقل الشاعر :

ولست بنحوي يلوك لسانه
ولكن سليقي اقول فاعرب

القول المعرب اذن توامه القراءة الكثيرة والخوض فى النصوص وهذا ما نرجو ان يتم فى مناهج دراستنا اى مضاعفة حصص النصوص ، وبالمقابل حسن اختيار القواعد ، وانطلاقا من النص ودراسته نستنتج القاعدة التى بنى عليها هذا النص ، وهذا مغناه التطبيق الفعلى للدراسة النظرية .. فانت قد تتعلم اى علم من العلوم او اى فن من الفنون ، الطب السياقة ، الخياطة .. الخ فى حجرة مغلقة تدرس قواعد هذا الفن او ذلك العلم ولكنك فى الحقيقة لن تفيد شيئا الا اذا طبقت ذلك بطريقة عملية فتكسب من ثم مهارة التطبيق مع حسن النظر والدرس .

وكم هى محاولات تبسيط النحو العربى التى تقدم بها كثير من الدارسين فى مختلف البلاد العربية غير انه ظل ما يقدمونه حبرا على ورق مبثوثا فى مختلف ادراج المؤسسات اللغوية العربية دون أن يغير شيئا من المشكلة القائمة ، الحل اذن يكمن فى محاولة الاكثار من النصوص بما يتلاءم ومستوى المتعلم ..

أما مسألة الشاذ فى اللغة الذى يخرج عن المألوف والاستعمال يظل صورة متحفية لنطق بعض القبائل العربية القديمة لا ينبغى أن نأخذ به ، فالشاذ أو النادر لا حكم له كما يقال . وتنبثق عن مسألة النحو العربى مسألة اخرى يرى فيها البعض مشكلة قائمة بذاتها لا تقل اهمية عن غيرها من المشاكل التى تعانى منها اللغة العربية ، وهى مسألة « الشكل » شكل الحروف العربية تفاديا للغموض واللبس والابهام وتعدد المفاهيم . وهناك اتهام مشهور يوجه لابناء اللغة العربية — فى هذا الصدد — وهو انه حتى كبار دارسيها يحارون أو يتعثرون فى بعض الاحيان عند قراءة نص من النصوص العربية مخافة الخطأ او اللحن ومن أجل شكلها شكلا صحيحا . على حين اننا نجد القارىء الفرنسى — مثلا — حتى وان كان دون مستوى مرحلة الباكالوريا يقرأ النصوص فى لغته بطلاقة من غير أن يرتكب خطأ واحدا ، وهذه من اخطر الاتهامات التى توجه للغتنا ويرى فيها الباحثون رأيين الاول يقول : ان اللغة العربية ليست صعبة كما يدعون ، بل ان النقص كامن فينا لا يجيدها حق الاجادة ، واذا كان المرء عالما بأصولها ، مطلعا على اسرارها ، دارسا لقواعدها ، ملما بأساليبها ، فانه لن يخطىء ابدا ! فى حين يذهب الرأى الآخر الى عكس هذا على الاطلاق فيقرر أن العربية فعلا تشكو من هذه النقيصة ، فيما يخص شكل الكلمات على الاقل ، حقا هناك كلمات يحار المرء فى قراءتها القراءة الصحيحة وقد يقرأها على غير حقيقتها . وهناك اخرى يمكن نطقها على خمسة أو ستة أوجه ، وهذه مشكلة فى حد ذاتها ولكن كما اسلفت مع المران والقراءة المتعددة وتتبع السياق كل ذلك يساعد على تفادى امثال هذه الامور التى لم تحل ابدا دون التاليف والخلق والابداع المستمر على امتداد تاريخ العربية الحافل بجليل الآثار فى كل علم . وبخصوص « الشكل » اقترح بعض الدارسين ضرورة الزام الحركات مع الكلمة بتصويرها فى آخرها بحيث تشكل حرفا جديدا قائما بذاته ، فى حين اقترح آخرون كتابتها بازاء كل حرف على غرار الحرف اللاتينى !

وقد بذل بعض العلماء العرب محاولات موفقة فى هذا الصدد ، فقد وضع بعضهم رسومات للخط العربى لا يتطلب الطبع بهذه الحروف الجديدة سوى الى تسعين حرفا فى حين كان يتطلب الطبع بالحروف العربية العادية بالشكل التام خمسة وسبعين واربعمائة حرف من الحروف المحززة (التى حززت لتتراكب وتتداخل) وما يزيد على ثمانمائة حرف من الحروف الغير المحززة » (4) .

وقد طبقت بعض هذه النماذج فى بعض الكتب والصحف المغربية فلاقت اقبالا واستحسانا وهى لعمرى حروف مقبولة لا غبار عليها ، من اهم مميزاتها الزامها الشكل فى جميع الحالات ، ثم هى لا تغير من صورة الحرف العربى ولا تفقده جماليته .

(4) انظر الرسم النموذجى لمشروع اصلاح الطباعة العربية (اللسان العربى) ، المجلد التاسع الجزء الاول ص 218 بتاريخ 1972 ، للاستاذ احمد الاخضر غزال .

وحار قوم فى هذا العصر فى استعمال الفصحى ام العامية ؟ ولقد تعددت الدراسات فى هذا المجال بين مؤيد للعامية متعصب اعمى لهـا بدعـوى التبسيط والسهولة واليسر ، وبين مستمسك بالفصحى لا يرضى بها بديلا ، والحقيقة التى اثبتتها السنون ان الغلبـة دائما كانت للفصحى ، على الرغم من كيد الكائدين فكم من كاتب نادى وتحمس بل وكتب ووضع تعابير خاصة للعامية (5) قصد نشرها وتعميمها فى محاولة القضاء على الفصحى ، والغرابة ان هؤلاء الذيـن كانوا متحمسين للعامية عادوا جميعا يكتبون بلغـة عربية فصحى ناصعة صافية نقية سليمة وفى فترة ما من فترات حياة ادبينا الكبير المرحوم محمود تيمور كان قد تحول عن الفصحى الى العامية بل انه كتب قصصا بها غير انه سرعان ما عاد ، كاتبا عربيا مبينا بل ومتحمسا كبيرا للفصحى ومدافعا عن لوائها كعضو بارز فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة احـد اعـرق معاقل الدفاع عن الفصحى وتراثها ..

ان العالم يركض ويجرى من حولنا والحضارة تقذف الينا بعشرات المصطلحات يوميا ، والاختراعات تلو الاختراعات تترى فى حياتنا المعاصرة .. والسنون لا ترحم ، تطوى بعضها طيا ، ونحن ما زلنا نطيـل النظر ونتبادل الراى فى أمور كان ينبغى تفاديها منذ نصف قرن كاننا نحيى لغة مواتا وكان لم يكفنا دليلا شهادة اربعة عشر قرنا من الزمان (على حد قـول ماسنيون) برهنت فيها اللغة العربية بانها كانت دائما لغة علم بل وقدمت للعلم خدمات جليلـة باعتـراف الجميع كما اضافت اليه اضافات يعترف لها بها العلم الحديث ، فهى اذن لغة غير عاجزة البتة على المتابعة والمسايرة والترجمة والعطاء بنفس الـروح والقـوة والفعالية التى طبعتها على امتداد قرون خلت ، ويتضح لنا بالتالى ان ما ندعيه مشاكل فى اللغة العربية ليست سوى حواجز يضعها الحاقدون عثرة فى سبيل اللغة ويختلقها الناقمون على تراثها وحضارتها ، ولا اجـد ما اختم به هذا العرض خيرا من كلمة الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء ، التى تقول : « واذا كانت العربية قد صمدت لكل هذه الحملات الضارية التـى جاءتها من الاجانب الغرباء ومن ابنائها المغتـربين ، تجاربنا باللهجات العامية حينا وبالخط اللاتينى حينا آخر ، وتتهمنا بالبداوة والعقم فتعزلنا عن الميدان العلمى لتظل نائية بها عن روح العصر ، اقول اذا كانت العربية قد صمدت لهذه الحملات ، فلانها دون ريب تملك القوة والحيوية والصلاحية للبقاء ، مـا تاومت به محاولات المسخ ورفضت نبوءة المتنبئين لها بالموت » (6) .

---

(5) انظر كتاب : سلامة موسى البلاغة العصريـة واللغة العربية ص 75 . عـن بحث الدكتـورة بنت الشاطىء المشار اليه سابقا .

(6) اللغة العربية وعلوم العصر (بنت الشاطىء) من كتاب المؤلفة « لغتنا والحياة » .

مزالق التعريب

الأستاذ ادريس العلمي - الدار البيضاء

لشد ما يحز فى نفسى أن اسمع أو اقرأ مثل هاته العبارة التى تتردد على كثير من الاقلام والالسنة سواء فى مجال التعريب والترجمة وفى مجال الانشاء والتحرير: « لعب القرآن دورا كبيرا فى حفظ اللغة العربية وانتشارها » او « لعب الاسلام دورا عظيما فى توحيد كلمة سكان جزيرة العرب » الى آخر ذلك من العبارات التى يستعمل فيها فعل « لعب » ضده معناه اللغوى فى الحقيقة وفى المجاز وعكس مفهومه فى القديم والحديث عند ما يعنى به قام بعمل جدى ، أو فعل شيئا مجديا ، أو قصد مقصدا صحيحا ، أو عمل عملا صالحا او مستقيما وذلك لان لفظ « اللعب » ما عنى قط فى كلام العرب ولا فى افهامهم منذ أن كانت لغة الضاد الى يومنا هذا معنى من هذه المعانى التى لم يرد له فيها استعمال · وقد اتفقت المعاجم العربية قديمها وحديثها على أن لفظ « اللعب » يطلق حقيقة على اللهو ويطلق مجازا على كل عمل لا يجدى نفعا أو لا يقصد به مقصد صحيح أو على كل عمل لا يستقيم ·

ولم يستعمل قط ، قبل هذا ، بل ولا يستعمل حتى الآن فعل « لعب » للدلالة على الجد أو الجداية او صحة القصد او العمل الصالح أو المستقيم الا فى المجاز المنتحل لهذه العبارة وحدها : « لعب دورا » وهى عبارة غير صحيحة من الناحية اللغوية لا شكلا ولا موضوعا ، اى لا من حيث اللفظ ، ولا من حيث المعنى ، كما سيتبين ذلك من بقية البحث ·

فليست هذه العبارة المقحمة فى اللغة العربية تعسفا سوى ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية « Jouer un rôle » التى لها معنى حقيقى ومعنى مجازى اعطيا معا للعبارة الملفقة · ويقصد بالعبارة الفرنسية حسب موسوعة لاروس فى شرح حقيقتها : « مثل دورا فى المسرح او السينما » أما فى شرح مجازها الذى هو موضوع بحثنا فقد ورد ما يلى : « قام بعمل ، او بوظيفة ، سلك سلوكا ما ، كان مائلا على نحو ما فى ظرف من الظروف ، كان له اثر أو تاثير ما »·

فترجمتها بعبارة «لعب دورا» ترجمة بعيدة عن الصواب كل البعد لانها انتحلت لفعل «لعب» العربى خصائص لغوية ، نحوية ودلالية ، اختص بها فعل « Jouer » الفرنسى ما كانت للفعل العربى ولا يسوغ له لشدة اختلاف وتباين البيئة اللغوية التى

نشا وترعرع فيها الفعل العربى عن البيئة التى يوجد فيها الفعل الفرنسى ·

فمن المعلوم عند من يحسن اللغتين أن فعل « Jouer » يستعمل فى لغته لازما ومتعديا بنفسه ومتعديا بغيره بينما فعل « لعب » لا يستعمل فى اللغة العربية الا لازما ولم يستعمل متعديا بنفسه قط على نحو ما هو فى عبارة « لعب دورا » · فان العرب تقول : « لعبنا بالشطرنج ، ولعبنا بالنرد او بالكرة » ولا تقول « لعبنا الشطرنج الخ . . » فالترجمة اذن قد انتحلت التعدية لفعل « لعب » العربى اللازم لا لشىء الا لتجعله على غرار الفعل الفرنسى « Jouer » سواء بسواء » هذا من حيث اللفظ ·

اما من حيث المعنى فان من يتتبع الوجوه والمواطن التى يستعمل فيها فعل « Jouer » الفرنسى ومصدره « Jeu » يجدهما على خلاف فعل « لعب » ومصدره « اللعب » يتقلبان فى بيئة لغوية يمتزج فيها الجد واللهو والصلاح والفساد ، والجداية والعبث والاستقامة والانحراف والنفع والضرر ، حيث لهما دلالات اصطلاحية علمية وتقنية فى شتى الميادين نذكر بعض ما ورد منها فى موسوعة لاروس مثل السكك الحديدية والبناء والاقتصاد السياسى والكهرباء والبحرية والمكنية والصيد والتقنولوجية ؛ هذا الى جانب استعمالهما فى الفنون الجميلة والالعاب الرياضية وغيرها ·

وبصدد الاستشهاد سينحصر سردنا للامثلة فى جانب الجد والاستقامة الذى اختص به فعل « Jouer » ومصدره « Jeu » دون الفعل العربى «لعب» ومصدره ونترك جانب اللهو والفساد الذى يشترك فيه الفعلان الفرنسى والعربى · وبما اننا نتعدى حدود هذا البحث اذا نحن استقصينا المعانى والامثلة والعبارات الواردة فى موسوعة لاروس ومعجم بول روبير فاننا سنجتزىء عنها بالعبارات والامثة والدلالات التالية التى تفيد العمل الجدى والاستقامة او الصلاح وصحة القصد او النفع او الجداية ·

ففيما يخص فعل « Jouer » نقتصر على المعانى التالية :

1) استعمل ، استخدم :

مثلا استعمل القضيب ، او المدية
Jouer du bâton, du couteau, du revolver, de l'éventail (etc ...) او المسدس او المروحة (الخ . .)

2) اشتغل ، شغل :

مثلا زنبرك او مزلاج لم يعد يشتغل
Ressort, verrou qui ne joue plus

شغل او ادار المفتاح فى القفل
Faire jouer la clef dans la serrure

شغل ديك بندقية
Faire jouer le chien d'un fusil

3) قام بعمله ، ادى واجبه

عمل ما عليه — Jouer son rôle

4) ضارب

مثلا : ضارب بالبورصة — Jouer à la Bourse

5) اعتمد على

مثلا : اعتمد على ضعف الغير او على بؤسه
Jouer sur la faiblesse, la misère d'autrui

6) انتصر ، تغلب

مثلا : تغلب على الصعاب
Se jouer des difficultés

7) استغل ، انتفع

مثلا : استغل نسبه ، او عاهته
Jouer de son ascendant, de son infirmité

8) تدخل

مثلا : لا دخل للاغراض الشخصية فيما بينهم
La question d'intérêt ne joue pas entre eux

9) فـــــر

مثلا : اطلق ساقيه الى الريح
Jouer des jambes

10) حـــاكـــى

مثلا : هذا الثوب يحاكى الحرير
Cette étoffe joue la soie

اما فيما يخص المصدر « Jeu » فاننا نكتفى بمـــا يلـــى :

1) حركة سهلة ، اشتغال شيء بانتظام

مثلا : اشتغال اسطوانة ، اشتغال مضخة
Le jeu d'un cylindre
Le jeu d'une pompe

وعلى سبيل المجـــاز : Au fig :
اشتغال المؤسسات او الانظمة
Le jeu des institutions

2) فعـــل ، عمـــل

بفعل احلاف سريـــة ،
Par le jeu d'alliances secrètes,

بتضافر اسباب شتـــى ،
Par le jeu de causes diverses,

فعل قوات خارجيـــة ،
Le jeu des forces extérieures,

القوات العاملـــة Les forces en jeu

3) مجـــال للتحـــرك

اعطى للقفل مجالا للتحرك
Donner du jeu à une serrure

4) تخلخـــل

مثلا : محور يتخلخل Axe qui a du jeu

5) مجمـــوعـــة

مثلا : مجموعة مفاتيح Un jeu de clefs.

مجموعة فرشات Un jeu de brosses

6) كان معنيا بشيء

كان موضوع مداولة Etre en jeu
(تقرير او مشروع او قانون الخ . .)

7) الشؤون ، القضايا

مثلا : احسن تدبير شؤونه Bien jouer son jeu

8) استخدام ، استعمال ، ادخال

مثلا : استخدم كل موارده
Mettre en jeu toutes ses ressources
Mettre quelqu'un en jeu ادخله فى قضية

9) تعريض لخطـــر

مثلا : عرض حياة انسان للخطر
Mettre en jeu la vie d'un homme

10) تـــورط Etre du jeu, être dans le jeu

فهذه امثلة قليلة من عشرات العبارات والدلالات على العمل المجدى والصلاح والاستقامة وصحة القصد التى يستعمـــل فيهـــا الفرنسيـــون فعـــل « Jouer » ومصـــدره « Jeu »ومنها يتكون جانب الجد فى البيئـــة اللغوية التى تنتمى اليها عبارة : « Jouer un rôle » المجازية التى نحن بصدد التعقيب عليها ، وهى بيئة لا يسع احدا ان يزعم انها غريبة عن العبارة المذكورة او انها لا تنسجم معها كل الانسجام ، فهل يمكننا ان نزعم مثل ذلك لعبارة « لعب دورا » المجازية التى يقصد بها قام بعمل مجد او كان له تاثير ما او فعل ما فى ظرف من الظروف ؟ نرجو القارىء الكريم ان يتفضل فيقوم معنا بجولة فى بيئة فعـــل « لعـــب » ومصدره « اللعب » لنتلمس فيها جانب الجد والجداية حتى نتبين مدى انسجام هذه العبـــارة مـــع البيئـــة اللغوية المراد الحاقها بها .

ففى (لسان العرب) لابن منظور المتوفى سنة 711 هجرية : « اللعب واللعب » : **ضد الجد** ، لعب

يلعب لعبا ولعبا ، ولعب ، وتلاعب ، وتلعب مرة بعد اخرى ، قال امرؤ القيس :

« تلعب باعث بذمة خالد
واودى عصام فى الخطوب الاوائل »

« وفى حديث تميم والجساسة : « صادفنا البحر حين اغتلم ، فلعب بنا الموج » شهرا ، سمى اضطراب الموج لعبا ، **لما لم يسر بهم الى الوجه الذى ارادوه** » · **ويقال لكل من عمل عملا لا يجدى عليه نفعا : انما انت لاعب** وفى حديث الاستنجاء : ان الشيطان يلعب بمقاعد بنى آدم ، اى انه يحضر امكنة الاستنجاء **ويرصدها بالاذى والفساد** ، لانها مواضع يهجر فيها ذكر الله ، وتكشف فيها العورات فأمر بسترها والامتناع من التعرض لبصر الناظرين ومهاب الرياح ورشاش البول وكل ذلك من **لعب** الشيطان ،

وفى الحديث لا يأخذن احدكم متاع اخيه **لاعبا جادا** : اى يأخذه ولا يريد سرقته ، ولكن يريد ادخال الهم والغيظ عليه فهو **لاعب فى السرقة** ، جاد فى الاذية وفى حديث على رضى الله عنه : زعم ابن النابغة انى تلعابة اى كثير المزح والمداعبة ، **ولعبت** الريح بالمنزل : **درسته** ، وملاعب الريح : مدارجها ، وتركته فى ملاعب الجن اى حيث لا يدرى اين هو (هـ) (اللسان)

وجاء فى شرح «معجم مقاييس اللغة» لابى الحسين احمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة 395 هجرية بخصوص مادة « لعب » : « .. وقيل ان اصل الباب هو الذهاب على غير استقامة » ·

وفى القاموس المحيط « للفيروزبادى المتوفى سنة 820 هجرية نجد الشرح التالى : لعب كسمع لعبا ولعبا ولعبا وتلعابا ولعب وتلعب وتلاعب **ضد جد** ، وهو لعب ولعب والعبان ولعبة كهمزة ، وتلعيبة وتلعاب وتلعابة ويفتحان وتلعاب وتلعابة كثير اللعب ، وبينهم العوبة اى لعب ، والملعب موضعه ، ولاعبها لعب معها ، والعبها جعلها تلعب او جاء بما تلعب به ، واللعوب الحسنة الدل ، وبلا لام من اسمائهن ، والملعبة كمحسنة ثوب بلا كم يلعب به الصبى واللعبة بالضم التمثال وما يلعب به كالشطرنج ونحوه ، والاحمق يسخر به ، ونوبة **اللعب** ، **وملاعب الريح** مدارجها .. » (اهـ · القاموس)

فى الصحاح للجوهرى المتوفى سنة 393 هجرية : « اللعب معروف واللعب مثله ، وقد لعب يلعب · وتلعب لعب مرة بعد اخرى » ورجل تلعابة : كثير اللعب ، والتلعاب بالفتح : المصدر والالعوبة اللعب ، والملعب : موضع اللعب ، واللعبة بالضم : لعبة الشطرنج والنرد وكل ملعوب به فهو لعبة .. » (اهـ ، الصحاح)

ومثل ذلك فى معجم « المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير » تأليف احمد بن محمد المقرى الفيومى المتوفى سنة 770 هجرية ·

وفى اقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد ، المطبوع سنة 1889 ميلادية تأليف سعيد الخورى الشرتونى : لعب الرجل لعبا ولعبا ولعبا وتلعابا : **ضد جد** — ومزح او فعل فعلا بقصد اللذة او التنزه **او غير قاصد به مقصدا صحيحا ، أو فعل فعلا لا يجدى عليه نفعا** .. الى غير ذلك وقيل : اللعب هو **فعل الصبيان** يعقب التعب **من غير فائدة** · لعب بكذا : اتخذه لعبة (اهـ ، اقرب الموارد) ·

ونجد نفس الشرح فى معاجم القرن العشرين ، ففى « معجم متن اللغة » للمرحوم الشيخ احمد رضا العضو السابق فى المجمع العلمى العربى بدمشق : لعب لعبا ولعبا ولعبا وتلعابا ولعابا : **فعل فعلا على غير صحيح ضد جد** ، والعبها جاءها بما تلعب به ؛ ولعبت الريح بالمنزل : درسته · (اهـ المتن)

وفى « المعجم الوسيط » الذى اصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة : لعب يلعب لعبا ولعبا : لها · وفى التنزيل العزيز : (ارسله معنا غدا يرتع ويلعب) ولعب بالشىء اتخذه لعبة · ولعب فى الدين **اتخذه سخرية** · وفى التنزيل العزيز : (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) ولعب : **عمل عملا لا يجدى عليه نفعا** (ضد جد) · وفى التنزيل العزيز : (فذرهم يخوضوا ويلعبوا) فهو لاعب ولعب ، ويقال : لعبت بهم الهموم : **عبثت** بهم ، ولعبت الريح بالمنزل : درسته ·

عند ما وصلنا فى تحرير هذا البحث الى هنا لم نكن رجعنا الى «المنجد فى اللغة» تأليف لويس معلوف فبدا لنا ان استشهادنا بمعاجم القرن العشرين سيظل

ناقصا ما لم يتضمن شرح هذا المعجم الكثير الانتشار والاشتهار وقد فوجئنا مفاجأة سارة اذ وجدنا ضمن شرحه التنبيه على خطأ هذه العبارة بالذات وذلك فـي قوله : « يقال خطأ (لعب دورا) والصواب مثـل دورا » اما بقية الشرح فمثـل ما ورد « فى اقرب المـوارد » ·

وهذا التنبيه الذى لم نكن ننتظره من معجـم وان كان تأييدا قويا لرأينا لم يصحح خطأ العبـارة المذكورة الا من حيث استعمالها فى الحقيقة لا فى المجاز الذى نحن بصدد الحديث عن استعمالها فيه بالذات ·

فنستخلص اذن مما تقدم أن لفظ « اللعب » لم يرد له استعمال فى كلام العرب لا فى شعرهم ولا فى نثرهم ولا فى القرآن الكريم ولا فى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بغير معنـى « اللهـو » او « العبث » أو « الفساد » أو « عدم الاستقامة » ، ولم يعن قط على اى حال فى يوم من الايام الجد او العمل المجدى او الصالح او المستقيم بل وحتى فـى وقتنا الحاضر لا يراد له ان يعنى الجد الا فى المجاز المنتحل لهذه العبارة الخاطئـة من اصلهـا « لعب دورا » وهى كما يلاحظ القارىء الكريم ـ عبـارة غريبـة كـل الغرابة عن بيئتها اللغوية تنفـر منهـا نفـورا شديـدا ؛ فيهـا تلاعب خطير بحرمة اللغة العربية من شأنه ان يحدث فيها ثغرة كبيرة يتدفق منها سيل العجمة والرطانة ليجرف الفصيـح ويـذهب بالصحيح ، ثم ان فيها لتلاعبا بحرمة المقدسات الدينية عند ما تستعمل فى مثل العبارتين اللتين صدرنا بهما هذا البحث · فهل ضاقت اللغة العربية على هؤلاء المترجمين والمنشئين بما رحبت حتى يلجأوا الى مثل هذه العبارة النابية الواهية ؟ ! الم يجدوا فى مأثـور لغة الضاد ما كان جديـرا أن يغنيهم عـن التكلف والتمحل ؟ ! فيا ليت شعرى ما كان يضيرهم لو قالوا مثلا : « كان للقـرآن فضـل كبير فى حفظ اللغـة العربية . . » ؟ ! او « كان للاسلام فضل عظيم فـى توحيد كلمة سكان جزيرة العرب » ؟ او « كان لهما شأن عظيم فى ،،، او أثر كبير فى ،،، » الخ ،،، واذا كان لا مندوحة عن جدة التعبير وطرافته الملحوظتين فى كلمة « دور » فبامكانهم أن يقولوا مثلا : « قـام الاسلام او القرآن بدور كبير فى ،،، » فهذه كلهـا عبارات تؤدى تماما المعنى المجازى للعبارة الفرنسية « Jouer un grand rôle » أم لا تصح فى نظرهم الترجمة ولا يستقيم لهم الكلام حتى يقيسوا ويفصلوا ويخيطوا ثم يصبغوا دلالات الالفاظ العربية على ابعاد واشكال والوان دلالات الفاظ اللغة الاجنبية التـى ينقلون عنها ؟ فاذا ساغ لهم أن يترجموا مجاز عبارة « Jouer un rôle » بـ « لعب دورا » فانـه يسوغ لهم كذلك أن يترجموا سائر العبارات الفرنسية المستعمل فيها فعل « Jouer » بـ « لعب » فيقولوا مثلا « زنبرك او مزلاج لم يعد يلعب » بدلا من « لـم يعد يشتغل » أو « العب المفتاح فى القفل » بدلا من « ادار او شغل المفتـاح فى القفـل » او « لعـب بالبورصة » بدلا من « ضارب » أو « لعبة مفاتيح » بدلا من « مجموعة مفاتيح » الخ ،،،

ان آفة التعريب هذه الترجمة الحرفية العمياء التى تطلع علينا تارة بما يبعث على البكاء وتفاجئنا تارة بما يثير فينا الضحك مثلما حدث فى قصـة صاحب دكان لبيع الدراجات فى احدى المدن المغربية غـداة اعلان الاستقلال · ففى غمرة الحماس ونشوة التحرر كان المواطنون يكثرون من استعمال عبارة « العهـد الجديد » فكتب صاحبنا على دكانه باللغة العربيـة « دراجات العهد الجديد » ثم بدا له ان يكتب العنوان بالفرنسية أيضا فالتجأ الى أحد التراجمـة الذيـن لا يعولون فى عملهم الا على معاجم الترجمة ، ولم يكـن حينذاك يوجد فى المغرب منها سوى معجمى بولـو اليسوعى فبحث الترجمان فى المعجم العربى الفرنسى « الفرائد الدرية » عن المقابل الفرنسى لعبارة « العهد الجديد » العربيـة فوجـد العبـارة الفـرنسيـة « Nouveau testament » هـى كمـا هـو معلـوم اصطلاح مسيحى يطلق على الكتب الدينية المكتوبـة بعد مجىء سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام فكتب صاحبنا على دكانه بالفرنسية العنوان التالى :

« Cycles du Nouveau testament »

فنرجو أن يتدارك الغيورون على اللغة الامر حتى لا يتسع الخرق وحتى لا يبلغ السيل الزبى ·

التخطيط اللغوي - مترجم عن الانجليزية -

الدكتور جوناثان بول

(عن نشرة "الرسالة الاخبارية للتخطيط اللغوي" التي يُصدرها المركز «الشرقي/الغربي» لمعهد التعلم الثقافي – في هونولولو ، هواي)

كانت للتخطيط اللغوي أهمية واضحة في الاتحاد السوفييتي منذ البداية ، وكان في بعض الاحيان موضوع قرارات تتخذ على أعلى المستويات السياسية . وترتبط السياسة اللغوية في الاتحاد السوفييتي ارتباطاً وثيقاً بالسياسة القومية ، وهذه بدورها احد مظاهر اختلاف الاديان ، ولا سيما أن درجة عالية من الصمود والتطور في اللغات المتميزة عن الروسية يمكن مشاهدتها في منطقة آسيا المركزية والقفقاسية التي تقطنها جماعات غفيرة من الشعب تتكلم بلغات تركية بعيدة عن الروسية ، ولها ثقافات تراثية يحكمها الاسلام وهذه كذلك جد مباينة للثقافة الروسية .

وعلى هذا الصدد سوف تقتصر ملاحظات شخصية لي تكونت خلال زيارة اسبوعين لهذه المنطقة في نيسان (أبريل) 1975 ، ضمن المنهاج المتبادل بين أكاديمية العلوم الوطنية الامريكية واكاديمية العلوم السوفييتية. وقد قضى الكاتب اسبوعاً واحداً في باكو وأذربايجان واسبوعاً واحداً في عشقاباد وتركمنستان .

ان العمل (الاجتماعي اللغوي) يتم في موسكو و في مدن الجمهوريات الاخرى،إلا أنه في الغالب نظري في موسكو . أما في اماكن مثل باكو وعشقاباد فيأخذ التخطيط اللغوي الاسبقية على (الثقافة اللغوية) . واما الثقافة اللغوية فان اتجاهها غالباً نحو الصياغة والتزويد باللوازم .

وتتضمن اهداف المخططين اللغويين ألفبة اللغات القومية (والمقصود هنا الاذربايجانية والتركمنية)،وتعبيرها وتطوير تقنية وضع مصطلحاتها ؛ مع تأليف الكتب المدرسية ونشرها في هذه اللغات ؛ وتدريب معلمي هذه اللغات ، وتدريب فئة العلميين على الاكثار من ممارسة العمل بهذه اللغات ، وتسجيل لهجاتهم المضمحلة .

ان المخططين اللغويين في باكو أذربا يجانيون بوجه عام وفي عشقاباد تركمنيون ، وهم من الاهلين الناطقين

باللغات التي يخططون لها ، ويعملون في مختلف الجامعات والاكاديميات العلمية في الجمهورية ولا سيما ما يختص منها باللغة والادب . وبينما يؤلف بعض المخططين اللغويين معاجم لا تنفك تتوسع للغات القومية يؤلف آخرون ارشادات لتوضيح كيفية الاستعمال بين جمهور المعنيين وتساعد على اتّساقها مع الفصحى .

ان المخططين اللغويين في اذربايجان وتركمنستان جادون في عملهم بإغناء لغتهم وتوسيع مهماتهما الاجتماعية وان احدى المسائل القليلة التي تستثير الاهتمام العاطفي في باكو هي : هل ستستعمل الاذربايجانية في المستقبل كلغة علم كما هي الآن ، أو على نطاق أوسع أو أضيق؟ لقد وجدت الاساتذة الاذربايجانيين يتحمسون في ادعائهم ان لغتهم سيكون دورها «أمجد» في المستقبل مما هو الآن ، وعرضوا فخورين الكتب المدرسية الجامعية التي دونوها بالاذربايجانية ، برهاناً على دعواهم. وقد دعمت رأيهم معروضات متحف التاريخ الاذربايجاني التي توضح كيف استقر الشعب الاذربايجاني منذ قرون عديدة على ارضي الجمهورية الحالية، وقاسوا الكثير من الغزوات ، وسلبهم الفاتحون الكثير من الاشياء ولكنهم لم يفقدوا لغتهم التي —على العكس— فرضت نفسها على الفاتحين .

في بعض الاحيان تعارض السياسة السوفييتية نزعات (الترويس) (1) لدى السكان ، من ذلك ان المنشورات الاذربايجانية والتركمنية تحذر من التمادي في اقتباس الالفاظ الروسية حين يكون في مقدور مصادر اللغة المحلية الإتيان بالكلمة المطلوبة . ان اللغة الادبية الفصحى الاذربايجانية والتركمنية لا تستعمل الضمائر الروسية، ولو أن الاذربايجانيين والتركمنيين من المزدوجي اللغة ، يستعملون بعض الالفاظ الروسية في أحاديثهم الدارجة .

ومن ناحية اخرى ، ما من احد يحاول ان يتظاهر بأن العلاقات متكافئة بين الروسية واللغات السوفييتية الاخرى . لا لأن الاهتمام بتعلم الروسية من قبل غير الروسيين أكبر من الاهتمام بتعلم الاذرية والتركمنية وغيرهما من قبل الروسيين فقط ، ولكن لان الروسية تعد كذلك مصدراً لإغناء اللغات الاخرى اكثر كثيراً من العكس . ومن المقبول بوجه عام ان التعابير الحديثة في اللغات التركية(2)التي لا تقوم على اسس اللغة الاهلية سوف تستعار من الروسية . وتستثنى من ذلك الجذور التي لها استعمال عالمي ولا تستعمل في الروسية . مع هذا اذا كانت الروسية تستعمل الجذر العالمي في صيغة محرفة فالصورة الروسية لا العالمية هي المأخوذ بها . (وشبيه بهذا موقف التركية من الفرنسية مثلا) .

إن باكو أشد تمسكا بمبدإ الاخذ باللغة الاذربايجانية من عشقاباد في استعمال التركمنية، فاللافتات العامة أكثر إصراراً على الازدواجية في باكو ، وحصص الاذاعات باللغة القومية أكثر ، إلى حد ملحوظ . وهذا طبيعي لان باكو تتألف من 46٪ من الاذربايجانيين و 28٪ فقط من الروسيّين ، بينما يوجد في عشقاباد 43٪ من الروسيين و 38 ٪ فقط من التركمنيين (1970) . كذلك بدأ الاهتمام اللغوي مبكراً في أذربايجان ، حتى ليقول المخططون اللغويون التركمنيون أنهم استدعوا خبراء أذربايجانيين لمساعدتهم في البداية . يضاف إلى هذا أن المخططين اللغويين يتدربون في كل جمهورية دون أن يغادروا جمهورياتهم للدراسة عن طريق وسيط آخر غير لغتهم .

والآن حيث يوجد العدد الكافي من المتخصصين القوميين في اللغات الاجنبية كذلك ، أكد لي اللغويون

---

(1) أي تغليب الروسية على اللغات الاخرى .
(2) اي التركمنية والاذرية .

الاذربيون أن كل أحد يوافق على مبدأ ترجمة الادب الاجنبي إلى اللغات القومية مباشرة ، لاكما اعتاد البعض أن يقترح ، عن طريق الترجمات الروسية لذلك الادب .

و لم يخش الزملاء أن يختلفوا بعضهم مع بعض بحضوري في عشقاباد . مثلا سألت اثنين من اللغويين : لوالتقى بعد عشرين سنة من اليوم روسي وتركمني في أحد شوارع عشقاباد فهل الارجح أن يتكلما بالروسية أم بالتركمنية ؟ قال احدهما : بالروسية . لكن الآخر ، الذي أشار إلى أن أفراد القوميات الاخرى في عشقاباد يرسلون الآن أولادهم الى المدارس التركمنية (لا الروسية)، يشعر أن المد قد أخذ بالانحسار ويرى أن المواطنين المفترضين سوف يتكلمان حين يلتقيان في شارع عشقاباد باللغة التركمنية على الاغلب .

وقد نشبت خلافات أخرى ولو أنها أهون شأنا ، حول مدى الاصلاح اللازم في ضبط إملاء اللغات التركمنية . ويعتقد اللغويون في كل من الجمهوريات أن من شأنهم أن يقرروا أي تغيير وكيف ومتى يكون في لغاتهم ، فاذا قررت جمهوريتان حل مشكلة املائية بطريقتين مختلفتين فان ذلك يعد ثمناً زهيداً في سبيل الحفاظ على اللغة القومية .

من الطبيعي أن المناقشة لاتقع بين المخططين اللغويين وحدهم ولكن بينهم وبين مستعملي اللغة أيضا ، إن قرارات دواوين المصطلحات والثقافة اللغوية تكون لها أحياناً قوة القانون (أي لجنة المصطلحات في أكاديمية العلوم في الجمهورية الأذربايجانية) وأحياناً لاتكون . لكنها في كلتا الحالتين تكون متبناة على المناقشات والمذاكرات التي تسبق سن التشريع وهي مسهبة جداً في بعض الاحيان. وعندما تتخذ بشأنها المقررات قد تعقبها المقاومة او الاعتراضات من قبل الادباء والمذيعين وغيرهم ثم تليها المساعي للاقناع أو اعادة النظر . وهذا المسار قد يكون مشابهاً لما يقع لدواوين التخطيط اللغوي في الاقطار الاخرى .

ويهتمون كثيراً في المدارس بنجاح تعلّم اللغة ، والذين لاقيتهم من المعلمين اللغويين المحترفين ، سواء للروسية أو غيرها من اللغات ، وسواء في مدارس باكو وعشقاباد أو قسم الانكليزية في جامعة الدولة بموسكو، متحمسون لمهنتهم ويبدوأنهم يحسنون أداءهاكل الاحسان. ولا جدال في أن الروسيين خارج المناطق الروسية عليهم أن يتعلموا اللغة القومية المحلية ، وكذلك العكس ، ولو خارج الجامعة. فمثلا في تركمنستان يتعلمون الروسية في المدارس التركمنية في الفصل الثاني، بينما يبدأ تعلم التركمنية في المدارس الروسية في الفصل الخامس . وقد فسروا لي هذه التفرقة بأنها نتيجة كون الروسية أشد صعوبة من التركمنية .

ومما استطعت أن أراه وجدت أن تعلم الروسية في المدارس غير الروسية ، واللغات الاجنبية على العموم ، يتم بالتخاطب المباشر ، عن طريق الاتصال باللغة الحية والمتكلمين بها .

والمخططون اللغويون السوفييت يعتبرون تجربتهم في هذا المضمار خلال العقود الستة الاخيرة من السنين، منبعاً فريداً من المعلومات والخبرة لزملائهم في الخارج. وسواء أكانت السياسة اللغوية السوفييتية تصلح نموذجاً للسياسة اللغوية في أقطار اخرى أم لا تصلح ، فان المخزن المتنوع من المعطيات التي استنبطتها الجهود السوفييتية في التخطيط اللغوي يمكن الانتفاع بها في اماكن اخرى كمعلومات عن السياسة اللغوية.وستكون مفيدة في مجال تنمية تبادل المعلومات بين الخبراء السوفييت وغيرهم في هذا المضمار.

علم اللغات البنائي ـ ملخص ـ

الدكتور المنجي الصيادي ـ تونس

تلقينا من السيد المنجي الصيادي بتونس مقالا بهذا العنوان آثرنا تلخيصه فيما يلي :

1 — يدعى بأن تاريخ علم اللغات ينسب الى قدماء المصريين والى كثير من الامم القديمة ثم ركز البحث على انه هندي وان اول من عرف به هو بانيني (القرن الخامس قبل الميلاد) .

2 — وجاء العرب بعد اليونان والرومان فبرعوا في وصف الجهاز الصوتي وبحث الادغام والابدال والقلب والحذف . .

3 — وكان الهدف دائما دينيا واخلاقيا ، اي قراءة النصوص الدينية على الوجه الصحيح .

4 — وظهر في اواخر القرون الوسطى علم اللغات المقارن واكتمل في القرن التاسع عشر :وبرزت النظرية البنائية في القرن العشرين وهي التي تدرس اللغة كلا مجموعا ولا تتبع تطور حرف صوتي او تحوله وحده ، اي انها تتبع التطور في داخل الصوت تابعا للصرف والنحو والتركيب .

5 — وعلى هذا فأساس النظرية البنائية هو دراسة التزامن اللغوي ضمن الزمان وضمن المكان . ويمكن التفريق بهذا بين اللغة والكلام فاللغة تجريد والكلام شخصي .

6 — ولا بد من معرفة علم وظائف الاصوات ووظيفتها في اللغة لتمييز مختلف المعاني .

7 — ومعرفة مبادىء علم اللغات البنائي ضرورى لمساعدة علماء الاجتماع والاقوام ، والمؤرخين . . لتطوير علومهم .

(اللسان العربي)

ثالثاً : في ملتقى ابن منظور

المعاجم الحديثة العامة والمختصة

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

لسنا فى حاجة الى بيان الدور الذى لعبته اللغة العربية فى العصر الجاهلى كأداة للتخاطب وكمصهر لصقل التعابير عن ادق الاحساسات وارق العواطف اذ يكفى ان نراجع موسوعات اللغة لنلمس ذلك الثراء الذى عز نظيره فى معظم لغات العالم ولعل من مظاهر هذا الثراء تدرج الاسماء لنفس المسميات فى مئات التعابير من القوة الى الضعف من خلال شتى الاعتبارات تبعا لادق مجالى الميز ولا تزال هذه الموسوعات اللغوية لم تدرس حق الدرس الى الآن وتنطوى على كنوز تكشف المجامع مع الايام عن مدى ارتباطها بالمعانى الجديد واتساقها مع مولدات الفكر الحديث .

على ان فى مصنفات الفنون والعلوم الرياضية والادبية والقانونية ذخيرة لغوية كانت هى القوام الإساسى للتفاهم بين العلماء والتعبير عن أعمق النظريات التقنية يوم كانت الحضارة العربية فى عنفوان ازدهارها ويكفى أن تتصفح كتابا علميا أو فلسفيا لتدرك مدى هذه القوة وتلك السعة الخارقة ففى العربية اذن «مقدرات» شاسعة لا يتوقف حسن استغلالها الا على مدى ضلاعتنا فى فقه اللغة .

وقد اوضح (جوستاف لوبون) فى كتابه « حضارة العرب » (2) ان العربية اصبحت اللغة العالمية فى جميع الاقطار التى دخلها العرب حيث خلفت تماما اللهجات التى كانت مستعملة فى تلك البلاد كالسريانية واليونانية والقبطية والبربرية . .

ووقع نفس الحادث كذلك فى فارس مدة طويلة ورغم انبعاث الفارسية بقيت العربية لغة جميع المثقفين وقد اكد جوستاف ايضا (ص 174) بأن الفرس يدرسون اليوم (اى اواخر القرن التاسع عشر) العلوم والدينيات والتاريخ فى مصنفات عربية .

هذا وقد عربت اهم المصنفات اليونانية فى عهد الخلفاء العباسيين حيث انكب العرب على دراسة الآداب الاجنبية بحماس « فاق الحماس الذى اظهرته اوربا فى عهد الانبعاث » وقد خضعت اللغة العربية

(1) نص محاضرة القاها السيد مدير مكتب التعريب فى لقاء قفصة حول ابن منظور .
(2) الطبعة الفرنسية ص 473 .

لمقتضيات الاصلاح الجديد فانتشرت فى مجموع انحاء آسيا واستأصلت نهائيا اللهجات القديمة وقد قضت حتى على اللاتينية لا سيما فى شبه الجزيرة الايبيرية ·

ان اللغة العربية التى بلغت مبلغا كبيرا من المرونة والثروة فى العهد الجاهلى ادركت فى القرن الرابع الهجرى اى فى عنفوان العصر العباسى أوج كمالها وقد وصف زكي مبارك روعة النثر الفنى العربى فى هذا القرن ووصف « فيكتور بيرار » اللغة العربية فى ذلك العصر بانها اغنى وابسط واقوى وارق وامتن واكثر اللهجات الانسانية مرونة وروعة فهى كنز يزخر بالمفاتن ويفيض بسحر الخيال وعجيب المجاز رقيق الحاشية مهذب الجوانب رائع التصوير « واعجب ما فى الامر — وهو شيء لا نظير له عند الشعوب الاخرى — ان البدو كانوا هم سدنة هذه الذخائر » وجهابذة النثر العربى جبلة وطبعا » ومنهم استمد كل الشعراء تراثهم اللغوى وعبقريتهم فى القريض ·

ان نفوذ اللغة العربية اصبح بعيد المدى حتى ان جانبا من اوربا الجنوبية ايقن بأن العربية هى « الاداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب » وان رجال الكنيسة اضطروا الى تعريب مجموعاتهم القانونية لتسهيل قراءتها فى الكنائس الاسبانية وان « جان سيفيل » وجد نفسه مضطرا الى ان يحرر بالعربية معارض الكتب المقدسة ليفهمها الناس (1) ·

أما فى فرنسا فقد اكد (جوستاف لوبون) فى حضارة العرب (ص 174) ان للعربية آثارا مهمة فى فرنسا نفسها وقد لاحظ المؤرخ (سديو) عن حق ان لهجة ناحيتى «اوفيرنى» و«ليموزان» زاخرة بالالفاظ العربية وان الاعلام تتسم فى كل مكان بالطابع العربى ·

وكان من الطبيعى أن يزود العرب الذين كانوا قادة المتوسط منذ القرن الثامن الميلادى كلا من فرنسا وايطاليا بمعظم مصطلحاتها البحرية على انها تركت اثرها فى مصطلحات الجيش والادارة والصيد والعلوم وغيرها ·

وقد كشفت فى صقلية لوحة مسيحية محررة بالعربية ومؤرخة بالتاريخ الهجرى بعد انتهاء الاحتلال العربى بستين سنة ·

واللغة الاغريقية نفسها اقتبست الشيء الكثير من العربية غير أن المقتبسات اتخذت قالبا يعسر معه ارجاعها الى الاصل العربى ·

ومعلوم أن الجامعة الاوربية كانت عاملا مهما ذيوع اللغة العربية التى اصبحت فى العصور الوسطى لغة الفلسفة والطب ومختلف العلوم والفنون بل اصبحت لغة دولية للحضارة وقد اتجه اقتباس اوربا من العربية نحو الميدان العلمى فدخلت الى اللغات الاوربية كثير من المصطلحات العربية مثل الكحول والاكسير والجبر واللوغريتم وقد استمد الاسبان — حسب ما قرر ليفى بروفنصال — معظم اسماء الرياحين والازهار من العربية ومن (جبال البرانس) انتقلت مصطلحات العلوم الطبيعية الى فرنسا مثل البرقوق والياسمين والقطن والزعفران ومجموع مصطلحات الزى هى كذلك من اصل عربى كما تحمل الحلى فى أسبانيا اسماء عربية ويتجلى نفس التأثير فى الهندسة المعمارية وبالجملة فقد استمدت اسبانيا وبواسطتها امريكا اللاتينية من اللغة العربية الشيء الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا ·

وقد لاحظ عالم ايطالى كبير أن معظم التعابير العربية التى تغلغلت بكيفية مدهشة فى لغة روما لم تنتقل عن طريق التوسع الاستعمارى ولكن بفضل اشعاع الاسلام الثقافى ·

بل ان الاصلاح الخاص بالكنيسة تأثر الى حد بعيد بالطابع العربى فقد اعترف «مالبارون كارادوفو» Carra De Vaux مؤلف « مفكرو الاسلام » — وهو مسيحى متحمس — بأن الاسلام علم المسيحية منهاجا فى التفكير الفلسفى هو ثمرة عبقرية ابنائه الطبيعية وان مفكرى الاسلام نظموا لغة الفلسفة الكلامية التى استعملتها المسيحية فاستطاعت بذلك استكمال عقيدتها جوهرا وتعبيرا وهذه ظاهرة لا سيما اذا اعتبرنا مدى

---

(1) منذ القرن العاشر الميلادى تبنى اليهود لغة الفاتحين العرب كلغة علمية فى افريقيا وغيرها ويجدر أن نذكر الحبر يهودا بن قريش لما يمتاز به كتابه فى فقه اللغة المقارن والذى وجهه فى ذلك العهد الى بيعة فاس (كودار ص 454) ·

مساهمة الفلسفة الاسلامية فى تكوين « علم الكلام Thélogie » خلال القرون الوسطى والدور الذى قام به فى ذلك كل من ابن سينا وابن رشد وما كان لهما من تأثير على أشهر مفكرى المسيحية ·

وقد عبر الاستاذ « ماسينيون » عن نفس الفكرة قائلا : « ان المنهاج العلمى قد انطلق أول ما انطلق باللغة العربية ومن خلال العربية فى الحضارة الاوربية » ·

ثم قال : « ان العربية استطاعت بقيمتها الجدلية والنفسية والصوفية أن تضفى سربال الفتوة على التفكير الغربى كما انعشت « الف ليلة وليلة » فى القرن السابع عشر الميلادى ذهنية أوربا التى اتخمتها اساطير الاغريق والرومان » ·

وقد ختم (ماسينيون) وصفه الرائع قائلا : « ان اللغة العربية اداة خالصة لنقل بدائع الفكر فى الميدان الدولى وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا لهو العنصر الجوهرى للسلام بين الامم فى المستقبل » ·

وهكذا يمكن القول بان اللغة الغربية انتشرت فى العالم من قبل ، وذيوعها فى بلاد المشرق وفى افريقيا قد تم تحت كنف الحضارة الاسلامية ·

أما اليوم وقد تغيرت عجلة الزمن فان التقدم العلمى والتكنولوجى جعل اللغة العربية تتعثر نظرا لعدم وجود مراجع علمية عربية كافية فى مختلف العلوم للتدريس الجامعى وحركة الترجمة والتعريب فى العالم العربى تسير سيرا بطيئا لا يوازى التطور السريع للعلوم والفنون ، الشىء الذى جعل اللغة العربية تفتقر دائما الى كثير من المصطلحات العلمية والتقنية بالاضافة الى اختلاف المصطلحات بين البلاد العربية ، وانعدام المناهج المنطقية الموحدة والوسائل الصالحة ، وصعوبة اللغة العربية من حيث القواعد والكتابة ، وعدم اهتمام ابناء العروبة بنشر لغتهم فى الخارج وخاصة فى الدول الاسلامية غير العربية ·

ولذلك وجب تشجيع تعريب وترجمة الكتب والمراجع العلمية الجامعية والبحث والتاليف فى مختلف العلوم والفنون باللغة العربية واصدار معاجم علمية وتقنية تهتم بالمصطلحات فى مختلف العلوم وتوحيدها بين البلاد العربية ومتابعة ما استجد من مفاهيم ومدركات علمية تحت اشراف هيئة مختصة كمكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط حتى لا تتفرع اللغة العربية — لا قدر الله — الى لهجات اقليمية مختلفة كما حدث للغة اللاتينية بأن يقتصر التعريب الحرفى على المصطلحات الدولية للمفاهيم العلمية ويكتفى بالوضع والاشتقاق والتوليد والنحت فى بقية المجالات ·

وهكذا يتطلب بناء الوحدة الثقافية الغروبية توحيد المناهج والكتب الدراسية وتوحيد المصطلحات العلمية فى مؤتمرات تعقد لهذا الغرض تحت اشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمشاركة الهيئات المختصة ووضع كتاب مبسط فى قواعد اللغة والنحو وتبسيط الطباعة العربية والعناية بالكتاب المدرسى وبالمناهج المقررة وباسلوب التعليم بصفة عامة ، وذلك بتوسيع المجال الفكرى والعاطفى للطفل العربى وتعليم اللغة العربية للاجانب ونشرها فى العالم.

واللغة العربية صالحة للتدريس الجامعى للعلوم الانسانية وهى صالحة أيضا لتدريس العلوم الحديثة بالاستعانة بلغة اجنبية فى الوقت الراهن ولزمن محدود والاستناد دوما الى المراجع العلمية المتعددة اللغات لان مشكل الارتكاز على اللغة الوطنية كأداة للتعليم الجامعى ضرورة قومية ولكن الحفاظ على المستوى العلمى الانسانى يستلزم عدم الارتجال ودعم هذا النوع من التعريب المرحلى بلغات ومراجع اجنبية وليس المشكل خاصا باللغة العربية فالمفاهيم العلمية المستجدة تكاد تبلغ الخمسين فى كل يوم وتصطدم دول عظمى كفرنسا بصعوبات جلى فى كل يوم بحيث لا تستطيع — رغم ما تبذله من جهد عن طريق عشرات الهيئات المختصة — فرنسة اكثر من نصف المدركات الجديدة وهى تعانى باستمرار من النقص المتزايد بالتدريس الجامعى التقنى الدقيق دون اللجوء الى مصطلحات اجنبية ·

ومن الثابت الذى لا شك فيه أن وحدة اللغة من اهم العوامل فى تمكين وحدة الشعب وتقوية أواصره وشد عزمه على التآخى والتعاون ودفعه للسير قدما فى مضمار التطور ومعارج التقدم ، وكثيرا ما وقع — بسبب اختلاف اللغات بين الشعوب وسوء التفاهم على المعانى تشنجات اجتماعية وسياسية ادى بعضها الى قيام حروب وثورات سالت فيها دماء غزيرة وتبددت ثروات ضخمة ·

كل شعوبنا ترنو الى الوحدة العربية الكبرى بعيون ضماء وقلوب متلهفة ، وكل شعرائنا وكتابنا وأرباب الفنون منا يتحدثون عنها ، وكل زعمائنا ، يتخذونها كتلة سياسية .. وكلما حز بنا امر او دهمتنا مصيبة او اعتدىَ علينا مستعمر قلنا : لو كنا متحدين لكان لنا موقف آخر يرهب العدو ويرضى الصديق لكن كيف يتم لنا تحقيق هذه الوحدة او الاتحاد او ما شئتم له من تسمية ، اذا كنا لا نستطيع التفاهم بدقة على ما نريد ؟ ونتحدث بلهجات متباينة نكاد ندعى بانها لغات لعظم التفاوت فيما بينها ، فنحن لا نختلف على المسميات والتراكيب فحسب ، بل ان نطقنا فيما اتفقنا عليه يختلف احيانا اختلافا يظن معه انه لغة اخرى .

قالوا بأن اللغة العربية لغة قديمة اصبحت عاجزة عن مجاراة التطور العصرى قاصرة عن مباراة اللغات الحية فى العلوم . وقالوا : ان فى حروفها نقصا فنحن لا نستطيع النطق ببعض الحروف الضرورية فى المسميات العلمية امثال 6 ، 4 .. وما شاكلها . وقالوا ان الفكر العلمى المعاصر يخلق فى كل يوم نحو مائة مصطلح جديد فكيف تلحقه اللغة العربية ؟ وقالوا غير ذلك كثيرا . والجواب عن هذا :

1 — ان نقصان اللغة العربية بعض الحروف لا يعيبها ، ولها اسوة بأقدر اللغات الحية المعاصرة فهل فى لغة من لغات العالم الحى حرف (ح) أو (ع) مثلا . وهل فى الفرنسية حرف (ق) ، ماذا فعل العربيون للتوصل الى النطق بالخاء والطاء والصاد وما شابهها ؟ اصطلحوا على رسوم معينة واشارات تضاف الى حروفهم ليلفظوها كما نلفظها نحن فى العربية . وكتب المستشرقين والمستعمرين وشراح مخطوطاتنا ومترجميها مليئة بأمثال ذلك . فهل نكون اقل منهم دراية ؟ ومتى تمت الموافقة على الحرف العربى الجديد والمصطلحات الجديدة فى ندوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فلن يبقى هناك عذر لمعتذر ؟

2 — ان التجربة العلمية الناجحة التى قامت بها سوريا عام 1919 واستمرت سارية على نهجها الى اليوم تنفى دعواهم نفيا باتا ، فقد عربت سوريا التعليم فى جميع مراحله من دور الحضانة حتى نهاية الجامعة وخريجو جميع الفروع من علمية ورياضية وطبية وصيدلية وهندسية وزراعية لا يقلون دراية وعمقا عن زملائهم فى اية دولة راقية .

هنا يبرز دور مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى الذى دعا اليه المرحوم محمد الخامس فاجتمع مندوبو الدول العربية فى الرباط عام 1961 واقروه ومنحوه ثقتهم ثم تبنته الجامعة وضمته اليها فاصبح جزءا منها اعتبارا من عام 1968 .

كيف يعمل مكتب التعريب ؟

ان ايجاد هذا المكتب عمل ثورى فى حد ذاته . انه ثورة هادئة عميقة معقولة ، انه ثورة مدروسة مخطط لها انطلقت من مبدأ ثابت رصين وسلكت سبيلا نيرا ورمت الى هدف واضح معروف .. ولاحظ المكتب هذه الفوضى فى التعريب ورأى كيف يوضع للمصطلح الواحد اكثر من مرادف معرب احيانا وعرف أن من اهم الاسباب فى ذلك اختلاف اثر الثقافات الغربية فى العلماء العرب فبعضهم تأثر بالثقافة اللاتينية كسوريا ولبنان والمغرب العربى وبعضهم تأثر بالثقافة السكسونية كالعراق والاردن ومصر وان بعض العلماء على حظ كبير جدا من العربية ومن الثقافة الاسلامية كخريجى الازهر والنجف ودمشق والزيتونة والقرويين وبعضهم على حظ ضئيل منها كخريجى المعاهد الاجنبية.

ولاحظ المكتب كذلك ان مستوى المدارس الابتدائية فى معظم الوطن العربى دون مثيلاتها فى البلاد الراقية ، وقام باحصاء دقيق للمصطلحات والمدركات الواردة فى جميع الكتب المدرسية وجردها فاكتشف أمرا عجيبا وهو أن مجموع مدركاتنا لا يتجاوز ثمان مائة مدرك ، بينما يتجمع فى ذهن التلميذ الاجنبى الف وخمس مائة مصطلح (1) . ومعنى ذلك ان مستوى ادراك الطفل العربى يقل عن مستوى زميله الاجنبى بمقدار النصف ولذلك يعانى تلميذانا فى ملاحقة المدركات العلمية فى المدارس الثانوية والجامعية معاناة مؤلمة جدا هى التى جعلت نسبة الناجحين بالامتحانات العامة والانتقالية فى مستوى منخفض .

(1) سبق للاستاذ احمد الاخضر غزال ان قام باحصاءات موفقة فى هذا المجال .

عرض المكتب هذا الواقع على الدول العربية ودعاها الى اعادة النظر فى الكتب والمناهج معا وقدم لها نموذجا هو معجم رياضى شامل وسيلحقه بمعجم لدروس الاشياء استكمالا للمفاهيم الانسانية فى الاطفال اى دعا الى ثورة عميقة فى اول درجة من درجات الثقافة لان الكتب المدرسية ما هى الا صدى للمناهج وكان ذلك اول اعماله ثم التفت الى المصطلح المعرب فوجد ان حاجة البلاد العربية اليه متفاوتة تفاوتا بعيدا كذلك · فبينما تغلغل الاستعمار فى بعض البلاد الى اعماق مجتمعها وحاول اجتثاث ثقافتنا العربية من اصولها ونشر لغته بكل وسيلة حتى اصبحت لغة المدرسة والمعمل والشارع والبيت ، توقف فى مواطن سواها على السطح فحفظت لغتها وثقافتها نوعا ما ·

ان النخبة المثقفة فى البلاد العربية متأثرة بمقدرة المصطلحات الاجنبية العلمية على الدقة فى التعبير والتصوير للمدرك العلمى والتقنى فلا يرضيها التعريب الارتجالى ولا الفوضوى المتنافر ولا المتعدد المتكرر او الناقص فى دقته واحكامه ، وهى على حق فى هذا لانها ترى الفكر العربى على مفترق الطرق وتريد له ان يسلك السبيل السوى ، وترى لغتها وقد قبلت فى المجامع الدولية لغة خاصة الى جانب اللغات الحية العظمى فتريد لها دوام التقدم واطراد النجاح · ولقد لاحظ مكتب التعريب هذا الامر فاتخذ لذلك خطة علمية دقيقة يحمل مسؤوليتها علماء العرب مجتمعين فهو يضع المصطلح بلغتين اجنبيتين معا هما الانكليزية والفرنسية ويضع أمامه جميع المصطلحات التى عرب بها منسوبا كل منها الى صاحبه ان كان مجمعا عاميا او معروفا .. لغويا مشهودا له بالتفوق ، او معجميا معروفا .. وينشر ذلك على شكل معجم الفبائى الترتيب ويضعه تحت انظار العلماء العرب لمدة لا تقل عن ستة اشهر ثم يدعو الى مؤتمر للعلماء المتخصصين ليعقد فى ظل الجامعة العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) بالعواصم العربية على التوالى فيتدارسون المعجم وينقدونه ويختارون المصطلح الذى يريدون فيصبح شبه الزامى · واختيار مصطلح واحد من بين مجموعة مصطلحات يوحد التعريب حتما ويسهل السبيل على الدارسين والمدرسين والمؤلفين والكتاب ·

ان الحضارة العلمية تقذف فى كل يوم بما يتراوح بين خمسين ومائة مصطلح جديد الى ساحة التداول العلمى ، فكيف نلاحق هذا التراكض ؟ ان المكتب يتراكض معها ويلاحق تطورها ويجمع المصطلحات فيعربها على هيئة ملاحق معجمية ويختار للمصطلح ما يقابله ويعرضه مع المعاجم الاولى على العلماء العرب للمداولة ·

وتنبه المكتب الى ان جميع معاجم اللغة لم تجمع مفرداتها كلها ، فهناك مفردات متناثرة فى كتب العلوم والادب والتاريخ والجغرافيا القديمة لم تدخل المعاجم · وجمعها يحتاج الى وقت طويل جدا فماذا فعل ؟ انه جرد اكبر المعاجم العربية المعروفة (لسان العرب) وقد قمت شخصيا بذلك ونسقته فى جزازات وجعلته منطلقا اضيف اليه كل يوم ما يجتمع لدى من جزازات مصنفة تصنيفا ابجديا حتى بلغت مئات الالوف هى التى ستكون اساسا لمعجم المعانى الجديد واستخلص منها عددا من المعجمات فى بعض الفنون كمعجم الفقه المالكى ومعجم الاطعمة ومعجم الالوان ومعجم الرياضة واللعب ومعجم الآلات والادوات والاجهزة ومعجم اسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم ومعجم الحرف والمهن ومعجم البناء والمعجم المنزلى ومعجم الاطعمة وعشرات اخرى اعددت بعضها والآخر فى طور الاعداد ·

ونحن نضع أمام العرب مجلتنا (اللسان العربى) فى ثلاثة مجلدات ، كل مجلد منها اكثر من اربعمائة صفحة ، وكلها معاجم علمية وتقنية باللغات الثلاث الإنكليزية والفرنسية والعربية معروضة لمن يرغب من العلماء الحصول عليها بالمجان نقدمها ولا نتطلب اكثر من تقويمنا وتصحيحنا ومؤازرتنا فى البحث · وسنصدر هذه المعاجم وملحقاتها منفردة على حدة مشكولة موضحة مفهرسة على الابجديتين العربية والافرنجية ونحن ساعون الى اصدارها باكثر من هذه اللغات ·

وبذلك نساهم مجتمعين فى الثورة الثقافية المنشودة نعم ان ثورتنا معقولة مدروسة منتجة ، ثورة الاصالة والعمل المجدى ·

نحن فى معركة لا هوادة فيها تتعرض فيها لغتنا لمحن عنيفة جدا ، تنتاشها من كل جانب ، والشعب العربى فى حال توتر ينتظر منا ان نعمل جادين لحفظ كيانه واللغة عامل مهم جدا فى تثبيت هذا الكيان وابراز شخصيته وفى دفع الثورة الثقافية قدما الى الامام ، ولا

بد من اتخاذ الخطوات الجريئة الحاسمة فى تبسيط قواعد اللغة وتسهيل دراستها وتزويدها بمفاهيم علمية كاملة وتوحيد مصطلحات واعادة النظر أولا وقبل كل شيء فى مناهج التعليم والكتب والمؤلفات التىتوضع بين ايدى التلاميذ والطلاب ومراقبة الدعوات الهدامة كالدعوة الى العامية أو الى الحروف اللاتينية ·

ان اللغة كائن حى تعيش وتنمو بالتغذية المستمرة والعمل الجدى الدائب ونحن فى مكتب تنسيق التعريب الدائم نضع انفسنا وخبرتنا كلها تحت تصرف العاملين لخدمة لغة القرآن الكريم فى اية دولة عربية ، نخدم لغتنا متحدين متآزرين لتخدمنا فى ثورتنا الثقافية وتحررنا العقلى وتثبيت كياننا الفكرى ·

ان تدارك النقص الذى تعانيه اللغة العربية فى اداة كثير من المفاهيم الانسانية بصفة عامة ، وفى التعبير عن المدركات العلمية والتقنية بصفة خاصة قد اصبح بلا نزاع ضرورة حتمية يؤمن بها الجميع ولا يزال العاملون فى مختلف البلاد العربية منذ القرن الماضى يسعون فى سبيل القيام بها ما وسعهم السعى ، لكن دون خطة مرسومة ولا طريقة محددة ولا منهاج معلوم بل كل يعمل على شاكلته وفى عزلته ليسد بعض ما يواجهه من فراغ ·

ولا يسع احدا أن ينكر ان هذه الجهود رغما عن تشتتها وتنوعها وعدم منهاجيتها قد اتت بنتائج حسنة قيمة فى حد ذاتها لكن قيمة هذه الثورة النفسية التى اكتسبتها لغتنا تتضاءل امام ضخامة الزمان الذى استغرقته تلك الجهود فى جمعها وان جدوى هذه الحصيلة الضخمة من المصطلحات الجديدة والكلمات المستحدثة لتكاد تتلاشى ازاء السرعة التى تتقدم بها العلوم والفنون وتسير بها الحضارة الانسانية فى هذا العصر ·

اجل ، ان لغة الضاد صارت فى مطلع هذا القرن بفضل اولئك العاملين اقدر منها فى القرن الماضى على ابانة مقاصد الناطقين بها ثم اصبحت فى منتصف القرن العشرين اكثر اقتدارا منها فى الربع الاول من هذا القرن ، فحينما يستعرض مثلا المصطلحات العلمية والفنية التى اقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى الثلاثين عاما التى مرت على تأسيسه وحينما نمعن النظر فى القواعد اللغوية التى اعدها هذا المجمع لعمل المعربين وسائر اللغويين فاننا لا نملك الا ان ننحنى اعجابا واكبارا لهمة رجاله وكفاءتهم وغيرتهم على لغتنا القومية ، فانهم رغما عن محاربتهم النقص فى واجهتين معا : وضع المصطلحات الجديدة من ناحية وسن القواعد لوضعها من ناحية اخرى ، ورغما عن قلة الوسائل المتيسرة لديهم وعدم تفرغهم للعمل فقد تمكنوا من توفير الاداة اللازمة لعمل التعريب من قواعد للوضع والاشتقاق والنحت والتركيب والجمع الخ .. مثلما وفقوا الى وضع المقابل العربى لكثير من المصطلحات العلمية والفنية والاعجمية ·

وقد تعززت اعمال هذا المجتمع بأعمال مؤتمرات وهيئات علمية ومهنية مختلفة وبأعمال افراد من الشخصيات العلمية ذوى الثقافة المزدوجة من امثال انستاس الكرملى والدكتور امين معلوف ومصطفى الشهابى وعبد الرحمن الكواكبى وخليل شيبوب فازدادت بذلك ضخامة حصيلة المصطلحات الموضوعة·

لكن هذه الحصيلة كلها ليست سوى غرفة من بحر بالنسبة الى مجموع مصطلحات العلوم الحديثة التى تزداد بنحو 50 مصطلحا جديدا فى كل يوم حسبما ورد فى أحد تقارير منظمة اليونسكو الاممية ·

ولا مندوحة عن الاعتراف بأن تلك الطريقة العفوية غير المحدد موضوعها ولا شكلها ولا زمانها والتى سار عليها حتى الآن عمل التعريب فى العالم العربى لا يمكنها ان تكفل حاجة العرب اللغوية ولن يتسنى لها أن تسد خصاصة لغة الضاد فى يوم من الايام مهما تضاعفت الجهود واشتد نشاط المترجمين والمعربين والواضعين، فان تخلف اللغة العربية لن يتدارك بغير خطة علمية وتقنية مرسومة باحكام اهدافها محددة بدقة وتفصيل ووسائلها العملية معينة بوضوح ، خطة صالحة لتكون اطارا لجميع ما يجرى من اعمال فى ميدان التعريب وما يبذل من جهود فى اصلاح اللغة ·

ان التخطيط لازم لعمل التعريب وهو بالتالى ضرورى للقيام بمهمة التنسيق المنوطة « بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم » ما دام التنسيق يعنى جعل العمل يسير على نسق محدد نحو غاية معينة وهذا بالذات هو موضوع التخطيط ·

لذلك راى هذا المكتب لزاما عليه ان يرسم لعمله منهاجا يحيط بجميع ما يبذله من جهود ويصدر عنه من منجزات وفى نطاقه يجرى التعاون مع جميع الهيئات والمؤسسات اللغوية والافراد المعنيين بشؤون التعريب فى كل البلاد العربية ·

وهذا المنهاج الذى استقر عليه راى اسرة المكتب الدائم بعد طول البحث ينقسم الى قسمين :

1 ــ الاعمال العلمية : وضع المعاجم المتخصصة ·

2 ــ الوسائل التقنية والعملية :

1 ــ العمل التقنى ·

1 ــ معجم عربى للمعانى :

يشتمل هذا المعجم على جميع الفاظ اللغة العربية التى ستجرد من مختلف كتب اللغة سواء منها القديمة او الحديثة وسواء منها معاجم الالفاظ او معاجم المعانى ، وسترتب فيه باعتبار مواضيع معانيها حسب تبويب تويم صالح للتطبيق على كل لغة حية راقية فى هذا العصر ·

لكل لفظ او فى الشروح وانصحها ويجعل لعلمه بقدر الامكان ما يقابله من الفاظ فى اللغتين الفرنسية والانجليزية ·

وهذا المعجم الذى سيكون مرآة ناصعة تتجلى فيها بغاية الوضوح مواطن الضعف ومواطن القوة فى لغة الضاد سيساعد لا على تدارك النقص الموجود فى اللغة العربية فحسب بل وعلى امداد اللغتين الفرنسية والانجليزية بما ينقصهما من المفاهيم الانسانية التى تنفرد بها لغة القرآن وفى ذلك استجابة لرغبة المكتب الدائم الحريص على ان يسهم فى العمل على توحيد المفاهيم الانسانية على الصعيد العالمى فى اطار التبادل الفكرى بين الشرق والغرب ·

ومن المراجع الرئيسية التى ستعتمد فى تحضير هذا المعجم نذكر « لسان العرب » و « تاج العروس » و « اساس البلاغة » و « الصحاح » و « مقاييس اللغة » و « متن اللغة » و « المعجم الوسيط » و « اقرب الموارد » و « المخصص » و « فقه اللغة » و « الفاظ ابن السكيت » و « الالفاظ الكتابية » للهمذانى ودائرة معارف لاروس الكبرى ومعجم اللغة الفرنسية لبول روبير ودائرة المعارف البريطانية ·

وقد ركزت شخصيا نشاطى فى جرد كتب اللغة على (لسان العرب) لابن منظور طوال خمس سنوات بلغ خلالها عدد الجزازات اى البطاقات المملوءة المجرودة منه نحو ربع مليون رتبتها حسب الحروف الهجائية ثم صنفتها حسب المواضيع فادرجت كل كلمة فى المادة التى تخصها وبذلك عزز مكتب تنسيق التعريب عمله الهادف الى جرد التراث اللغوى بكنز ثمين قوى به المصطلحات المنتقاة او المولدة فى المجامع او الهيئات اللغوية او من طرف علماء اللسنيات وقد اعطينا الاولوية فى الجرد للسان العرب لانه فى نظرنا الكتاب الذى يحاول ان يقتبس مصطلحاته من كل المصادر سواء منها القرآن او الحديث او كلام العرب من قدامى ومولدين فهو المصدر الوحيد الذى امكن ان نستخلص من اجزائه مجموعة متناسقة من الفاظ النبات مثلا كما وضعنا ابو حنيفة الدينورى الذى فقد اصل مخطوطه كما انه المصدر الوحيد الذى امكننا ان نستمد منه كلمات قديمة تعبر عن مفاهيم جديدة بدقة ووضوح ولنضرب لذلك مثلين هما كلمتا (الصن) او (العرق) الواردتان فى الحديث الشريف « كان صلى الله عليه وسلم » يوتى بالصن او العرق وقد فسرهما ابن منظور بالسلة المطبقة (اى ذات الاطباق) وهى التى اقتبس لها مجمع اللغة العربية بالقاهرة كلمة عامية مصرية هى العامود وعبرت عنها فرنسا بكلمة Porte-manger اى حاملة الطعام كما ان الدقة والوضوح ليسا حركة للغة ديكارت التى كدنا نجد صعوبة فى تعريب كلمتين منها فى القاموس الفرنسى ــ العربى هما Crépuscule du matin et crépuscule du soir استجابة لطلب (مجلس الطيران المدنى العربى) لولا رجوعنا الى حديثين شريفين هما حديث عائشة «ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى الصبح فينصرف النساء متلفعات فى مرضهن لا يعرفن من الغلس » فالغلس اذن خاص بالفجر وتخصيص الشفق بحمرة الليل تابع من حديث آخر هو « وقت المغرب الى الشفق » والشفق الحمرة ·

2 ــ معجم فرنسى ــ انجليزى للمعانى :

وجرد المفاهيم الانسانية من خلال الالفاظ التى تشتمل عليها المعاجم الفرنسية والانجليزية الحديثة

عمل لازم لتكملة العمل الذى قلنا اننا نهدف بـــه الى معرفة ما عند اللغة العربية وما ينقصها ، فان المعجم العربى للمعانى الذى تحدثنا عنه لن يكون بوسعه أن يطلعنا الا على ما عند اللغة العربية اما ما ينقصها فلن يتبين الا بمقارنة ما عندها فى كل موضوع بما عند غيرها فى نفس الموضوع ، ولذلك يتعين جرد دائـــرة المعارف الفرنسية ودائرة المعارف الانجليزية وتصنيف مادتيهما حسب التبويب المتبع فى اعداد المعجم العربى للمعانى لتسهل المقارنة .

ويتلخص هذا العمل فى تجميع كل ما عرب حتى الآن فى مختلف البلاد العربية من مصطلحات علميـــة وتقنية والفاظ حضارية وغيرها مع الالفاظ الفرنسية والانجليزية المقابلة لها وترتيبها حسب الحروف الهجائية فى معاجم ثلاثية اللغة ستكون مادتها عامـــة تشمـــل مصطلحات مختلف العلوم والفنون وغيرها مع الاشارة بجانب كل مصطلح الى العلم أو الفن الذى ينتمى اليه وسيوضح أمام كل مصطلح أعجمى جميع ما يقابلـــه من الالفاظ العربية المستعملة فى مختلف البلاد العربية .

وقد أنجز المكتب الدائم قسما هاما مـــن هذا العمل حيث أنشأ جزازة تشتمل على نحو ثلاثمائـــة الف جزازة تضم مصطلحات علمية وتقنية وحضارية مختلفة بالفرنسية والعربية والانجليزية ثم جردها من مختلف الكتب والمعاجم والمجلات المعجميـــة ونشرات الهيئات الثقافية فى مختلف البلاد العربية وتشكل هذه المجموعة معجما فرنسيا عربيا ضخما يمتاز بكونـــه يضع أمام المصطلح الاعجمى جميع مقابلاته العربيـــة المستعملة فى مختلف البلاد العربية .

ومن هذه الجزازة التى تتضخم يوما عن يـــوم بما يمدها به عمل الجرد المتصل أمكن استخراج مادة المعاجم التى يصدرها المكتب .

نعم تستخرج منها مصطلحات كـــل علم وفـــن لترقب على حدة فى معاجم علمية ثلاثية اللغة كذلك مرفقة بشروحها فى اللغات الثلاث فيتالف منها مثـــلا « معجم الرياضيات » و « معجم الفيزياء » و « معجم الكيمياء » و « معجم المصطلحات المكتبية والصناعية » و « معجم المصطلحات الاقتصادية والمالية » و « معجم الفقه والقـــانون » و « المعجم الطبـــى » و « المعجـــم الحضارى » الخ . .

وعند انجاز كل معجم من هذه المعاجم يعرض على خبراء العالم العربى قصد اقـــرار مصطلحـــات بكيفية نهائية .

وتجرد المصطلحات الفرنسية والانجليزية التـــى بقيت بدون مقابل عربى فى معاجم فرنسية انجليزية مختصة نعنى أن كل معجم منها يختص بعلم او فن او موضوع معين يستقل به وينبغى لهذه المعاجم أن تتضمن ازاء كل مصطلح شرحه العلمى بلغته وان تضيف الى الشرحين الاعجميين شرحا عربيا بقدر الامكان .

وبعد تمام العمل فى هذه المعاجم تعرض فى لجان عربية مختصة لتضع لمصطلحاتها الاعجمية مقابـــلات عربية ، ولتقر شروحها العلمية .

واثر توحيد جميع المصطلحات المعربة واقرارها بصفة نهائية تضاف الفاظها وشروحها العربية الى مادة المعاجم اللغوية بعد تهذيب هذه المادة وتنقيحها ليتكون منها المعجم العربى الجديد الذى سيمتـــاز بشمولـــه وبوضوح الشرح ودقته وكفايته وملاءمته لذوق العصر وعقليته بقدر الامكان .

ب) وسائـــل الانجـــاز :

1 ــ الخـــبـــــراء :

ولا يمكن القيام بالاعمال العلمية المبينة فى القسم الاول من هذا المنهاج الا بمساعدة خبراء عرب ، واقل ما يلزم لاعداد مصطلحات كل علم ثلاثـــة اخصائيين يتقنون اللغة العربية مع احدى اللغتـــين الفرنســـية أو الانجليزيـــة .

وسيكون عملهم علميا محضا يتلخص فى مقابلة المصطلحات الاعجمية بنظيراتها العربية والعكس فـــى مقابلة المصطلحات الفرنسية بالمصطلحات الانجليزيـــة والعكس واعداد شروحها العلمية باللغات الثلاث ، أما التصنيف والترتيب فينجز بواسطة آلات المكنغرافية.

2 ــ المكنغرافيـــة أو الكمبيـــوتيـــر (الحاسب الالكتـــرونـــى) .

ان المشاريع العلمية التى يشتمل عليها هـــذا المنهاج عمل عظيم وانجازها كلها بالجهود الانسانيـــة

يقتضى استخدام جيش من العلماء والمساعدين مدة قد تطول عشرات السنين ولذلك فكر اعضاء اسرة المكتب فى استعمال الآلات المكنغرافية فاتصلوا برجال ادارة مؤسسة I; B, M, (ومؤسسة BUL) وعرضوا عليهم هذه المشاريع وبحثوا معهم الطريقة التقنية التى ينبغى أن تتبع لتحقيقها واستخلصوا من بحثهم انه يمكن اعداد الاعمال العلمية المشتمل عليها هذا المنهاج فى آن واحد يعنى أن الجهد الواحد المصروف فى اعداد عمل واحد من هذه الاعمال يمكن استغلاله لاعداد سائر الاعمال الاخرى ، بفضل جزازات المكنغرافية التى هيأت لها اسرة المكتب نظاما يكفل تحقيق جميع اغراض هذا المنهاج ·

وتتلخص طريقة العمل فى أن تقوم احدى هاتين المؤسستين بجرد جميع المفردات المشتمل عليها معجم « لاروس الكبير » فى جزازات المكنغرافية وباصدار الامر الى الدماغ الالكترونى او الفاكورة لترتيبها ترتيبا هجائيا وترتيبا موضوعيا اى حسب العلم الذى تنتمى اليه ثم لتقابلها بالمصطلحات الانجليزية والعربية التى يمدها بها المكتب الدائم ثم لترتب هذه المصطلحات المضافة ترتيبا هجائيا حسب الالفاظ الانجليزية وحسب الالفاظ العربية ثم لتعزل المصطلحات المعربة عن المصطلحات غير المعربة ثم لتفصل المعربات فتميز الموحد من الراجح مع المختلف فيه ثم لتميزها حسب مصادر وضعها وحسب مراجعها ·

ويقوم المكتب الدائم بجرد جميع مفردات المعاجم وكتب اللغة العربية وامداد آلات المكنغرافية بها لترتبها حسب مواضيعها على نظام المعجم العربى المعانى المذكورة فى فصل « الاعمال العلمية » ولترتبها ايضا ترتيبا هجائيا لتاليف المعجم العربى الجديد ·

وبعد تمام جمع مادة الاعمال العلمية المذكورة فى الفصل السابق كلها وادخالها فى المكنغرافية تستخرج منها بطريقة آلية المعاجم كلها تماما الواحد تلو الآخر مطبوعة على نحو يمكن من تقديمها الى المطبعة بدون تغير كبير

دور المغرب العربى فى تنسيق التعريب

ولن نأتى بجديد اذا قلنا ان المغرب العربى الاسلامى استمد ولا يزال يستمد كثيرا من مقوماته الحضارية من شقه الشرقى وخاصة فى الحقل الثقافى فالفكر العلمى الاسلامى عندنا ليس سوى امتداد اصيل لمبدع للتراث الذى انبثق من قلوب العروبة النابضة فى الحرمين ودار السلام والقاهرة ودمشق وحتى بالنسبة للعصور الحديثة فان اسبقية الشرق الى تطعيم الفكر العربى بمعطيات الفكر الغربى المعاصر جعلت من اللغة العربية — وعن المفهوم الجوهرى للوحدة — اداة تتصارع فى تصاعد مطرد مع مقتضيات التطور العلمى والتقنى الجديد على الصعيد الانسانى ولعل من ابرز ما استرددناه من المغرب المستعمر ما كان للغتنا من دقة فى التعبير وجلاء فى التصوير وضبط فى التنظيم وقد استطاع الفكر اللاتينى خلال فترة الاستعمار أن يقحم لغته وثقافته فى البرامج الدراسية بحصة الاسد حتى اصبحت الفرنسية بالنسبة لجانب مهم من رجال الفكر فى المغرب العربى الجهاز الاساسى للتفكير والتعبير هذا بينما ترك نفس الاستعمار اخواننا فى الشرق يمرحون فى حرية نسبية داخل قفص مقفل معرب البرامج والمناهج فحركتنا الهادفة للتعريب فى المغرب العربى لا تنطلق من نفس الاساس الذى انطلق منه التعريب فى الشرق اذا كان هناك انطلاق للتعريب فى الشرق — حيث احتفظت العربية فى الواقع بمكانتها العريقة مع جمود نسبى ناتج عن عوامل الاستعمار — فنحن بالرغم عن جهدنا الجهيد فى هذه المرحلة الاولى من استقلالنا الفتى لا نزال اللغة الفرنسية مهيمنة بأجهزة فكرية منظمة على جانب من حياتنا الحضارية لذلك يفكر بعضنا فى كثير من الاحايين تفكيرا يستمد جذوره من ثقافة المستعمر حتى ولو كانت لغة تعبيره هى العربية فرسالة التعريب فى المغرب العربى هى غيرها فى الشرق العربى لان الشرق ينطلق من لغة الضاد فيطعمها بلوازم العصر ونحن ننطلق حتما من المزيج الحضارى الغربى العربى الذى عشناه ونعيشه لتخليق تراث جديد يربط ماضينا المجيد فى كامل مقوماته بحاضر انصهرت فى بوتقته عناصر علمية وتقنية وحضارية وانسانية فالشيء الذى يهمنا الآن هو تحقيق هذا الهدف القريب الذى يستلزم عجن الطينة العربية عجنا جديدا فى غير هوادة حتى تصبح لغتنا — كما كانت فى العصور الوسطى بل اكثر مما كانت اداة دولية للتواصل بين الاجناس فى دقة علمية ورصانة تقنية وتجاوب عميق مع ما استجد فى العصر من خلجات وولجات فنحن فى المكتب الدائم نعد العدة لهذا التعريب مستمدين من الشرق ما سقبنا الشرق الى تعريبه ومستمدين من الغرب ما يجب أن يدرج بوضوح لتطعيم هذا المدد

فلا نقبل من هنا او هناك الا ما يكفل استقصاء عراقة الضاد واستقراء مفاهيم العصر دون لبس ولا غموض فمثلنا مثل الطفل الغرير الذى يسأله والده عن اسم هذه الآلة او تلك فاذا أعطاه اسما ما لمسمى ما قبله ولكن اذا اعطاه نفس الاسم لمسمى مغاير سأل والده فى غرارة الطفولة كيف اذن نفرق بين مسميين لهما اسم واحد فنحن نريد ان يوفر العرب لكل مسمى علمى قديم او حديث كلمة موحدة تعبر عنه فى جراة وجلاء ونحن اذا نقدنا ما بين ايدينا من غث وسمين وما يرد علينا من الشرق فلسنا بزاعمين اننا نلقن الشرق الا بقدر ما يلقن الطفل والده او التلميذ استاذه فى نطاق الاستمداد البناء واذا كان هناك شيء سيفيده الوالد من ولده والاستاذ من تلميذه فى هذا المجال فهو احراج هذا وذاك لتعبئة ما لديه من خبرة اوسع وحنكة أدق وتجربة ابلغ لتجلية الدلالة وتعميق الاصالة وتدقيق العبارة وتوحيد الاشارة ·

وقد زاد فى الطين بلة بين شقى العروبة ما بين قوام الاستعمارين اللاتينى والانجلوسكسونى من بون يتسع احيانا ليعمق الهوة بين الثقافتين الاجنبيتين او بين ينبوعى الاستمداد النسبى فى حضارتنا الموحدة فالمقابل العربى المقترح للتعبير عن مدلول علمى او تقنى حديث مستمد من خلال هذه اللغة او تلك لا يختلف فى بعض الاحايين الى حد التناقض لما يكون احيانا بين اللغتين من نشاز لا يتلافاه الا من تضلع فيهما ونظر وقارن بين قواميهما لاستخلاص القدر العلمى المشترك او المشاع بينهما ويكفى لتدرك هذه الظاهرة ان تقارن بعض ما يرد عليك من دمشق ببعض ما يرد من القاهرة لتلمس صعوبة التنسيق ولا نقول التوحيد ونحن نعلق على اتحاد المجامع الثلاثة فى القاهرة ودمشق وبغداد اكبر الآمال لتقريب الهوة وتنوير الصورة لان رسالة التوحيد يجب أن تنبثق فى الحقيقة من هذه المجامع اذ لا نتجاوز نحن تجميع وتنسيق ما تتحفنا به هى نفسها غير أن خبراءنا فى الوطن العربى يدفعون دفعا الى ان يتساطوا ويلحوا فى التساؤل ، انتجاعا للدقة ، عما تنطوى عليه بعض المقابلات العربية الشائعة والمقترحة من لبس وسطحية او عما يتم عنه احيانا معجمنا الجديد من تنكر للاصالة وللدقة والوضوح ·

وهذا مشكل لا تحله معاجمنا التى ترصص فى صف واحد ما يستعمل هنا وهناك فى اجزاء الوطن العربى مضيفة احيانا ما يوحى به اللفظ الاجنبى بكامل الدقة وتاركة لمؤتمرات التعريب المقبلة اصدار الكلمة الفاصلة فى ذلك فهذه مرحلة اولى وضرورية للتوحيد فيها جرد للتراث وتقييم لمعطياته يسهلان مهمة الانتقاء ·

فمجامع اللغة والمجالس العلمية العليا والاتحادات التقنية يجب ان تقوم بالبادرة الاولى لتسهيل عملية التنسيق فى المكتب انطلاقا من اختصاصها وعلى المكتب أن يجمع وان ينسق فى استقراء واف واستقصاء كشاف واستكمال للمفاهيم بالمقارنة والتنظيم بين محتويات القواميس والمعاجم قديمها وحديثها صحيحها وسقيمها على اختلاف لغاتها وخبرات اصحابها ولا شك ان بذلك تتكون حصيلة لغوية صالحة تساير العصر وتجعل لغة الضاد جديرة — كما كانت — بأن تفرض وجودها فى المحافل الدولية لا استجابة لعوامل وضغوط سياسية بل استنادا الى قيمة حقيقية علمية وتقنية للغتنا كأداة أممية للتقارب والتواصل ·

ان سلفنا قد كد واجتهد لاحلال اللغة مكانتها العالمية المرموقة ونحن يجب ان نواصل هذا الجهاد بسلاح العصر ومراوغات العصر للاحتفاظ بهذه المكانة وتصعيدها اذ اقتضى الحال ·

واذا كان الناس يعرفون ما حققه الشرق العربى من بادرات لكفالة هذا الاستمرار والاستقرار فى مختلف الامصار والاعصار فان الكثير لا يدرفون بدقة مدى اسهام المغرب العربى فى هذا الجهاد فلذلك دعمنا هذه الديباجة بفذلكة موجزة هى نموذج مبسط يلقى ضوءا على جانب من المبادرات المغربية عبر الاجيال فى هذا الحقل الحيوى من جهادنا الحضارى المشترك · وقد نشرنا فى مجلة اللسان العربى (المجلد العاشر الجزء الاول) معجما للغويين يبرز جزءا من التراث اللغوى المغربى الذى هو امتداد اصيل لتراثنا العربى العام ·

اهداف المكتب من خلال نوعية منجزاته

انبثق المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى الاول باعتباره مكتبا دائما ، الغاية من وجوده تنسيق جهود الدول العربية فى ميدان التعريب تحت اشراف جامعة الدول العربية ثم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ·

وقد شعرت الدول العربية وجامعتها ومنظمتها بأهمية رسالة المكتب فوافقت على توصيات المؤتمر المذكور وتركيزه بالمغرب — حيث أن التعريب كان يستهدف على وجه الخصوص اقطار المغرب العربى ؛ وحتى تستفيد هذه من تجربة المشرق العربى فى هذا الحقل — والتزمت الدول العربية بتمويل مشاريعه ، وتطبيقا لهذه التوصيات نظم المكتب دورة اولى لمجلس تنفيذى بالرباط تمثلت فيه الدول العربية وجامعتها وذلك بتاريخ 29 فبراير 1962 ·

وبعد مصادقة مجلس جامعة الدول العربية ، بناء على قراره رقم 2541 / د ج 4 — 16 / 3 / 69 فى دور انعقاد المؤتمر العادى الحادى والخمسين على النظام الاساسى للمكتب واقرار ميزانيته اصبح مؤسسة ملحقة بجامعة الدول العربية ، ثم الحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بقرار من الامانة العامة لجامعة الدول العربية تحت رقم (70) بتاريخ 8 / 5 / 1972 ومهمته الاساسية :

1 — تلقى وتتبع ما تنتهى اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والمترجمين وقيامه بتنسيق ذلك كله وتصنيفه ومقارنته ليستخرج منه ما يتصل باغراض مؤتمر التعريب لعرضه على دورات المؤتمرات ·

2 — التعاون مع شعب التعريب فى البلاد العربية لتتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب فيها ولتلقى النتائج العلمية التى تنتهى اليها الجهود فى تلك البلاد ·

3 — العمل بكل الوسائل الممكنة على أن تحتل اللغة العربية مكانتها الطبيعية فى جميع البلاد العربية بالتعاون والتنسيق التام مع جامعة الدول العربية والمجامع اللغوية ومع غيرها من جهات الاختصاص فى البلاد العربية ·

4 — متابعة حركة التعريب خارج حدود الوطن العربى ، بالتنبيه على ما يراه من خطأ فيها وتشجيع الصواب وتقديم المشورة ·

مسطرة العمل فى خصوص تنسيق المصطلحات

اولا : ان اولى الاسبقيات فى عمل المكتب انما تعطى للمشاريع التى ترد اليه عن طريق الامانة العامة لجامعة الدول العربية — فيما كان — والمنظمة العربية للتربية والثقافة حاليا ·

ثانيا : تليها فى مرتبة الاهمية تلك المشروعات التى ترد مباشرة من الاجهزة التابعة للجامعة العربية كالمنظمة العربية للبترول والاتحاد البريدى العربى والمنظمة العربية للمواصفات والمقاييس والمنظمة العربية للطيران المدنى واتحاد اذاعات الدول العربية وغيرها ·

ثالثا : ما يرد من حكومات الدول العربية وهيئاتها العلمية ·

رابعا : ما يرد للمكتب من المنظمات الدولية كالمنظمة الدولة للتغذية والزراعة والمنظمة الدولية الخرائطية ·

خامسا : ثم يأتى العمل التنسيقى فى المكتب فى خصوص ما يقترحه خبراؤه ومراسلوه العلميون من ذوى المكانة العلمية المرموقة فى الوطن العربى الكبير من مواضيع معجمية لتكون لها السبق على غيرها ·

ويتلخص المنهج الذى وضعه المكتب لتنسيق المعاجم فيما يلى :

ا) استقصاء المصادر العربية لتتبع مختلف المصطلحات المقترحة للمدلول الواحد ·

ب) وضع المقابلات الاجنبية بلغة ثالثة وهى الفرنسية او الانجليزية بالاضافة الى العربية فى خصوص المعاجم الكلاسيكية التعليمية مراعاة للاختلاف فى المناهج بين الدول العربية التى كانت تستعمل الفرنسية ·

واذا كان المعجم صبغة تكنولوجية دولية فان المكتب يحاول اضافة لغات اخرى كالالمانية والروسية.

ج) استقراء المفاهيم على الصعيد العلمى الدولى فى الاطار المحدد للمعاجم ·

د) مبدا الاحتفاظ بالمشروع الاصلى لكل معجم واضافة مقابل اجنبى ثان (انجليزى او فرنسى) مع اثبات ملحق من المصطلحات الاضافية المستعملة فى هذا النسق او ذاك من الوطن العربى ·

هـ) اصدار مشاريع المعاجم المنسقة فى جزء خاص فى كل طبعة من مجلة « اللسان العربى » مع فصلة

لكل مشروع معجم مع ملحقة مرتبين ترتيبا موحدا ، وذلك من اجل عرضها على الاخصائيين والخبراء فى البلاد العربية للدول العربيـــة المهتمـــة بالاستشراق والاستعراب تمهيدا لعرضها على ندوة الخبراء العرب ومؤتمرات التعريب تنعقد فى احدى العواصم العربيـــة باتفاق مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وذلك لاقرارها نهائيا والعمل على تطبيقها بكيفية موحدة فى الجهاز التعليمى بالدول العربية .

منجزات المكتب

1 ــ منجزات السنوات من (1962 الى 1965):

رغم ضعف وسائل المكتب المادية والبشرية (قبل اندماجه فى جامعة الدول العربية) فقد قام طبقا لتصميم ثلاثى لتعريب التعليم والادارة ومظاهر الحضارة باعداد مـــا يلى :

ــ مجلة « اللسان العربى » ، وهى مجلة دورية تعنى بمختلف الدراسات اللغوية العلمية منها والادبية وكذلك مختلف نشاطات المكتب والمجامع والجامعات والشخصيات العلمية فى الوطن العربى وفى بقية العالم فى ميدان التعريب وقد صدر منها خلال هذه الفتـــرة ثلاثة اعداد (الاول والثانى والثالث) .

ــ سلسلة معاجم علمية تعاون على تاليفها مع بعض المؤسسات العربية والمجامع اللغوية والعلمية والافراد العلميين وهى :

1 ــ معجم الرياضيات .

2 ــ معجم الفيزيـــاء .

3 ــ معجم الكيميـــاء .

4 ــ معجم الفقه والقانون .

5 ــ معجم الاشغال العمومية .

6 ــ معجم السيـــاحـــة .

7 ــ معجم الطحانة والخبازة والفرانة .

8 ــ معجم مصطلحات السيارة .

9 ــ كراسات اخرى تتضمن من مصطلحـــات فى مختلف العلوم والفنون .

هذا وقد وزعت فى وقتها فى العالم العربى وتوصلنا بملاحظات فى شانها .

ومن المعلوم انه خلال هذه السنوات انكب المكتب على تحضير ندوة فى خصوص تاليف معجـــم مدرسى موحد انطلاقا من اقتراح ممثل جمهورية مصر العربية فى المجلس التنفيذى للمكتب الدائم بالربـــاط (الدورة الاولى لعام 1962) ، غير ان الندوة المقررة فى شانه لم تنعقد لعدم توفر الخبراء الذين كان من المقرر ان يناط بهم مراقبة الاعمال الاولية لاعداد هذا المشروع .

2 ــ منجزات السنوات (من 1966 الى 1974):

استهل المكتب عمله بادىء ذى بدء بوضع تصميم عشارى للتعريب (لمدة عشر سنوات) من اجل اعداد معجم علمى وتقنى عام وزع فى ابانه على الدول العربية من اجل ابداء الراى والمشاركة فى تنفيذه .

وقد شرع المكتب حينا فى تنفيـــذ هـــذا المشروع مستهلا عمله بوضع جزازات (بطاقـــة) باللغـــات المختلفة للمصطلحات التى توصل بها مـــن المعـــاجم والجامعات والمجالس العليا ، والهيئـــات الثقافيـــة والشخصيات العلمية بالوطن العربى ، وكـــذلك من الخبراء العرب ، ومن مراسلى المكتب الذين عينتهـــم مختلف الحكومات العربية فى مختلف الشعب العلمية والتقنية ، وقد تجاوزت هذه الجزازات لحـــد الآن ، ثلاثمائة الف جزازة وما زال عددها فى حالة نمو مستمر. وفى نطاق هذا التصميم اصدر مكتب التعريب ما يأتى :

1 ــ « مجلة اللسان العربى » : (صدر منها ستة اعداد) كالآتى :

الاعداد : الرابع والخامس والسادس فى جزء واحـــد .

العدد السابع فى جزاين (الاول للـــدراسات والابحاث اللغوية والثانى للمعاجم) .

العدد الثامن فى ثلاثة اجزاء (الاول للـــدراسات وجزءان للمعاجم العلمية) .

العدد التاسع فى جزاين (خصص الاول للابحاث اللغوية والثانى للمعاجم) ·

2 ــ سلسلة معاجم صغيرة تعنى بالمصطلحات الحضارية كجزء من معجم المعانى وهى :

ــ معجم اسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم

ــ معجم الاجهزة والآلات

ــ معجم الالعاب واللعب العربية القديمة

ــ معجم السماكة والاسماك

ــ معجم الالــوان

ــ معجم الحرف والمهن ومعجم الاحجار والمعادن والفلــزات ·

ــ معجم الطعمــة

ــ معجم المنزلــى

ــ معجم الحشرات

ــ معجم العظام

ــ معجم الدمويات

3 ــ سلسلة معاجم من الحجم المتوسط والكبير تعنى بالمصطلحات العلمية وهى :

ــ معجم الحساب الابتدائى وهو معجم فرنسى عربى للمصطلحات المستعملة فى المدارس الابتدائيــة وضع طبقا لحاجيات المدارس بالمغرب العربى ·

ــ من رسالة الطرق الى القاموس التقنى للطرق وهو قاموس فرنسى ــ انجليزى عربى مــن اعــداد المهندس انيس شباط الرئيس السابق للجنة الدائمــة للمواصلات فى جامعة الدول العربية اصــدره المكتب بموافقة الجمعية الدولية الدائمة لمؤتمرات الطرق ·

ــ معجم تفصيح العامية ومقارنات بين العامية فى العالم العربى ·

ــ معجم المصطلحات الاعلامية وهــو يشمــل المصطلحات الرتابة والنظامة التى اصبح العالم العربى متجها الى الاخذ بها كدماغ مفكر منسق ·

ــ اعداد مشروع معجــم الاقتصاد والقانــون (الجزء الثانى) ·

ــ اعداد معجم لآلى العرب ، وهو معلمة واسعة على نسق المخصص لابن سيده يهتم كذلك بالمصطلحات العلمية والحضارية الحديثة للمرحوم خليل رزق عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ·

ــ تحقيق كتاب المقولات العشر ·

هذا ويجدر ان نشير الى ان كل هذه المعاجم عبارة عن مشروعات قام بها المكتب باعدادها طبقا للمسطرة التى تحدثنا عنها وذلك من اجل عرضها على انظــار الخبراء فى العالم العربى لدراستها وموافاتنا باقتراحاتكم بشانها لتنسيقها قبل عرضها على مؤتمرات التعــريب المقبلة ، وتنفيذا لهذا المنهج قام المكتب باعداد ستــة مشروعات معاجم علمية تفضلت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية باحالتها عليه سنة 1970 من اجــل التنسيق ويدخل فى ذلك وضع المقابلات الفرنسية غير الموجودة فى المشروع الاصلى مع رد المصطلحات المقترحة الى مراجعتها ليسهل انتقاء اصلحها خلال الندوات وهذه المشروعات هى :

ــ معجم الرياضيات

ــ معجم الكيمياء

ــ معجم الفيزياء (الطبيعية)

ــ معجم الحيوان

ــ معجم النبــات

ــ معجم الجيولوجيا

وقد اضاف المكتب لهذه المعاجم كل المصطلحات التى لم ترد فى المشروعات الاصلية علما بأن المصطلحات التى تشملها هذه المشروعات تخص اصل المصطلحات التى تستعمل حتى مرحلة الدراسة الثانوية ·

المؤتمر الثانى للتعريب :

انعقد فعلا لهذه الغاية المؤتمر الثانى للتعريب بالجزائر فيما بين 12 — 20 ديسمبر 1973 ، طبقا لتوصيات مؤتمر التعريب الاول الذى انعقد بالرباط (3 — 7 أبريل 1961) وتعزيزا لتوصيات المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العرب (الكويت 17 — 22 فبراير 1968) · ووافق المؤتمرون على المعاجم الستة المذكورة بعد ادخال بعض التعديلات من طرف اللجان المختصة فى المؤتمر الذى شاركت فيه وفود عن جميع البلاد العربية ، ويواصل المكتب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الآن تنفيذ مقررات المؤتمر باخراج هذه المعاجم فى شكلها الجديد الى حيز الوجود·

ويجرى الآن الاعداد لمؤتمر التعريب الثالث الذى سينعقد فى طرابلس (ليبيا) فى العام المقبل بحول الله لاستكمال بقية مواد التعليم العام والشروع فى تعريب وتوحيد مصطلحات التعليم العالى ·

كما تم تنفيذ البرامج التالية :

1 — اخراج العدد العاشر من مجلة «اللسان العربى» فى جزاين يضم كل جزء بين دفتيه قرابة 400 صفحة وهو عدد ممتاز حيث ان تاريخ صدوره يصادف احتفاء المكتب بحدثين بارزين فى مسيرته لخدمة العربية باحلالها المكانة اللائقة بها باعتبارها الرباط المقدس بين العرب أجمعين ، الا وهما :

(أ) اشراقة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التى انتظم المكتب كواحدة من أجهزتها ·

(ب) مناسبة مرور عشر سنوات على تاسيس المكتب الدائم للتعريب الذى اقيمت دعائمه انطلاقا من مؤتمر التعريب الاول الذى عقد فى الرباط عام 1961 ·

2 — اعداد معجم السكر والشمندر (البنجر) ·

3 — اعداد معجم مصطلحات الاذاعةوالتلفزيون والسينما والمسرح والرقص والرسامة والنقاشة والحفر بطلب من اتحاد اذاعات الدول العربية ·

وفى سلسلة مشروع معجم المعانى تم تنفيذ ما يلى :

4 — مشروع معجم الملابس ·

5 — مشروع معجم الاقاعى والاحناش ·

6 — مشروع معجم المراة (كل ما يتعلق بها من حمل ونفاس ورضاعة وتربية الطفل وانواع التجميل وادوات التربية) ·

7 — مشروع معجم القطارة (السكك الحديدية)·

8 — شوارد طبية ومعجم الزهور ومعجم الادارة العامة والمرافق المختصة الخ ·

وقد صدر العدد الحادى عشر فى ثلاثة مجلدات ايضا ضمت مشاريع المعاجم الآتية :

1 — معجم الادارة العامة والمرافق المختصة (فى نحو 8000 كلمة) ·

2 — معجم الاقتصاد (فى نحو 8000 كلمة) ·

3 — معجم السيارة .

4 — معجم الاصول العربية فى اللغات ·

5 — معجم اسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم ·

6 — معجم السكر والبنجر ·

وكلها من وضع مدير مكتب التعريب عدا معجم الاقتصاد ·

توزيع المطبوعات :

تجدر الاشارة هنا الى ان عدد المشتركين الذين يتوصلون بمطبوعات المكتب يبلغ حاليا نحو 6000 مشترك من افراد علميين واساتذة مختصين فى الميادين العلمية والفنية والتكنولوجية وهيئات ثقافية وجامعية، كالمجامع والجامعات والمجالس العليا فى الوطن العربى ومن المستشرقين والمستعربين وجامعات ومعاهد وهيئات فى بقية انحاء العالم · وان المكتب لمستمر فى تطور وسائل التوزيع لضمان انتشار اللغة العربية فى مختلف القارات وابراز صلاحيتهالمسايرة الركب الحضارى العلمى فى انحاء المعمور وذلك بالتعاون مع

الحكومـــات والمنظمات والهيئات والشعب الوطنيـــة للتعريب والمراسلين ·

(أ) المنظمات والهيئات :

ان المكتب الدائم الذى يعتمد فى تعريب وترجمة وتنسيق المصطلحات على ما وضعته المجامع والجامعات والمجالس العليا والمنظمات والافراد العلميون فى الوطن العربى ليعتبر تعاونه مع هـــذه الهيئات بمثابـــة عمل اساسى لانجاح كل مشاريعه المعجميـــة وعلى هـــذا الاساس يقوم المكتب بموافاتهـــا بمشاريعه المعجميـــة مـــن اجـــل ابـــداء المـــلاحظـــات والتـــوجيهـــات التـــى نعتبـــرهـــا اساسا لتعديلهـــا ، كما يقـــوم والتوجيهات التى نعتبرها اساسا لتعديلها ، كما يقوم من جهته بتلقى مشاريع بعض هذه الهيئات من اجـــل الملاحظة او الانجـــاز المشترك ونخص بالذكـــر منها مشروع معجـــم البترول للمنظمـــة العربية للبترول ، ومعجم مصطلحات الطيران للمنظمة العربية للطيران، ومشروع معجم الاتحاد البريدى العربى الذى وضـــع بشأنه المكتب تقريرا يتضمن ملاحظاته واقتراحاتـــه التى كان لها الاثر الفعال فى وضع هذا المعجم بصفة نهائية · وقد تفضلت ادارة الاتحاد البريـــدى العربى بابلاغ شكرها الى المكتب مقررة جهوده التى اسهم بها فى هذا العمل العربى الاصيل ، راجية له دوام التقدم والتوفيق والمدد فى خدمة وطننا العربى الكبير ·

كما تلقى المكتب من منظمات وجامعات عربيـــة وغير عربية دعوات لحضور مؤتمراتها الثقافية ، وقد استجاب بالرغم من ضعف امكانياته المادية والبشرية لبعضها كدعوة للمدير العام من جامعة «هالى» بألمانيا الشرقية ، وحضور مهرجان تأبين الدكتور على جواد بالجمهورية العراقية ، وحضور مؤتمـــر المصطلحات الفلسفية الذى انعقد بالقاهرة ما بين 3 و8 مايو 1971 وقد ساهم ممثل المكتب فى هذا المؤتمر بكل ما يـــراه مناسبا لانجاحه وبالاضافة الى مشاركته فى كل جلساته القى كلمة الختام فى هذا المؤتمر ، كـــما شارك المكتب ايضا فى الدورة الثالثة لمؤتمـــر العمـــل العربى الذى انعقد بالرباط فى شهـــر مارس آذار 1974 ، ومؤتمر العلوم الادارية ومؤتمر الطيران المدنى الخ ·

مفهوم «حياة اللغة» وأسس تطوير اللغة

الأستاذ محمد الهادي الطرابلسي

قضت الطبيعة ألا يعالج الانسان المشكل الا عند انتصابه ، والا يتدبر له حلا الا عند قيامه حاجزا فى طريقه . وليست الصورة التى يوضع بها المشكل فى الضيق واضحة كالتى يوضع بها فى السعة ، وليس للحل الذى يقدم له مع العجلة والارهاق ناجعا كالذى يقدم له مع راحة البال ، وهدوء الاعصاب . ولا يسمح اليوم — وقد علمتنا الحياة ان نهذب السنن — أن ننتظر المشاكل لنطلب لها الحلول فالمنهج القويم يقتضى توقع المشاكل قبل وقوعها ، ودرسها قبل استعصائها او اعادة وضعها بالصور التى تقربها من الحل اذا كانت قد حدثت بعد ، ولم يتسع الخرق لتهيىء الجو المناسب لحلها .

فلا نرى لنا اليوم من خطوة نخطوها فى لقاء محوره تطوير اللغة العربية الا ان نعود الى اهم المشاكل القائمة حول حياة اللغة بصفة عامة من ناحية ، وحول اللغة العربية بصفة خاصة من ناحية أخرى ، فنضعها فى قوالب جديدة تقتضيها طبيعة ازمة التطور العام الذى نشهده فى بيئتنا ، ويقتضيها المنهج العلمى القويم الذى لا سبيل الى التقدم فى الدرس الا بما فيه من روح التجرد ، ذلك اننا نعيش اليوم والعربية تضخمت فيها المشاكل وتحفزت لها الهمم فلم تخل من سائس متئد ولا من مدبر مجتهد ولا من نفذ مستعد ، غير انها خلت من النتيجة المثمرة . فإلام يرجع هذا العقم ؟

لا نروم البحث عن جواب لهذا السؤال بقدر ما نروم العودة الى بعض العبارات راجت بين الناس أدلة غامضة المدلولات ، من خلالها نسعى الى تدقيق المقصود « بحياة اللغة » ، وضبط الاسس التى نعتقد انها كفيلة بتطور العربية ، وذلك بخوضنا أولا فى قضية المقومات فى حياة لغة من اللغات ، وتحليلنا ثانيا ما يخص العربية من ذلك ويحتاج الى أولوية النظر ، علنا نوفق الى وضع اطار انجع للعمل .

ما من شك أن الثورة الفكرية كانت عظيمة فى مجال الدراسات اللغوية عند ما شاع الاعتقاد بين الدارسين — بداية من اوائل القرن التاسع عشر — بأن اللغة كائن حى ، تنشأ وتتطور ثم تموت ، وان مناهج درس اللغات فى اقوم المسالك لا تعدو ان تكون قياسا على مناهج دراسة العلوم الطبيعية ففى هذا

الاعتبار فتح جديد لآفاق الدراية اللغوية ، لم تخف على احد ثماره الطيبة · واهم ما نتج عنه من افكار ان حياة اللغة هى استخدامها والتعامل بها · على هذا الاساس اصبحت معرفة اللغة معرفة مجردة ، والالمام بدقائقها ، امرا ، اصبح عيش اللغة فى مختلف وجوه الحياة وممارستها ، امرا ثانيا ، الفرق بين الوجهين هو الفرق الذى بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل ، او بين امكانية الحياة وذات الحياة ·

وقد كانت هذه النظرة الجديدة مصدرا للكشف عن كثير من الحقائق ، بها امكن تفسير ظاهرة الوضع اللغوى ، وقضية تولد اللغات ، ومشكل اندثار اللغات، كما امكن تفسير العلاقات التى تربط اللغات بعضها ببعض ، والتى تربط بين المستويات المختلفة فى اللغة الواحدة · ولم يتم — حتى اليوم — من النظريات ما يستطيع ان يدحض هذا الراى ، فممارسة اللغة ، باستخدامها والتعامل بها ، ابرز مظاهر الحياة فيها ·

ومن جوانب توسيع الآفاق فى الدراسة اللغوية، خرج الدارسون من بوتقة اللغة الواحدة التى يدرسون فبعد ان كان النظر الى اللغة ينطلق مما توفر فيها ، والحلول التى تقدم تطلب لها من داخلها اصبح النظر اليها ينطلق منها ، ومن غيرها من اللغات التى تحيط بها وتتعايش معها ، والحلول التى تقدم تطلب من داخلها وخارجها معا · وهكذا تبلور — من جملة ما تبلور — موقف يلتزم به الكثيرون اليوم يعتبر أن من مظاهر اللغة ايضا تجردها من كل ما يهدد كيانها · وفى هذا الاطار وضعت قضيتا الثنائية والازدواجية ·

على ان بوادر الانشغال بهاتين القضيتين وجدت مع وجود المشاغل الاولى التى شغلت بال اللغويين ، لغويى العرب ، على الاقل · يكفى دليلا على تجسيم مشكل الثنائية ، أن ينظر فى عملهم الكبير على ضبط «الفصيح» من اللغة ، وسعيهم الحثيث الى اقامة الحد بين « الفصيح » و « الهجين » طبق مقاييس عديدة معروفة · ويكفى دليلا على شعورهم بخطر الازدواجية ، ان ينظر فى ضبطهم « العربى الخالص » ، وسعيهم الى اقامة الحد بينه وبين « الدخيل المعرب ».

الا ان المشكلتين وضعتا اليوم فى ديباجة جديدة، صاغتها الظروف الخاصة فى المجتمع العربى · فكانت قضية الثنائية متمثلة فى الصراع الذى بين الفصحى والعامية ، والذى كبر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر مع حركة النهضة · وقد كاد ينقسم الآخذون باطرافه شقين متعادلين وليس هذا مجال التوسع ، انما هو مجال الاشارة الى ان المشكل انطلق فى راينا — عند الطرفين معا — من الاختلاف فى مفهوم حياة اللغة والعمل على تجريدها مما يهدد كيانها ·

أما قضية الازدواجية ، فتجسمت فى التضايق من تعايش لغتين على الاقل ، اصيلة وطارئة . وقد احتدت فى أوائل هذا القرن مع حروب التحرر ومقاومة الاستعمار ، واشتدت فى النصف الثانى منه مع جهود التطور ودعم الاستقلال · فاعتبرت الازدواجية الثنائية من المظاهر التى تهدد كيان العربية واعتبر العمل على القضاء على الظاهرتين عملا على احياء العربية ·

ولئن لم يركز الصراع فى القضيتين على حوار بناء كالذى يقوم على ضبط مفهوم الثنائية ومفهوم الازدواجية وتعيين الاهداف المقصودة ، ودرس الظروف الحافة · واعتبار الامكانيات المتوفرة ، فانه — من طبيعة الاشياء ، لا من اختلاف المواقف — تبين بلا منازع ، أن الثنائية والازدواجية معا ، يهددان كيان العربية فى بعض مظاهرهما ، وصور تطبيقهما · فاضحى القضاء على حدة هاتين القضيتين من توامات حياة اللغة ·

فنستطيع أن نقول بناء على هذا ، ان مفهوم حياة اللغة ينحصر فى الاذهان عادة ، فى استخدامها ، والتعامل بها ، وفى تجردها من كل ما يهدد كيانها من العوامل الخارجية ·

على ان هذه النظرة بقيت فى راينا محدودة · اذ هى تلمس حياة اللغة من خلال مظاهرها وتكاد تحصر مفهوم حياة اللغة فى مظاهر الحياة الخارجية ، ولا ترتكز على درس اللغة بالاعتماد على مقوماتها الداخلية واسسها الخفية التى تضمن لها وحدها الحياة ·

فلا يمكن بحال أن يعتبر استخدام اللغة والتعامل بها — وهو ما استفيد من النظرية القائلة بان اللغة كائن حى — عنصرا كافيا لضبط مفهوم حياة اللغة ، او تجسيم مظاهر حياتها · والملاحظ أن هذا الموقف هو وليد نظر خاطىء انطلق من فهم أن اللغة كائن حى لا محالة · بيد ان المفهوم من النظرية المذكورة هو ان

اللغة كائن قابل للحياة ، اذ فى اعتبار اللغة كائنا حيا لا محالة تسليم ضمنى بحياة كل اللغات او قابليتها للحياة · وانطلاقا من هذا الخطأ كان تركيز الدراسات فى حياة اللغة عادة على مظاهر الحياة دون قابلية الحياة وفى هذا تحويل لمشكل خطر ·

كما لا يمكن اعتبار تجريد اللغة مما يهدد كيانها عملا كافيا لضمان حياة اللغة او حيويتها ، اذ عند الكثيرين اليوم لا يمكن النظر الى اللغة العربية ، ومعالجة مشكلة احيائها الا من خلال قضايا يرجع اليها ، اهمها : الثنائية ، فى الصراع بين الفصحى والعامية ، والازدواجية ، فى مسالة التعريب ، اعتبارا منهم ان هذه القضايا هى ابرز ما يهدد كيان اللغة · لا نوافق على هذا الراى لسبب بسيط هو ان هذه القضايا واقعة فى كل لغة وفى كل بلد وفى كل عصر ، ولا تختلف الا فى درجة الحدة التى توضع بها فى ظرف دون آخر ·

الى جانب ذلك نجد اعتقادا آخر سائدا ، بنى عليه التفكير فى اللغة والعمل على احيائها عامة وكان عليه المعول ، وهو اعتبار ان اللغة اداة دلالة ليس الا · على اساس هذا الاعتقاد توجهت عناية الدرس الى اللغة من حيث هى دال بقطع النظر عن المدلول · والمدلول جملة المعارف ، فكان ان ركز الاهتمام فيها على امكانياتها المختلفة فى الدلالة ، وكيفية النهوض بوظيفتها الدلالية ، اعتمادا على اثراء معجمها ، او تبسيط نحوها . . وفى هذا عزل للغة عن حركة المعارف الانسانية العامة غريب منكر · وفى راينا لا يكون النظر الى القضية سديدا الا اذا درست اللغة من حيث هى دال ومدلول معا ، واذا درست قضية تطورها فى اطار قضايا التطور الانسانى العام · ذلك اننا نعتقد ان النهضة باللغة لا يمكن ان تكون فى معزل عن النهضة بمختلف المعارف والمؤسسات والقطاعات التى يضعها مجتمع واحد ولان اللغة مؤسسة من مؤسسات المجتمع ، اخذا بالتعديل الذى ادخله رائد الالسنية الحديثة فى اوائل هذا القرن ، وايمانا منا بكون حياتها هى حياة مؤسسة ، لا حياة فرد ، وشتان بين نظام كل من الكائنين · وحاصل ما وقع من التباس ، متولد عن سوء تقدير لحقيقة مفهوم حياة اللغة ·

وفى راينا ينبغى ان نفهم حياة اللغة بمعنى قابليتها للحياة ، والاستمرار فيها · ونفضل ان نستعمل لذلك عبارة حيوية اللغة· وهذه الحيوية مرتبطة بمرونة نظام اللغة الداخلى ، اى بمرونة القوانين التى تربط العلاقات بين عناصرها المكونة اكثر من ارتباطها بمظهرها الخارجى ، اى بانواع عناصرها المكونة واشكالها · فلئن اعتبر استخدام اللغة فى اكثر المجالات والتعامل بها فى اكثر المستويات ولئن اعتبر تجريدها مما يهدد كيانها من العوامل الخارجية ، من مظاهر حياة اللغة ، فان هذا لا يكفى وحده لضبط صورة حيوية اللغة · فحيوية اللغة تقتضى بعد ذلك امرين على الاقل : حيوية نظامها ، وتتمثل فى قابلية اللغة للاستمرار فى الحياة ، وحيوية مستعملها ، وتتمثل فى العزم على احيائها ، والعمل عليه دائما وابدا ، لا فى ظرف دون آخر ، لان عملية الاحياء هذه لا تقف عند حد · ينضاف الى ذلك عنصر ثالث ، لا يخلو من اهمية وهو : حيوية جوارها · ونعنى بالجوار الاطار الحضارى الذى تعيش فيه اللغة باعتبارها مؤسسة من مؤسسات المجتمع · فحيوية اللغة عندنا هى حيوية نظامها ، وتجرده مما يخل به فيشوش حركته ، وهى حيوية مقيدة بحيوية الاطار الحضارى الذى تعيش فيه اللغة · والعامل على احياء لغة من اللغات اولى به ان يفكر فى ضمانات الحيوية قبل ان يفكر فى مقومات الحياة او مظاهر الحياة ، واولى ان يسعى الى حل مشاكلها العرضية النابعة منها ، قبل ان يسعى الى حل مشاكلها القارة المحيطة بها ، وليكن نصب عينيه دائما ان مستوى الحياة فيها رهين مدى حياة جملة المعارف الانسانية فى البيئة المشتركة ·

هذا المفهوم ينطبق على كل اللغات ، واطار الدراسة الذى قدمنا مشترك بينها · لكن العمل البناء لا يمكن ان يثمر الا اذا روعيت فيه الظروف الخاصة باللغة المدروسة ، لان الظروف ليس من الحتمى ان تتشابه · فالظروف هى التى توضح نوعية المشاكل التى يتحتم البداية بفضلها وهى التى تفرض تبويبا لها حسب عاجل وآجل · وفيما يلى نقدم تصنيفا للمشاكل التى نعتقد انه يحسن البداية بها لتطوير العربية فى الظروف الراهنة ·

فاسس تطوير العربية فيما نرى نوعان : اسس فنية نظرية ، تنبع من ذات اللغة ، وينبغى ان تؤول الكلمة فيها اولا الى علماء اللغة ، اصحاب الاختيارات العلمية والمنهجية القويمة ، واخرى عملية تطبيقية تولدها محركات اللغة ، وينبغى ان تؤول الكلمة اولا

الى اهل التفكير فى التطور العام وعلى رأسهم أصحاب الاختيارات السياسية العامة ·

اما الاسس الفنية فيمكن حصرها فى قضية عامة هى : ممارسة اللغة · وهنا نمنح مفهوم الممارسة توسيعا كبيرا يخرج بها من مستوى مظاهر حياة اللغة الى مستوى ضمان حيوية اللغة · فالممارسة عندنا تمر بأربع مراحل رئيسية ، هى تدريس اللغة ، والانتاج القيم فى اللغة المعنية ، والعمل بها فى الادارة ، واجراء البحوث العلمية فى صلبها ·

وقد يبدو التذكير بضرورة تدريس اللغة العربية من باب اعادة المعروف عاما لانه بديهى او لانه واقع فى كل بلد عربى منذ القرون الخالية · غير أن المقصود هو توسيع هذا التدريس الى كل المستويات ، وتضخيم ساعات الدرس بكميات لا تستطيع ضبطها الا لجان تعمل على ذلك · وعلى كل حال بكيفيات غير المعمول بها الآن لان هذه برهنت على قصورها عن الايفاء بالحاجة · والمطلوب كذلك أن يسير هذا الدرس على مناهج منقحة وطبق سياسة تربوية محكمة ، وأن يتخير للاضطلاع به اصحاب الكفاءات ، كما يطلب أن يكون درس العربية مشرطا قارا فى تكوين كل طالب عربى مهما كان نوع الاختصاص الذى يتهيأ له ·

ومن وجوه ممارسة اللغة ممارسة نافعة ، الانتاج القيم باللغة العربية مشفوعا بالنقد السديد والحق انه لم ينقطع حبل الانتاج فى المجتمعات العربية باللغة العربية ابدا · لكن الانتاج اختلف مدى وعمقا من زمن الى آخر ، واختلفت قيمته · والمشترط هنا هو ضمان مستوى من الانتاج مرموق ، والحرص على قرار المستوى · ولا يتم ذلك الا بالتشجيع على الانتاج القيم ، والقضاء على الضعيف بدون تردد · ويرى البعض أن الامر ينبغى أن يوكل للزمن الذى يستطيع وحده أن يصفى الحساب فى كل انواع الانتاج فلا يستبقى منه الا ما تحداه · لكننا نرى ضرورة اخذ الموقف فى الابان ، والصرامة فى الحكم · ونرى أن ينظم لذلك مجمع ، يمكن أن يكون معهد البحوث العلمية ، توجه اليه كل انواع الانتاج مهما بلغت درجة صاحبها العلمية وتسند اليه مهمة تقرير الانتاج بضبط تقارير بيانية فى ذلك ، شأن ما يجرى اليوم فى خصوص البحوث العلمية وطرق تقرير مصائرها ، فى نطاق معهد البحوث العلمية بتونس · وهذا الاجراء الذى نقترح لا يتنافى مع حرية الفكر ما لم يداخل الاختيارات العلمية البحت من الاعتبارات الشخصية ما يقلب القيم·

ويتحتم الى جانب ذلك ادخال العمل باللغة العربية فى الادارة فى معناها الشامل · فما زالت الادارة فى المجتمع العربى ، من حيث هى مؤسسة حضارية جسما غريبا مزروعا فى هيكل غريب ، ليس فيه عربيا الا اغلب الاعوان · وما صعوبة احداث ثورة من هذا النوع بخافية · لكن من التربص البغيض والانتظار الممقوت ·

ولعل أبرز مظاهر ممارسة اللغة البحث العلمى · وبعضهم يذهب الى حصر كل هذا العمل التطويرى فى مجال البحث العلمى وحده ، لكننا لا نذهب الى هذا الحد ، لان الدراسات العديدة حول اللاتينية مثلا لم تنته الى تطوير اللاتينية فى حد ذاتها بقدر ما انتهت الى وصف نظامها ، وكشف خفاياها انما نعتبر أن البحث العلمى هوالاطارالفنى الوحيدالكفيل بتهذيب مناهج التدريس وتقويم دعائم الانتاج ، وتوجيه سبل النقد البناء . وكل هذه العناصر تتفاعل لتطور اللغة · لذلك نرى أن البحثالعلمى نشاط لا يتصل بمظهر واحد من مظاهر حيوية اللغة انما هو يتصل بجملتها · والراى الذى يذهب اليه البعض اليوم والمتمثل فى اسناد مهمة البحث العلمى الى المعاهد البيداغوجية ، وكليات التعليم العالى خاصة ، لا يمكن الا أن يمثل البحث العلمى ، خاصة اذا علمنا ان البحث العلمى انواع عديدة لا يمكن أن يستقطبها التعليم وحده ، هذه الانواع يمكن حصرها فى اربعة ، هى حسب درجات ما تستحق من أولوية فى راينا : البحث المندرج فى مخطط معهد البحوث وسياسته العامة المتطورة فى البحث العلمى · وهذا يقتضى من المشرفين على المعهد توخى سياسة فى ذلك واضحة مضبوطة والبحث المندرج فى نطاق الوصايا · ونعنى بالوصايا ما تتقدم به المؤسسات الحضارية العامة فى البلاد من قضايا تطلب لها حلولا ، على ضوء بحوث توكل الى المختصين . وهذا الاجراء يقتضى من المؤسسات العاملة فى البلاد تشغيل معهد البحوث ، لا لمجرد تشغيله ، ولكن لغاية الانتفاع بثمرة العلم فى بحوث اهل الاختصاص ، والبحث الجماعى الحر ، وهو ما تقوم به الجمعيات المختصة من عمل ، وان لم يدخل فى مخطط المعهد ولا كان استجابة لوصية،

والبحث الفردى الحر ، وهو ما يقوم به الافراد بمقتضى اختصاصاتهم واجتهاداتهم المعزولة ، وهذا النوع الاخير هو الغالب اليوم على بقية الانواع فى اعمال معهد البحوث العلمية بتونس .

هذه فى راينا اهم مظاهر ممارسة اللغة ، والتى لا يمكن ان يكون المستشار فيها الا علماء اللغة فى البلاد لانها تعالج القضية من الناحية الفنية البحت .

اما الاسس العملية المتولدة عن محركات اللغة ، والكفيلة بتطوير العربية ، والتى نرى انها تؤول الى اهل التفكير فى التطور العام ، وخاصة اصحاب الاختيارات السياسية ، فمرجعها الى ثلاثة :

اساس خاص بالعربية دون سائر اللغات ، وهو تقوية الوازع الدينى ، ذلك ان اللغة العربية تتميز من كل لغات العالم ، ميتها وحيها ، بكونها اللغة الاصيلة لآخر كتاب مقدس نزل ، فالقرآن ، كلام الله ، بلغ الناس فى لغة العرب ، وفى هذه اللغة تكمن معجزة محمد ، رسول الله ، لا نريد من وراء هذا ، الدعوة الى الاعتزاز بالعربية من حيث هى لغة مقدسة ، ولكن الاقرار بحقيقة تاريخية لا جدال فيها ، هى أن حياة العربية او حيويتها كانت منذ ظهور الاسلام الى اليوم رهينة حياة الاسلام، مما دعا كثيرا من الدارسين الى اعتبار العربية الفصحى — مهما كان مستوى حياتها او موتها ، عبر العصور — لن تموت ابدا يوما ، لان لها حافظا يحفظها هو القرآن .

فى مدارسنا عوضت الكتاتيب والمدارس القرآنية بالروضات والمدارس الابتدائية ، وعوضت حصص تلقين القرآن بحصص تحليل الآيات ودرك المفاهيم، ولم يبق معتبرا فى شىء تحفيظ نصوص القرآن ، ولا نريد المفاضلة بين هذا المنهج التربوى وذلك ، وانما نريد الاشارة الى ضرورة اعادة التفكير فى مناهج تعليم القرآن واعطاء حظ تحفيظ سوره النصيب الذى يستحق.

ومن اسس تطوير اللغة ، التى يقتضيها وضع العربية بالخصوص فى الظروف الراهنة : نزع المركبات، مركبات النقص العالقة بأنفس العرب نحو العربية ، والمبنية خطأ على أن اللغة العربية قاصرة عن مواكبة العصر ، وعاجزة عن اداء دقيق المفاهيم ، وما من شك أن اهم مظهر لنزع المركبات — مهما كان نوعها — هو النهضة الاقتصادية التى هى كفيلة بارجاع الثقة الى النفوس الضعيفة ، ولكن هل ينبغى ان نكتف الايدى وان نحجم عن اخذ المواقف ما لم تتم لنا النهضة الاقتصادية الشاملة ؟ كلا ، فنحن نرى ضرورة العمل لكن مع ملازمة الحذر ، والتطرف فى مثل هذه الاعمال ممقوت ، فما الانتظار بكاف ولا الاسراع فى الانجاز بشاف ، النفع ، كل النفع فى السير البطىء ، المتزن حتى يضمن للقدم الثبات ، ونزع المركبات يتم فى راينا عن طريقين من طرق ممارسة اللغة ، هما : التدريس على الوجه الذى بينا والعمل باللغة فى الادارة على ما اشترطنا .

واهم اسس تطوير العربية على الاطلاق : اتخاذ سياسة تربوية عامة محكمة ، العمل على تطوير العربية وابراز اهدافها ، بمقتضى هذه السياسة يكون ادخال مراحل ممارسة اللغة حيز التطبيق ، وبمقتضاها كذلك يمكن تسخير الجهود الى تقوية الوازع الدينى ونزع كل الوان مركبات النقص ، وفى هذه الصورة لعمرى ، اهم المظاهر لسياسة نستطيع أن نسميها سياسة التعريب ، فالتعريب لايمكن النظر اليه الا فى هذا الاطار ، وبهذا المفهوم ، اما ان نرى التعريب قضية حتمها شطط الثنائية ، او خطر الازدواجية فذلك عين التعوق والتعويق ، فتطوير العربية مرتبط الى حد كبير بالسياسة التربوية الخاصة والاختيارات السياسية العامة ، ان لم نقل انه بهذه وحدها مرتبط وليس ادل على ذلك اكثر من ان نرى حدة مشكلاتها تقوى او تضعف على قدر ما فى امواج السياسة من مد وجزر ، ففى اسرائيل مثلا ، عند ما عقد العزم على احياء اللغة العبرية ، كان ما كان العزم عليه ، وبعثت العبرية الى الحياة فى شكل مصطنع — ولكنها بعثت على كل حال ، وفى المنتظم الامى ، عند ما اجتهد العرب لادخال العمل فيه باللغة العربية ، مغتنمين فى ذلك الظروف المناسبة ، نجحوا ، والى السياسيين يعود الفضل فى ذلك لا الى اللغويين .

اما البحث فى مصير اللغة ينبغى ان يرد فى سياق البحث فى مصير كل مظاهر المؤسسات الناشطة فى المجتمع ، وينبغى أن يكون اصحاب الراى فيه : اهل النظر ، واهل التطبيق واهل التوجيه ، جميعا ، فى اطار موسع عام هذه صورته ، يمكن ان تخلق

المعجزات لا فى اطار واحد مختص معزول ، كالذى جرى العمل فى نطاقه عادة ·

فعملية التطوير — مهما كان محورها ، اللغة أم غيرها من المؤسسات — مسؤولية مشتركة فى الجراة على معالجتها بالتفكير ، والشجاعة على اجرائها بالتطبيق ، مصير امة كاملة ، الا انها رهينة التنشيط ، وهذا دور اهل التوجيه ، فليات هؤلاء بالاختيارات السياسية واضحة اولا ، ثم يكون الحوار فى ملتقى يتلوه ملتقى آخر ، وتنضج الثمرة ·

فاملنا أن تضم الملتقيات المقبلة المفكرين ، متباعدى النشاط ، متعددى الاختصاصات ، مختلفى النزعات ، لهم من صلاحيات التفكير واختيار صور الانجاز ومواعيده ما يجعل للكلام صدى وللقوة فعلا ·

محمد الهادى الطرابلسى

استاذ بكلية الآداب والعلوم الانسانية — تونس —

خواطر حول وضع اللغة العربية

الدكتور محمد سويسي

بين الفينة والاخرى يقوم فينا داع الى ندوة تجمعنا او ملتقى نلتئم فيه كي نتحدث عن مفهوم التعريب وكي نخوض فى مشاكل التعريب .

وكأنى بهذا الداعى هو فى الواقع وخز فى الضمير وقد اخل بواجب مقدس نحو لغة حلت منا فى الافئدة وسرت محاسنها فى الشرايين والاوردة .

فنحن نجتمع ونتساءل عن جوانب القضية ونتململ بالخطب وبمحسنات الكلام ، وتختم الجلسات وتفترق الجموع ، وكل يظن انه قد قام بالواجب .

وتنطفىء انوار الندوات والمؤتمرات وقد تحمست فيها الاجواء احيانا ، فأرعدت السماء وابرقت ولكنها سحابة صيف سرعان ما تنقشع بل هى من السحب الخلب لا يرتجى من ورائها حى ولا ربيع .

او قل : نادى منادى الصلاة فأم المؤمنون بيوت الله وقضيت الصلاة فانتشر الكل فى الارض للسعى والجرى وراء الفائدة غير متعظ بجليل المعانى التى من أجلها قصد المصلى .

وتعرضت الى الموضوع مرارا عدة منذ عشرات السنين ، منذ سنة 1945 فى مجلة المباحث وسنة 1960 فى محاضرة لقدماء الصادقية عن اللغة العربية والمصطلحات العلمية وسنة 1971 فى مجلة الفكر ، وسنة 1973 بمؤتمر التعريب بالجزائر ، وسنة 1975 بطرابلس فى ندوة التعريب .

ونحن نعود دوما الى البداية ، ونرجع الى مفهوم التعريب ، وهذا اللفظ يفيد فى اللغة الايضاح والتبيين ، وفى الاصطلاح يطلق على مدلولين مختلفين:

الاول ادخال اللفظ الاعجمى ضمن المعجم العربى فيصقل ويصاغ فى قوالب الاوزان العربية ويمكن من القبول لابنيتها والخضوع لمقاييسها وقواعدها ، فيشتق منه على الطريقة التى بها يشتق من العربى الصميم.

والمعنى الثانى — وقد شاع بيننا فى السنوات الاخيرة — وهو ايجاد مقابلات عربية للالفاظ الاعجمية حتى تصير العربية الفصحى وحدها هى لغة الكتابة والتدريس والاعلام تستخدم فى المدرسة والجامعة ، وتستعمل فى الدار والسوق وفى الصحافة والاذاعة .

ففى المعنى الاول ينحصر القصد فى اللفظ المفرد، ويتعلق المعنى الثانى بصفة شاملة بحياة الامة ، يرمى الى ان تكون الصلة وشيجة بين الحاضر والماضى كى لا تنفصم العرى بين الشخص وبين آبائه ، بين تفكيره وشعوره ووسيلة تعبيره وتفكيرهم وشعورهم ولسانهم .

اى ان النظرة الثانية ترمى الى المحافظة على عربية الاذهان قبل السعى الى الافساح فى معجم اللغة، فلا يفيد تعريب الالفاظ اذا ما بقيت العجمة هى المسيطرة على العقلية ، واذا ما انسلخ الفرد تدريجيا عن المجموعة التى اليها ينتمى دون أن يتمكن من الحصول على التبنى من قبل أمم لا عمومة له من بينهم ولا خؤولة .

وما اللغة فى كافة المستويات سوى اداة للاتصال والابلاغ يكون لها من الفاعلية والنجاعة بقدر ما يكون لمستعمليها من كفاءة وبراعة ، وفى الواقع ان اللغة براء مما قد يلصق بها من تهمة الفقر والعقم، وانما يتعلق اصل الداء بالاشخاص وبعقلياتهم .

وانما تحيى اللغات بالاستعمال وبمسايرة التطور الثقافى والحضارى والاجتماعى .

ثم اننا سننظر الى مشكل التعريب بالمعنى الاول نظرة تقع فى اطار افسح واهم طالما وجدت البشرية جمعاء نفسها مواجهة اياه ولا سيما فى فترات التطور والتحول ، وهذا الاطار العام هو الذى يتمثل فيما يسمى اليوم بنقل التقنيات من بلد الى آخر . والح التساؤلات فى هذا الشأن يتمثل فى : هل على الدول النامية أن تتلقى من الامم المتصنعة خبراتها واساليبها وطرقها العملية بحذافيرها وأن تطبق نماذجها الاتمائية كما هى ، مقتصرة على التقليد البسيط ؟ أم هل يجب على كل بلد أن يقتبس من الغير مجرد الاقتباس محافظا على ملاءمة ما يقتبسه لوضعه الخاص وبيئته الذاتية ودرجته فى النمو ؟

والشأن فى اللغة كالشأن فى الاقتصاد . وليس الامر خاصا بالعربية بل ان سائر اللغات قد تعرضت اثناء تاريخها لعين المشكل . ونحن سنقتصر على ذكر الموقف الذى وقفه فى الموضوع بعض الباحثين بفرنسا غب الوثبة التى وثبتها اوروبا نحو الحضارة العلمية وعند انبعاث المجتمع الغربى المتصنع فى نهاية القرن السابع عشر للميلاد وفى بداية القرن الثامن عشر.

فهذا **فينلون** يقول فى رسالته الخاصة بمشاغل المجمع اللغوى الفرنسى : « ان اللاتينيين قد اثروا لغتهم بما كانت فى حاجة اليه من المصطلحات الاعجمية فكانت تعوزهم مثلا مفردات مخصصة فى الفلسفة اذ لم تظهر بروما الا فى فترة متأخرة من الزمن ، فاستعاروا من اليونانية مصطلحاتها ليتمكنوا من ترويض افكارهم على مادة العلوم .

وهذا **شيشرون** — وهو من حيث التزمت ومن حيث الحرص على سلامة اللغة — قد سمح لنفسه باستخدام المفردات اليونانية التى كان فى حاجة اليها ، وكان فى البداية يستعمل اللفظ اليونانى على انه اعجمى يستسمح استعماله بتحشم ، ثم انقلب عنده الاسترخاص حقا وتملكا للمصطلح وحوزا له ، واعتبر ما جالتفيه يده بالحوز والتصرف حقا من حقوقه الخاصة .

هذا وقد بلغنى أن امة الانجليز لا تتعفف من استخدام كل ما من شأنه أن يساعدها على التعبير مهما كان منشاه ومهما كانت مصطلحاته ، فتنقض على هذه المصطلحات انى وجدتها تستحوذ عليها ، وهم يعتبرون ان ليس لهذه الاصوات فى حد ذاتها من قيمة بل هى تنسب على السواء للامة المستعيرة لها وللأمة المعبرة اياها ، فهل هناك من اهمية لكون اللفظ قد ولد ببلد من البلدان او ببلد آخر منه نقل الى الاول ؟ وانه لمن قبيل الغيرة الصبيانية ان يشعر الانسان بفرق بين الامرين اذ ليس الشأن سوى اعتبار لكيفية تحريك الشفاه وقرع الهواء ..(*)

واذا ما اعتمد عيشنا بأكمله على استعارات صارت من رصيدنا الخاص ، فبم نبرز ما نبدى من استحياء من نقل مسمياتها بكل حرية ؟

(*) هذا الراى يفقد شخصية الامة وكل الملابسات المعنوية التى تتصل بالموضوع — «اللسان العربى» .

ومقدمة كتاب «الجامع لمفردات الادوية والاغذية» للنباتى ضياء الدين بن البيطار المالقى جليلة القيمة غزيرة المعانىفى الموضوع الذى يهمنا ، فيجعل هذا العالم غرضه السادس من كتابه حسب قوله بنصه :

«فى أسماء الادوية بسائر اللغات المتباينة فى السمات مع انى لم اذكر فيه دواء الا وفيه منفعة مذكورة أو تجربة مشهورة (وذكرت) كثيرا منها بما يعرف به فى الاماكن التى تنبت فيها الادوية المسطورة كالالفاظ البربرية واللاتينية وهى اعجمية الاندلس ، اذ كانت مشهورة عندنا ، وجارية فى معظم كتبنا وقيدت ما يجب تقييده منها بالضبط وبالشكل والنقط تقييدا يؤمن معه من التصحيف ويسلم قارئه من التبديل والتحريف ، واذ كان اكثر الوهم والغلط الداخل على الناظرين فى الصحف انما هو تصحيفهم لما يقرؤونه او سهو الوراقين فيما يكتبونه» .

ويلخص البيرونى رايه فى تعريف المصطلحات فى كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل او مرذولة » فيقول : « وانا اذكر من الاسماء والمواضعات فى لغتهم (يعنى لغة الهند) مالا بد من ذكره مرة واحدة يوجبها التعريف ، ثم ان كان مشتقا يمكن تحويله فى العربية الى معناه لم امل عنه الى غيره الا أن يكون بالهندية اخف فى الاستعمال فنستعمله بعد غاية التوثقة منه من الكتبة او كان مقتضبا شديد الاشتهار فبعد الاشارة الى معناه وان كان له اسم عندنا مشهور فقد سهل الامر فيه » .

فالى لسان العرب اذن نقلت العلوم من اقطار العالم ، ويعود البيرونى الى الموضوع فى كتاب الصيدلة ويصرح بحبه للعربية فيقول : «وكانت كل امة تستحلى لغتها التى الفتها واعتادتها واستعملتها فى مآربها مع الافها واشكالها ، واقيس هذا بنفسى وهى مطبوعة على لغة لو خلد بها علم لاستغرب استغراب البعير على الميزاب والزرافة فى الكراب ثم منتقلة الى العربية والفارسية فانا فى كل واحدة دخيل ولها متكلف والهجو بالعربية احب الى من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولى من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسى كيف ذهب رونقه وكسف باله واسود وجهه وزال الانتفاع به اذ لا تصلح هذه اللغة الا للاخبار الكروية والاسمار الليلية » .

هذه آراء بعض العلماء الاعلام فى العصور الخالية فكأني بالمعارض يتوجه الى زاعما انى انما ادعو الى التعلق بالماضى وبأساليبه او انى ربما احث على التقليد واقتفاء الآثار ولكنى اذ اذكر ما اذكرمن هذه الآراء فما ذلك الا للقول بأنها قد ساعدت قديما على ايجاد عقول نبيهة وادمغة ثرية منتجة فلا اعنى بقولى هذا انه ينبغى تصنيعها بل الشأن ان نتخذ عملها وثائق تاريخية نرجع اليها كأداةصالحة فحسب وللغة وجودية تستلزم تجسيمها فى وجود انسانى ووجود اجتماعى والمجتمع قد تحول والعلم قد تطور وليس من المعقول أن نسير الى الوراء وان نسلك مسالك القدامى نفسها .

وقد يرى بعضهم ان فى عملنا هذا ضياعا للوقت وشغلا للنفس بما يجعل الانسان يعرض عن وجهة التقدم وعن تيار الرقى المتدفق فما الفائدة فى السعى الى التعريب مهما كان المقصود منه فالعصر فى زعمهم هو عصر توحيد ، يُروع البشرية فيه ازالة الفوارق والغاء القوميات والعصبيات ، وفى العزم بعث نموذج من البشرية متماثل العناصر والصفات متوحد النزعات متشابه الآراء والمذاهب الفكرية والثقافية والاقتصادية يستعمل عين الطرق التربوية والاجهزة الاعلامية ويستخدم نفس الوسائل للتنقل ، له عين الذوق فى المطعم والمشرب والملبس والمسكن ..

ونحن نرى ايضا ان هذا التقارب والتشابه من شأنه مبدئيا ان يحسم الخلافات وان يفض الخصومات ولكننا نلاحظ — عند التطبيق وفى الواقع — ان هذا الفكر انما يتم لصالح القوى المهيمن على من حوله من الناس وليت البشرية سارت سيرة عدل ، على سراط سوى لا تزيغ ذات اليمين ولا ذات الشمال ، لا شرقية ولا غربية راسخة الاقدام اصلها فى الارض وفرعها فى السماء ..

الا تكون الوحدة المزعومة على حسابنا وعلى حساب حضارة يعتز بها الانسان الحق ، انقذته من ظلمات الجهالة الحالكة ، وحفظت كرامة بنى البشر واورثتهم تراثا من اروع التراثات جمالا واخصبها مضمونا وادتها علما .

وعند هذا يفاجئنا المعارض بلون جديد من التحليل والتفنن والتهويل فيسايرنا فى قولنا انما تكون اللغة بالاستعمال ويساندنا اذا ما قلنا انه من الواجب أن يتعرب التدريس وعندها يتبرم مرددا مقالة انيس فريحة : « ان الفصحى ليست لغة الكلام فلا يرجى منها ان تعبر عن الحياة بحلاوتها ومرارتها وقسوتها ولينها ، كما تستطيعه العامية والدليل ظاهر فانك لا تستطيع أن تقول بالفصحى ما تقوله فى العامية واذا نقلته الى الفصحى اتى جافا قاسيا خلوا من العنصر الانسانى اللصيق باللغة » فيجيبه الاستاذ بلاشير : « انى لاصرح أن لغة الاعتزاز هى العربية الفصحى .. ولو كنت عربيا لكنت بالطبع فخورا بهذه اللغة ان اللغة العربية هذه تمكن العربى من ابراز شخصيته امام لغات الامم الكبرى وتشعره انه يمتلك لغة حضارية ممتازة .. » على ان مشكل الفصحى والعامية ليس خاصا بالعربية فهذا الاستاذ مرتينى الاخصائى فى ميدان الالسنية يصرح أن انتشار الفرنسية الفصحى بين عامة الفرنسيين حديث العهد ويضيف انه لا وجود للغة عامية فرنسية بل اننا كلما ابتعدنا عن باريس فى مختلف الاتجاهات ننتقل تدريجيا من لهجة الى اخرى ومع ذلك كل الفرنسيين يخاطبون معلمهم أو قساوستهم بعين اللغة .

وبهذا الاعتبار هل توجد بتونس لغة عامية واحدة بها يتخاطب اهل الوطن القبلى أو اهل المهدية أو اهل قفصة ؟ وما هى العامية التى قد يفكر بعضهم فى تعميمها لتعوض الفصحى ؟ اهى لغة الفلاح ام الجزار ام الملاح : لغة القرى ام لغة البادية ؟

ونحن مع ذلك لا ننكر ان لبعض الالفاظ العامية طرافة وانه فى الامكان أن تستغل العامية لاثراء الفصحى وتلقيحها ونحن ذكرنا آنفا ما صرح به ابن البيطار من استعماله البربرية واللاتينية لتسمية بعض الاعشاب بل اننا لا نتحرج فى بداية الامر من استعمال بعض المصطلحات الدخيلة ضمن مقالاتنا او فى دروسنا وهذا ابن سينا فى كتبه عامة وفى رسالته الالواحية خاصة يستخدم مصطلحات مستعارة من اليونانية والفارسية والهندية بنسبة لا تقل عن الثلث عن مجموع المصطلحات المستعملة فى رسالته .

ولعل احسن مثال يصور لنا هذا التدريج فى نقل العلوم الى العربية هو مثل كتاب ديوسقور يدرس فى الادوية المفردة ترجم هذا الكتاب بمدينة السلام فى الدولة العباسية فى أيام جعفر المتوكل وكان المترجم له اصطفين بن بسيل وتصفح ذلك حنين بن اسحاق فصحح ترجمة واجازها فما علم اصطفن من تلك الاسماء اليونانية فى وقته له اسما فى اللسان العربى فسره بالعربية وما لم يعلم له فى اللسان العربى اسما تركه فى الكتاب على اسمه اليونانى اتكالا منه أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربى اذ التسمية لا تكون الا بالتواطؤ بين اهل كل بلد على أعيان الادوية بما راوا ؟ ويقول ابن جنجل : وورد هذا الكتاب الى الاندلس وهو على ترجمة اصطفن منه ما عرف له اسما بالعربية ومنه ما لم يعرف له اسما فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق والاندلس الى أيام الناصر عبد الرحمن بن محمد فكاتبه ارمنيوس ملك القسطيطينية احسب فى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهاداه بهدايا لها قدر عظيم فكان من جملة هديته كتاب ديوسقوريدس مصور الحشائش بالتصوير الرومى العجيب وكان الكتاب مكتوبا بالاغريقى .. وكتب ارمنيوس فى كتابه الى الناصر أن كتاب ديوسقوريدس لا تجتنى فائدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليونانى ويعرف اشخاص تلك الادوية ..

ثم بعث ارمنيوس الى الناصر براهب كان يسمى نقولا (يتكلم الاغريقى) واللاتينى وهو (اعجمية الاندلس) وكان يومئذ بقرطبة من الاطباء قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما هل من اسماء عقاقير كتاب ديوسقوريدس الى العربية .. فصح ببحث هؤلاء النفر الباحثين عن اسماء هذه العقاقير تصحيح الوقوف على اشخاصها بمدينة قرطبة خاصة ما ازال الشك عن القلوب واوجب المعرفة بالوقوف على اشخاصها وتصحيح النطق باسمائها بلا تصحيف وتقبل الدخيل هكذا ضمن معجم اللغة هو ما اشرنا اليه فى المفهوم الاول للفظ التعريب اى نقل المفردات الاعجمية بلحمها ودمها وقد اجاز مجمع القاهرة الالتجاء الى هذه الطريقة اذا دعت الى ذلك الحاجة بأن لا يوجد لفظ متداول فى اللغة او مهجور يؤدى بدقة المعنى المصطلح عليه . وكما لاحظنا انه قد يكون من المفيد فى المرحلة الاولى من التعريب ان نلتجىء احيانا الى هذه الطريقة ، وقد يفرضها علينا الاسراع لمواكبة سير الامم فى الميدان العلمى على انه لا ينبغى أن نعتمد

اساسا ونهائيا على هذه الطريقة بل يجب أن تصطبغ بالصبغة المرحلية خاصة ، ونحن فى موقف المستهلك لا المنتج ، وقد نكون الين جانبا غير متشددين فى هذه النقطة بالذات لو كنا لغيرنا انداد نأخذ منهم بقدر ما نعطيهم ناتى بالامر الطريف المتأثر بشخصيتنا ووضعنا الخاص فنرد على ما أخذنا عوضا ونجرى بيننا وبين الغير تيارا مستمرا من التبادل الحق تساوت فيه جهتنا لا فضل لجانب منهما على الآخر بل ما تكافأت أعمالهما ولكليهما على الآخر فضل .

ونحن نعود فى النهاية الى ملاحظتنا وهى ان اللغة انما هى اداة يكون لها من الصلاحية والنجاعة بقدر ما يكون لمستعمليها من الكفاءة والبراعة ، وحياة اللغة بالاستعمال واللغة تتطور بتطور الحياة والا فان ما وقف وتحجر اضمحل وصار الى الفناء .

هذا ومما يبعث على الامل — لا على التفاؤل — ما نقلته لنا الصحف فى الرابع والعشرين من شهر فيفرى المنصرم فكان شبه المفاجأة الطيبة وهو ما اقدم عليه بعزم وحزم الاستاذ الدكتور سليم عمار من كلية الطب بتونس فألقى بها اول درس فى الطب باللسان العربى .

ولعل ما يبعث على التفاؤل ما علق به بعض الطلبة الذين حضروا الدرس فقال قائلهم ان هذا الدرس كان حقا منعشا ولو ان البعض من الطلبة وجد صعوبة للاحاطة بالالفاظ الاصطلاحية ويقول آخر لقد تجاوز الاستاذ سليم عمار عقبة الاصطلاحات اذ كان ياتى بالمقابل الفرنسى بجوار المصطلح العربى حتى يتمكن من لم يتعود على الاستماع الى العربية من الاستفادة ومن ادراك المفاهيم العلمية . ويقترح بعض الطلبة أن يتمرن المتربصون على تسجيل ملاحظاتهم باللسان العربى وأن يقوم المساعدون من بين ما يقومون به من دروس بدرس فى العربية ويقول طالب آخر ان ما استفادوه من هذا الدرس بالعربية هو ما كانوا يستفيدون فى دروس الفرنسية ، بل انه فى الامكان ان يقال انهم لو تعودوا من قبل على الاستماع الى دروس عربية لكان تصورهم للمفاهيم أسرع وهضمهم لها اسهل وايسر » .

ثم يعقب معقب منهم أن معظم المرضى من ذوى الثقافة المتوسطة ويكون من الانجح أن يخاطبهم الاطباء باللغة التى يفهمون اى العربية وفى ذلك ما يعين على التلاح يتفهم المريض نوع مرضه وما يقتضيه من دواء ومن تدبير وبذلك يسهل على الطبيب نفسه قيامه بمامورية .

بهذه الانطباعات المشجعة اختم قولى مؤملا فى ندوة مقبلة ان الاحظ أن الايمان الذى تغلب فى النهاية وان التعريب الحق الصادق قد دخل حيز التنفيذ وان نتائجه الملموسة قد ساعدت على ازالة بقية التخوفات لدى من كان يوجس خفية من مبادرة كان يرى فيها مجازفة وتهورا .

دور التربية والتعليم في تنمية اللغة العربية

الدكتور علي الشنوفي

استاذ محاضر بكلية الآداب والعلوم الانسانية — تونس

تساؤلات عديدة تبادرت الى ذهني وانا احاول معالجة هذا الموضوع ، تساؤلات ادرتها حول مفهوم التنمية للغة العربية ثم على اى صعيد تكون هذه التنمية ؟

فنحن ماذا نعنى بطرحنا هذه القضية على بساط البحث ؟ أنعنى التنمية من حيث الانتشار ؟ .. أم نحن نعنى التنمية من حيث الوفرة والغزارة ؟ .. او اننا لا نعنى الغزارة اللغوية وانما نعنى التنمية للغة العربية من حيث ثراء الانتاج الادبى والثقافى ؟ او اننا لا نعنى شيئا من ذلك كله وانما نعنى امرا آخر .. ؟

فاذا ما نحن عنينا بالتنمية والانتشار تذكرنا ما هو مقرر عند الخاص والعام من ان اللغة العربية منتشرة وكثرة الناطقين بها على وجه البسيطة دليل دامغ ليس بعده من دليل على انها اللسان القومى لما يقارب المائتى مليون من البشر موطنهم يمتد من المحيط الى الخليج ثم اللغة العربية هى اللسان المقدس لما يزيد على الخمسمائة مليون من المسلمين منتشرين فى ارض الله هى اداة يقيمون بها صلواتهم وشعائرهم الدينية ؟

واذا نحن قصدنا من التنمية مفهوم الغزارة اللغوية اقررنا بشيء من الاندهاش بأن اللغة العربية من هذه الوجهة قد جاوز ثراؤها الحد ، اذ عدد الالفاظ العربية يفوت الستة ملايين لا يستعمل منها الا قرابة الستة آلاف مفردة والباقى مهمل ، مع العلم بأن اللغة العربية تقتنى ثروتها هذه من اصولها الثلاثية والرباعية والخماسية وتضم اليها نظاما متكاملا لا يختل فى الاشتقاق ونظاما متطورا فى النحت بحيث تصارع غيرها من اللغات الكبرى .

واذا نحن فحصنا مفهوم التنمية للغة العربية على صعيد الانتاج الادبى ، وجدنا ان اللغة العربية قد اصدرت فى الماضى البعيد والماضى القريب ادبا قيما وتصدر اليوم ادبا رائدا وكلا الادبين دليل ان احتجنا الى دليل على ان اللغة العربية قادرة مرة اخرى على ان تقوم بوظيفتها كأداة لتنمية الفكر البشرى .

واذا نحن حاولنا حد مفهوم التنمية للغة العربية على الصعيد الحضارى شهد التاريخ بأنها قامت بدور ايجابى الى ابعد حدود الايجابية فى اصدار ثقافة عالمية بأتم معنى الكلمة وانها ثبتت كوحدة لغوية الى يوم الناس فرسخت كلغة حضارة نطقا وكتابة قرابة

ستة عشر قرنا منها قرنان قبل الاسلام وذلك رغم مختلف الانقسامات المتكاثرة وتقلبات ضروب الاحداث المتنوعة ·

واذا نحن بحثنا فى مفهوم تنمية اللغة العربية على الصعيد الذاتى فأنفسنا تنبرى تلقائيا لتجيب بأن اللغة العربية هى لغة شعبنا هى اللغة الام هى مقوم من ابرز مقوماتنا وركن من اثبت اركان شخصيتنا القومية وعنصر من امتن عناصر ذاتيتنا اذ هى تنقل الينا تراث آبائنا وتتلقى عنا التراث الذى ستنقله الى الاجيال المقبلة ·

غير ان ما نبغى من مفهوم لتنمية اللغة العربية هو المفهوم الحركى الدينامى للتنمية هو المفهوم الذى يعنى الاجيال المقبلة وبذلك نفهم أن ما نصصنا عليه فى هذا العرض الخاطف من تقريرات واقرارات ليس هو فى حقيقة الامر والواقع سوى استحضار لماض مجيد ولحاضر نلمسه ونحياه والحال أن هذا الحاضر يوجب بكل تأكيد أن تطرح القضية على اساس البحث عن كيفية تنمية اللغة العربية تنمية تؤهلها للمساهمة بجد فى تهيئة عالم الغد عن طريقها هى لا عن طريق ضرة لها اذ قديما كان يؤلف باللغة العربية فى الطب والفلك والهندسة والرياضيات ·

فما يمنع اللغة العربية من أن تكون اليوم وغدا لغة العلوم العصرية والفنون الصناعية ؟ ان اللغات كائنات تحيا ككل كائن بخضوعها لنواميس الهيكلية البنيوية للحياة واللغة الحية هى التى تصهر بطريقة متواصلة مستمرة عناصر جديدة تتقبلها وتلغى ما لم يبق لها صالحا من عناصر · فاللغة تجدد ككل كائن حى ولا تحيا اللغات الا فى افواه الناطقين بها واللغة العربية لا تشذ عن القاعدة الهيكلية الطبيعية فهى على شاكلة القوم الذين يتكلمونها وهم ان ارادوا لها الحياة مطالبون باخضاعها لاغراضهم المختلفة وحاجاتهم المتجددة ·

ليس احد يجهل أن اللغات لا تحيا بتقارير اساتذة الجامعات ولا بالاسانيد ولا بالحيثيات والاحكام وانما تحيا اللغات بالاستعمال والممارسة واين يكون استعمال اللغة العربية ان هى لم تعلم وتمارس الاسرة وفى المدرسة وفى المجتمع ؟

ان هذا الامر يفرض علينا نبذ الانطوائية حتى لا يصبح هذا الثراء الذى تتمتع به اللغة العربية على مختلف الاصعدة والذى من واجبنا الحفاظ عليه عبئا ثقيلا قد يعرقل أو يمنع مسيرة اللغة العربية فى النمو الذى معناه مواكبة الناطقين بها ما يجد فى الحياة·

فالتنمية المقصودة اذن هى التنمية على صعيد العلوم الحديثة وهى تنمية تكون لها جذور فى الالفاظ وفى الحضارة معا · ومعنى ذلك أن العلوم الحديثة التى غزت وتغزو جميع ميادين الحياة هى علوم لا تزال اللغة العربية على عتبة ابوابها بالرغم مما انجز وينجز فيما يتعلق بالعلوم الانسانية وخاصة الالسنيات وعلوم الاجتماع وعلوم التحليل النفسى وهى ميادين تأصل للغة العربية فيها ثراء لغوى بفضل مختلف الوسائل الاعلامية المعاصرة ·

ان الرهان الحقيقى الذى على اللغة العربية أن تكسبه انما يتمثل فى قيامنا أو عدمه نحن رجال الفكر والعلم الناطقين بالضاد بمسؤوليتنا أمام الاجيال الصاعدة واللاحقة معا تلك الاجيال التى نريد لها لغة حية مرنة طيعة لغة عربية صالحة لاداء وظيفتها تمتاز بما تمتاز به اللغات العصرية من سهولة التركيب ودقة التعبير ووضوح التبليغ لغة قادرة على السير فى صعيد الحضارة وركب التقدم لغة تحقق التفتح لمقتضيات الروح العلمى الجديد . .

ولا يفوتنا فى هذا المجال تأكيد الاعتراف بكل شجاعة وبكل جدية وبكل موضوعية بأن اسهام الاجيال الصاعدة فى ممارسة شؤون حياة المستقبل يوجب علينا لاستكمال مقوماتنا وتدارك تأخرنا الناتج عن قرون الانحطاط والهيمنة الاجنبية أن ننهل مباشرة فى الوقت الراهن من ينابيع الثقافات والحضارات الاخرى اذ القضية المطروحة فى هذا اللقاء هى فى نظرى ليست قضية اللغة العربية بوصفها فقط كأداة لنقل المعرفة وانما هى قضية الادمغة القادرة على استساغة المعرفة المعاصرة بمفهومها الاقتصادى والعلمى والتقنى والتكنولوجى ·

ان المعرفة التقنية والتكنولوجية التى نريد بل يحتم علينا ضمان المصير تحقيقها لدى الاجيال الصاعدة هى معرفة تتطلب لتتم وتؤتى اكلها ارضية تقنية تكنولوجية يتوقف وجودها على ايجاد الخبراء وهؤلاء

انما تتولى المدرسة خلقهم فالتعليم هو الاداة المحققة لهذه الغاية ·

وفى هذا الصدد لا ننسى المجهود الجبار الذى بذلته وتبذله الدولة التونسية منذ الاستقلال فى سبيل نشر التعليم وديمقراطيته على اساس نظام تعليمى يمكن التونسى من بلوغ كمال انسانيته وتحقيق مصيره · فالتعليم وخاصة الجامعى منه يسعى لتخريج المثقفين الذى يستطيعون الاطلاع على الثقافة العالمية وعلى تحير الصالح منها لمجتمعنا وعلى المشاركة فى ركب الحضارة ·

والجدير بالملاحظة فى قضية تنمية اللغة العربية هو ان التعريب لاداة العلم لا يعنى حذف اللغات الاجنبية · فالجامعات بالبلاد العربية وبضمنها جامعتنا التونسية صرحت بأن اللغة العربية لا تصلح الآن للعلوم الحديثة من طب وهندسة ورياضيات وطبيعة ونبات وحيوان وغيرها لقيام عدد من العوائق يحول دون استخدامها فيها وحافظت كلها ما عدا سورية والمملكة العربية السعودية على تدريس العلوم الصحيحة بالانجليزية كما هو الشأن بمصر والسودان والعراق (*) وبالفرنسية فى لبنان والجزائر والمغرب الاقصى وتونس ·

ان البلاد التونسية فى هذا المجال لم تقلب لغة التعليم بين عشية وضحاها من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية وانما خططت ذلك فى تدرج ولا يفوتنى فى السياق أن أذكر بما جاء فى المحاضرة التى القاها فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة يوم 11 ماى من سنة 1968 بجامعة مونريال بكندا حين قال :

اما على الصعيد اللغوى فاننا لم نكن نشعر كما لا نشعر اليوم بأى مركب · ولقد استبقينا اختيارنا للغة الفرنسية كما كان الحال فى عهد الاستعمار · ولم يكن شىء يحملنا على العدول عن اعتماد لغتين معا بعد الاستقلال · ولم يكن بوسعنا أن نسمح لانفسنا بأدنى تبذير لطاقتنا ، ولا بأية اضاعة لاوقاتنا ، ولم نكن فى الواقع لنتمسك بالاوهام فيما يتعلق بهذا الموضوع · ان ادراكنا كان دقيقا بضرورة سلوك مسلك الجد والواقعية الذى تقتضيه تلك المغامرة المتمثلة فى ممارسة الحرية وتلك المغامرة الاخرى الماثلة فى اقامة اسس الدولة وتنظيم اقتصادها · واذا كان هذا حالنا وهذا اتجاهنا فكيف تحدثنا انفسنا بالرجوع الى الوراء لنستقى معيننا من منابع ثقافة منفردة ، أو بالاستسلام الى اوهام عاطفية تكون عاملا من عوامل التقهقر ·

على اننا حين نتحدث عن تونس فاننا لا نوفى الكلام حقه عند ما ننوه بازدواج لغتها · والحقيقة تقتضينا أن نقول ان لها ثقافة مزدوجة · فتونس لا تتنكر لشىء من ماضيها الذى تعبر عنه اللغة العربية · وهى تعلم ان الفضل فى مشاركتها الكاملة فى ثقافة العالم المعاصر وفى حياته ، يعود الى حذقها اللغة الفرنسية · ولقد اثبتت التجربة التونسية أن اللغة تساعد على اقرار الهياكل واثباتها · وهذا ما خبرته تونس ، واؤكد لكم ان هذه التجربة لم تأت عفوا وانها صادرة عن ادراك دقيق ·

ان النظر فى التطبيقات الفعلية لتنمية اللغة العربية على صعيد التربية والتعليم يجعلنا نكتشف عوائق من بينها أن التعليم ان كان يمكنه أن يحول بصفة ملموسة تطوير اللغة العربية فى الفاظها وهياكلها البنيوية والفكرية والوجدانية مما فهو لا يمكنه ذلك بدون تحقيق تنمية للثقافة نفسها الامر الذى يجر حتما الى الاعتراف بأن الاختيار القومى لفائدة تعلم اللغات الاجنبية والفرنسية منها خاصة هو رغم مشاكله المعروفة فى التطبيق اختيار لتنمية شاملة بأتم معنى الشمول اول المستفيدين منها اللغة العربية ·

ولسائل ان يسأل واين هى العوائق اذن ؟ القضية ليست بسيطة وانى ارتكز فيما اقول على نتائج اعمال المؤتمر العام الذى عقده اتحاد الجامعات العربية فى فيفرى من سنة 1973 وعلى الاستفتاء الذى اضطلع به المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى بالرباط سنة 1966 · ذلك أن الآراء جميعها تتفق على ان اللغة العربية هى الاداة الطبيعية للتعليم على اختلاف المستويات والعلوم لكن ينقصها الصفات التى يطالب بها اصحاب هذه العلوم ومن أوكد تلك الصفات هى تلك التى تتمثل فى وجود اطار تدريسى للمناهج التعليمية اذ التعليم عملية متصلة مترابطة الحلقات

(*) كان الطب فقط يدرس بالانجليزية فى العراق ثم شمله التعريب — (اللسان العربى) ·

لا ينفصل فيها التعليم الجامعى عن التعليم الثانوى والابتدائى وذلك يقتضى ان تكمل مناهج كل مرحلة مناهج المرحلة التى تسبقها وان لم يتحقق ذلك ضاعت الجهود سدى ·

ثم بخصوص تعليم اللغة العربية نفسها أفصحيح ان رجال التعليم لهم خبرة بالعلوم الحديثة او على الاقل بالبعض منها وهو ما تعارفنا على تسميته بالتكوين الاساسى يمكنهم من المساعدة على تعصير اللغة العربية ؟

ثم على صعيد مرحلة التعليم الابتدائى الذى يعد اليوم فى تونس زهاء التسعمائة الف طفل افى امكان المعلم غير المطلع ولو على العناصر الاولى الضرورية لتلك العلوم الحديثة أن يلقن تلاميذه شيئا آخر غير تلك اللغة المتجمدة استغفر الله اللغة العتيقة التى كلنا يعترف بأن البون بينها وبين المفاهيم الجديدة موجود · فنحن نخشى أن يكون ذلك ثقلا على ذاكرة جيل صاعد مصيره العيش فى حياة معاصرة ·

فكم من معلم عجز فى كثير من الاحيان على اجتياز العقبات التى تعترضه اثناء التدريس · لقد قال رئيس الدولة فى الخطاب الذى القاه بمناسبة اشرافه على مهرجان نهاية السنة الدراسية فى 25 جوان سنة 1958 : أريد ان الاحظ ان التعليم بالمدارس الثانوية سيكون متجها الى التعريب واستعمال اللغة العربية حيث تكون لغة التدريس لجميع المواد ..

نعم هذا الرهان نحن بصدد كسبه ولكن ؟ .. يجب الاعتراف بأن العربية كلغة واداة تشكو على صعيد التعليم الابتدائى أمورا منها قلة الادوات ومنها مضامين وأساليب تكاد تكون قاصرة رغم محاولات التجديد المحتشمة ومنها فقدان روح المعاصرة فى اكثر من موطن ومنها خاصة عدم سيطرة جانب وافر من الاطار على آلياتها الاولى وهذا كله من شأنه أن لا يساعد على تنمية اللغة العربية لغتنا الام · ان التعليم يجب أن يكون محوره دعائم جوهرية اربع او لا يكون : اللغة العربية ، اللغة الاجنبية ، الرياضيات ،التقنيات.

ومن الواجب ان تكون الثقافة العامة متزايدة التفتح على العالم المعاصر وذلك انما يتحقق باستعمال الطرق البيداغوجية الجديدة التى تعتمد اكثر فاكثر دراسة الوسائل الذى يكتنف الطفل · وكذلك يحصل بتنمية تعليم هو معرفة العالم بما فى ذلك العلوم الاجتماعية من تاريخ وجغرافية وادب .. الخ كما يشمل مفاهيم جديدة للتربية الاقتصادية والمدنية ودراسة الدواليب الاجتماعية والسياسية · ومن جهة اخرى فان تعليم اللغة العربية انما نحقق له النمو والتطوير بالاقلال من تركيزه على دراسة النحو والصرف والادب الكلاسيكى وبالاكثار من التدرب على اللغة باعتبارها اداة تعبير وتواصل · وهذا المفهوم للتنمية على صعيد اللغة العربية يفرض علينا تحوير برامجنا فلماذا لا نجرؤ فنحول الامور · انى شخصيا اطلعت على برامج التعليم بالبلاد الاسكندينافية فى الصائفة الماضية واذكر هنا مقتطفا من برامج المرحلة العليا للمدرسة الموحدة التى يعادلها عندنا اقسام المرحلة الاولى من التعليم الثانوى ففى هذا البرنامج يوجد التنصيص التالى : يستعمل التلميذ اللغة الام فيما يلى : محادثات — عروض قصيرة — استجوابات — تمارين مسرحية — ارتجال تمثيليات سهلة — دراسة نصوص مختلفة — التعبير عن المشاعر والاحاسيس — النقد — كيفية استعمال المعاجم — كيفية استعمال دوائر المعارف — كيفية استعمال الدوريات — قراءة الصحف — قراء نصوص لخيرة الكتاب وخاصة المعاصرين — انشاءات فى الوصف والقصة وكتابة الرسائل — كيفية القيام بحوصلات — دراسة الالفاظ والتراكيب ومعلومات عن تاريخ اللغة · بهذا المقتطف من البرنامج الرسمى لمدرسة سويدية نرى الفارق الموجود فى المستوى نفسه من التعليم بين ما فى السويد وبين ما عندنا فى تونس فنحن ما زلنا نتبع المناهج الفرنسية فى تعليمنا .. بينما فرنسا نفسها تحور .. ان الهدف اذن من تنمية اللغة عن طريق التربية والتعليم ليس تمكين المتعلم من حشد مجموع من المعارف دفعة واحدة وانتهى الامر بل الهدف من التعليم هو ان يتعلم التلميذ كيف يتعلم ومعنى ذلك اكتساب ادوات التربية المستمرة طيلة الحياة واكتساب الوسائل الكفيلة لتحقيق التلاؤم مع التحولات كلها الطارئة والتى قد تطرأ ·

على هذا العرض الخاطف نفهم بوضوح مصدر العوائق فى سبيل تنمية اللغة العربية · ان الانسان الذى لا يزال يعيش فى اطار اللغة العربية بصيغها التقليدية قد يحمل هذا الانسان حملا تلقائيا وربما لا شعوريا على أن يفتح عينيه على الماضى بدلا من فتحهما

على المستقبل .. ومن الممكن ايضا ان يكون محمولا على الشعور بالنفرة تجاه التجديد اللغوى لانه يشعر بفقدان شيء وفى الحقيقة والامر الواقع نحن انما نريد تنمية للغة العربية من شأنها ان تمكن الاجيال الصاعدة من الانعتاق ومن التفتح ومن الشعور بأنها تواكب عالما جديدا هو عالم من واجب جيل الغد ان لا يقتصر فيه على الاستهلاك بل عليه ايضا المساهمة فى اثرائه ·

ان هذا المنهاج الذى نتحدث عنه قد بدأ الشروع فى ممارسته لان الصحف والمجلات منذ ما يزيد عن القرن ثم وسائل الاعلام العصرية اليوم من اذاعة وتلفزة هى دائبة فى القيام برسالتها ولا تنفك تقدم للمستهلك من قراء ومستمعين ونظارة مبادىء العلوم العصرية وبذلك ساهمت وتساهم فى عملية فتح الاذهان على الاكتشاف العلمى للكون وعلى تنمية ملكة الملاحظة وعلى تعويض مثالية رومانسية بتحليل هادىء للاحداث ·

ويكفينى لحوصلة مقالتى أن ابرز أن نمو اللغة العربية يرادف نمو الانسان العربى ضرورة ان محاولة قصر اللغة على ما هو مكتوب قد يعتبر نسيان أن التونسيين أحياء وهم يخضعون لسنة الحياة القاضية بالتحول والتجدد فى حركة مستمرة كل يوم وليلة ·

وسواء اكانت اللغة التى يتخاطب بها التونسيون تتماشى او لا تتماشى مع قواعد الحسن الكليسيكى وسواء اكانت رائقة بديعة أم لم تكن فتلك اللغة انما هى الحياة ، الحياة التونسية ، الحياة المنبثقة المتفجرة ..

وتلك اللغة التى نكتب وتلك اللغة بها نتكلم تلك اللغة تكشف عما نريد أن نكون ..

فتنمية اللغة العربية تعنى فى نظرى تنمية الحياة. لكن اسمحوا لى بهذين السؤالين :

اذا كان فى الامكان المساهمة فى تنمية الحياة أمن اليسير تقنينها ؟

والمجامع اللغوية التى تبذل جبار الجهود فى تقنين اللغة العربية ما قولها فى الموضوع ؟

المعرّبُ والدخيل ضرورِيان لازدهارِ اللغةِ

الأستاذ نورالدين صمّود

ان جميع اللغات المتطورة لا يمكن ان تسلم من ان تدخلها كلمات من لغات اخرى .. وتلك علامة من علامات تطورها وحياتها ، اذ لو اقتصرت اللغة ــ اية لغة ــ على الفاظها لتوقفت عن التطور ، ولما كانت جديرة باسم لغة حية .. ولقد كانت اللغة العربية فى عهد حياتها المزدهرة وحيويتها المتدفقة تتاثر بغيرها وتؤثر فى غيرها اخذا وعطاء .. فقد اخذت من لغات الاقوام المجاورين لها ما شاء الله لها ان تاخذ ، فتلك طبيعة الحياة وذلك هو شان اللغة الحية .. وقو وقع ذلك فى الجاهلية وفى صدر الاسلام .. ايام نزول الوحى على الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، ورغم ان بعض المفسرين للقرآن الكريم يرون ان القرآن لا يشتمل على الفاظ غير عربية صريحة ، فان الباحثين الرصينين قد اثبتوا وجود الفاظ من لغات كثيرة فى القرآن الكريم · ولقد كانت للعرب صلات مع الحبشة لذلك كانت هجرة المسلمين الاولى الى بلاد الحبشة قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى يثرب (المدينة المنورة) ·

1) ولهذا نجد فى القرآن سبعة وثلاثين لفظة حبشية ، منها : الملائكة ، وجهنم ، والجبت (اى الشيطان او الساحر) وكلمة المنافقين ، وفطر (اى شق) ، ومشكاة (اى كوة) ، ودرى (اى مضىء) ، واوبى (اى سبحى) ، وقسورة (اى اسد) ، وارائك واخدود ، الخ.. الخ ·

2) كما نجد فى القرآن ايضا خمسة وعشرين لفظة من اللغة السريانية ، منها : اليم ، وعدن ، وسريا (اى نهرا) ، ورهوا ، (اى ساكنا دمثا) ، واسفارا (اى كتب) ، كذلك الكرسى ، والقيوم ، والقمل ، وهيت لك ، واللوح · الخ ..

3) اما اللغة العبرية فاننا نجد من الفاظها فى القرآن الكريم سبعة عشر لفظة ، منها : اخلد (اى ركن) ، كفلين (اى ضعفين) ومرقوم (اى مكتوب) · وهدنا (اى تبنا) ، وملكوت ، الخ ..

4) اما اللغة النبطية فتوجد فى القرآن من الفاظها احدى عشرة لفظة ، منها : تتبيرا ، ومناص (اى فرار) ، واكواب (اى اكواز) ، وصرهن (اى شققهن) ، واصرى (اى عهدى) ·

تلك نماذج من الالفاظ التى دخلت القرآن من مجموعة اللغات السامية . وهنـاك الفـاظ دخلت القرآن الكريم من المجموعة الهندية الاوروبية : اى اليونانية والفارسية والهندية .

5) فمـن الالفاظ اليونانية الموجودة فى القرآن الكريم عشر الفاظ ، منها : اقلامهم وقنطار ، والرقيم (اى اللوح او الكتاب او الدواة) ، والفردوس ، وقسط (اى عدل) ، ومرجان ، والصراط ، والقسطـاس (اى الميزان او العدل) ، الخ الخ .

6) اما الفارسية ، ففى القرآن الكريـم مـن كلماتها عشرون كلمة ، منها على سبيل المثال : دينار ، وكنز ، وتنور ، وسجيل ، وسندس ، ومقاليـد ، وبرزخ ، وياقوت ، وأباريق ، وزنجبيلا ، وكـورت (اى غورت) ، ومسك ، واستبرق ، والسجل ، الخ .

7) ما الكلمات التى هى من اصل هندى والداخلة فى القرآن الكريم فعددها اثنتان : ابلعى (بمعنـى اشربى) وطوبى : (اسم للجنة) .

8) اما الالفاظ المنسوبة الى المجموعة الحامية : اى البربرية والقبطية والزنجية .

فمن البربرية لغة شمال افريقية ، ثلاث كلمات، هى : اناه (اى نضجه) فى قوله تعالى : « يا ايهـا الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه » (اى غير منتظرين نضجه) وكلمة يصهر (بمعنى ينضج) ، والمهـل (وهـو عكـر الـزيت) .

9) ومن القبطية توجد فى القرآن الكـريم ست كلمات ، منها : بطائنها : (اى ظواهرها) ، ومزجاة (اى قليلة) ومتكأ (اى الاترج او الترنج) .

وفى القرآن الكريم لفظة واحدة زنجيـة هـى : حصب (اى حطب) .

10) اما مجموعة اللغات الطورانية فلا نجد من الفاظها فى القرآن ، سوى لفظة تركية : هى غسـاق (اى بارد منتـن) .

11) وبالاضافة الى ما سبق ذكره مـن الفاظ نسبنا كلا منها الى اصلها اى الى لغتها ، فاننا نجد الفاظا اخرى يصفها علماء اللغة بانها غير عربية او اعجمية دون تحديد للغة معينة ، وعددهـا احـدى وثلاثون لفظة ، منها : الرس (اى البئر) وسقر (من اسماء نار الآخرة) ، وقرطاسا وسلسبيلا وابا (اى الحشيش) .

وهكذا فان جملة الالفاظ الدخيلة فى القرآن الكريم من لغات الاقوام المعاصرة والمجاورة للعرب او البعيدة عنهم سبعة وخمسون ومائة كلمة (157) تسربت الى العربية من عشر لغات بعضها قريب الاصل من العربية وبعضها بعيد كل البعد عنها .

هناك ملاحظة بديهية منطقية تستنتج مما سبق عرضه ، وهى ان اللغات التى احتك اهلها بالعـرب تكثر الفاظها فى القرآن ، مثل الفارسية . اما اللغات التى لم يكن لاصحابها احتكاك او اتصـال حضارى بالعرب ، فان الفاظها تقل فى القرآن الكريم مثـل البربرية والتركية ، وهذا طبيعى مثلما هـو الشان بالنسبة للفرنسية التى تكثر الفاظها فى لهجتنا التونسية، ثم تليها الايطالية بحكم مجاورتنا ومعايشتنا لاصحاب هاتين اللغتين .. اما الالفاظ الانجليزية والالمانية فانها اقل من سابقتها بكثير .. وان كانت قد بدأت تكثر فى الآونة الاخيرة بحكم النشاط السياحى فى تونس .

وهناك ملاحظة اخرى وهى أن ما ذكرناه مـن الالفاظ الدخيلة فى العربية قد استعملت فى كتاب الله عز وجل، ولم نورد هنا الالفاظ التى استعملها الكتاب والشعراء ولم يرد ذكرها فى القرآن الكريم ونكتفى بذكر نماذج مما ورد مبدوءا بحرف النون ، منها :

النـاى : آلة طرب ينفخ فيها .

النارجيلة : الجوز الهندى وآلة يدخن بها .

---

(1) اعتمدنا فى ذلك على كتاب القـراءات القرآنية فى ضـوء علم اللغـة الحـديث للدكتـور عبـد الصبـور شاهيـن .

وبالاضافة الى ما سبق فان الكلمات الدخيلة قد هضمت العربية بعضها وصارت تتصرف فى هذا البعض وتصرفه كما هو الشأن بالنسبة لالفاظها الاصلية .. ولكن اشتعصى عليها البعض الآخر فبقى جامدا لا يتصرف ولا يستعمل الا فى حالة واحدة. فمن المتصرف كلمات مثل : المنافقين : نقول نافق ينافق نفاقا ، والصراط : طراطى وصراطك ، الخ · وابارىق ،، ابريق ،، الخ ..

واما الكلمات التى لا تتصرف ، فمثالها : طوبى والرقيم والمهل ، الخ ·

كما فعلنا نحن فى لهجتنا التونسية بالفاظ دخلت الينا من بعض اللغات اللاتينية كقولنا (بلاصتى) و (بلاصتك) ، الخ · (وتلفت لك) (وتلفت لى) الخ (وروبتى) (وروبتك) الخ ·

واذا استطاعت اللغة ان تأخذ الالفاظ من اللغات الاخرى وتخضعها لمتطلباتها فانها لغة حية جديرة بالتطور والبقاء والازدهار .. اما اذا اكتفى اصحابها بالالفاظ التى عرفها آباؤهم واجدادهم وارادوا ان يعيشوا بها فى هذا العصر والعصور القادمة ، فانهم واهمون سادرون فى احلامهم لا يفهمون معنى حياة اللغة ..

لقد كان القدماء اجرأ منا على الاخذ من اللغات الاخرى وعلى صهر تلك الالفاظ فى لغتهم لتصبح منهم واليهم ،، لقد قرأت مرة فى معجم اصدره مكتب تنسيق التعريب فيه قل (بستانى) ولا تقل (جردينى) واصحاب هذا المعجم يعرفون جيدا ان كلمة بستانى فارسية الاصل دخيلة على العربية ، فلماذا لم يرفضوها كما رفضوا كلمة (جردينى) الفرنسية الاصل .. وواضح أن كلمة بستانى قد اكسبها الاستعمال العربى عروبة · اما كلمة جردينى فانها لم ينلها هذا الشرف ، لذلك لم يستسغها مكتب تنسيق التعريب ،، وانا اقول لهم : ولكن دعوها — هى وامثالها — تستعمل فى العربية عقدا أو عقدين من الزمن وسترون انها لا تقل عن البستانى عروبة وفصاحة .. ومهما يكن من امر فانى لا الح على استعمال كل ما هو دخيل فى العربية مثل كلمة (الجردينى) وما جرى مجراها .. فأمر هذه الالفاظ هين يمكن ان يعثر له على نظير فى العربية الفصيحة .. ولكن الذى ارى وجوب تعريبه وتبنيه هى الالفاظ التى لا وجود لنظير لها فى العربية ويجب ان تؤخذ بحروفها كما تنطق فى اللغات الاجنبية لان تعريبها لا يؤدى المعنى المطلوب .. ويكفى أن تكشف غطاء (محرك السيارة) لترى الاشياء التى عليك ان تبحث لها عن اسماء (*) ولا ازعم ان ايجاد اسماء عربية لاجزاء السيارة امر مستحيل ولكنى اعتقد ان امكانية تعريبها امر ممكن ، كما وقع بالنسبة لمصطلحات الكرة التى صارت وكأنها من وضع الخليل ابن احمد أو ابن منظور ، فهناك : الركنية والتسلل والمهاجم والمرمى وحارسه والهدف .. الخ الخ · ولكن ما الذى جعل هذه الالفاظ مقبولة بعد تعريبها ؟ ؟ ! ان الاستعمال هو الذى جعلها حية .. وكثرة الترديد هو الذى جعلها مقبولة .. فقد كانت فى أول العهد باستعمالها تثير الضحك والسخرية ..

واعود فأقول : ان اسماء اجزاء السيارة يمكن تعريبها ولكن على شرط ان يقع استعمالها باستمرار من قبل الناس جميعا من المشترى لهذه القطع ، ومن بائعها ومن مصلحها ومركبها وصانعها ، الخ الخ · وما لم يحدث ذلك فانى ارى اننا ما دمنا مقدمين على الفاظ جديدة غير معروفة ، فانه يحسن — للمحافظة على الامتداد الحضارى — ان يقع اخذ تلك الالفاظ واستعمالها كما هى عند صانعيها .. مع امكانية اخضاع تلك الالفاظ للنطق العربى كما فعل الاجداد مع كلمات الصراط التى لعلها كانت تنطق عند اليونان (سيراتوس) .. الخ الخ ·

لقد كانت اللغة العبرية لغة ميتة لا يعرفها الا الربيون فى البيع ، ولكنهم صيروها لغة حية يدرسون بها العلوم بشتى فروعها ، وما ذلك الا لانهم اخذوا من اللغات الحية ما يحتاجون اليه من الالفاظ واخضعوه الى لغتهم وكتبوه بحروفهم · لقد زعموا ان غلاما سأل ابا العلاء المعرى ، فقال له : انت القائل :

(*) فى المعجم العسكرى الموحد اسماء عربية لكل اجزاء السيارة والطيارة والمدفع وغيرها .. (اللسان العربى) ·

النارنـــج : من فصيلـــة البرتقـــال ·

النـــرجس : زهـــر معـــروف ·

نـــــرد : لعبـــة الطـــاولـــة ·

الـــنـــــد : عـــود يتبخـــر بـــه ·

النمـــوذج والانمـــوذج ·

النـــفـــيـــر : البـــوق ينفـــخ فيـــه ·

النيزك ج نيازك : شعلة كبرى كالرمح وهـــو احد اقسام الشهب المتساقطة ·

النســريـــن : ورد ابيض عطـــرى ·

النليوفـــر : زهـــور مائيـــة ·

والنيـــروز : اول يوم من ايام السنة الشمسية فى فارس ، (وكلها فارسية) ·

والنبـــراس : المصبـــاح (سريانيـــة) ·

نيســـان : شهر افريل (سريانية ايضا) ·

والناطـــور : حافظ الكرم والزرع (سريانية ايضا)

النـــاسـور : مرض (يونانيـــة) ·

والنـــاموس : جبريل (يونانية ايضا) ·

تلك مجموعة من الالفاظ الدخيلة التى عربهـــا العرب فى مختلف عصورهم القديمة باستعمالهم اياها فى لغتهم وهى من باب حرف النون ، وقد ضربنا صفحا عن الكلمات المأخوذة عن اللغات الحديثة ، اى التـــى لم يعرفها العرب فى عهودهم القديمة ، مثل كلمة : النازية الالمانية والنيلون الانجليزية ، وغيرهما · او القديمة غير المستعملة مثل : النافجة : ج نوافج (اى وعاء المسك) ، والانجر (ج اناجـــر) اى (مرساة السفينة) ، والنبريج : انبوب النارجيلة ، والنيل : نبات يصبغ به ازرق (وكلها فارسية) ، والناردين ، (نبات طيب الرائحـــة) ·

والنافور : سر القربان المقدس ، والصلـــوات التى تتلى عليه ، وغطاء اوانى القداس (وهما يونانيتان) وغيرهمـــا ، وغيرهما ·

ولا نريد ان نستعرض الكلمات المستحدثة فـــى هذا الباب مثل : النقابة والنقيب والنسبية ، الخ الخ ·

فالكلمات المستحدثة او التى حولت عن معناها الاصلى لا تكاد تحصى مثل : الصلاة والزكاة والوضوء، والشهادة · فهناك شهادة أن لا اله الا الله وشهادة التحصيل ، والشهادة الاهلية ، وشهادة التبريـــز ، وشهادة الزور ، وشهادة الفقر الخ .. الخ · ولـــو عرضت هـــذه الكلمات والكلمات التالية على امرىء القيس او احد معاصريه لانكرها ، مثل : القطـــار ، والعربة ، والجريدة ، والمجلة ، والرشـاش ، والمسدس والمدفع ، والكشـافة ، والجوالة ، والمليون ، والمليار ، والفلسفة ، والجغرافيا ، والامبريالية والبروليتاريا ، والديمقراطية ، والبيروقراطيـــة ، والديماغوجيـــة ، وغيرها من الفصيح والدخيل ·

كما لا نريد ان نستعرض الكلمـــات الدخيلـــة المبدوءة ببقية الحروف الهجائية ، فهى كثيرة جدا لا تكاد تقع تحت حصر .. ولكننا نكتفى بما اشرنا اليه آنفا .. وخاصة بما جاء فى القرآن الكريم ·

والملاحظ ان كثيرا من الالفاظ الآنفة الذكـــر لم يستعملها العرب اضطرارا باعتبارها الفاظا لا نظير لها فى العربية ، فمعظمها يمكن أن نجد له بديلا فـــى اللسان العربى .. وكان فى الامكان أن يقع تجنبهـــا وذكر ما يقوم مقامها .. ومعظم هذه الالفاظ شـــاع على السنة العرب القدماء حتى صار جزءا من لغتهم لا يكادون يميزون بينها وبين ما هو اصيل فى اللغـــة العـــربيـــة ..

وبديهى ان نطـــق تلك الالفاظ المشـــار اليهـــا — وغيرها من الدخيل — مغاير للنطق الاصلـــى فى اللغات المذكورة ، بل ان الكثير منها — ان لم اقل كلها — ينطق فى لغتها الاصلية بطريقة مغايرة لمـــا ينطق به عند العرب .. وهذا أمر طبيعى ، لان نطق كل لغة يختلف عن نطق اللغات الاخرى ..

---

(1) اعتمدنا فى ذلك على (المنجد) فى اللغة للاب لويس معلـــوف ·

ولـو انـنـى كنت الاخيـر زمـانـه *
لآت بمـا لـم تستطعـه الاوائـل ؟

لقد زعمت انك لو عشت الى آخر الزمان لاتيت بما لم يستطع الاتيان به جميع الاوائل ، فهل تستطيع أن تزيد حرفا واحدا على الحروف الهجائية العربية المعـروفـة .. ؟

وقد زعموا ان المعرى عجز امام هـذا السؤال وقال بعد انصراف ذلك الغلام : ان هذا الفتى لـن يعيش طويلا لان ذكاءه سيحرق عقلـه .. وتـزعم الاسطورة ان الفتى مات وصدقت نبوءة المعرى ..

والحقيقة أن اللغة لا تحتاج الا الى حروفها ما دامت لا تستعمل الا الفاظها ، أما اذا ارادت ان تواكب الحياة من حولها فانها ستحتاج حتما الى حروف اخرى والا فان كتابتها ونطقها لكثير من الكلمات الاجنبيـة سيظل تقريبا ولست ادرى كيف غاب عن المعرى ان يضيف حرفا او اكثر من حرف الى الابجدية العربية المعروفة فى زمانه ، فقد عاصر عدة امم ذات لغات مختلفة ، ولنا اخبار تؤكد انه سمع اللغة الفارسيـة على الاقل وفيها حروف لا توجد فى العربية مثـل : الف والف والب ، بصرف النظر عن طريقة كتابتها . واذا كنا نحن فى لغتنا الحديثة قد تبنينا هذه الحروف واصبحنـا نستعملهـا ، فـاننـا غـير جادين تجـاهـهـا وتجـاه غيـرهـا مـن الحـروف التى أخذناها من اللغات الحية ، فلم يقرا حساب هذه الحروف فى المطابع الحديثة فى المشرق والمغرب ، لذلك ما زلنا نكتب فى تونس كلمات : (قراج) بالقاف وتكتب فى مصر بالجيم (جراج) وتكتب (أفريـل) بالفـاء و (ستوب) بالباء وقلما نجد مطبعة تستعمل لهذه الحروف مصطلحات قارة .. فهى غير موجودة فى العالم العربى ، ويطول بنا الحديث لو فصلنا القول فى هذا الموضوع ولكننا نكتفى بهذا التلميح لنعود الى موضوعنا الاصلـى .

ان هذه الحروف التى اقترح الاعتراف بها فـى العربية ضرورية لكتابة كثير من الكلمات التى يمكـن أن تتبناها العربية لذلك يجب توفيرها فى المطابع بجميع انواعها ، ويجب الاتفاق عليها من قبل جميع الـدول العـربيـة ..

واذا كنا قد لمسنا حاجة لغتنا الـى الحـروف (الصوامت) التى لا وجود لها فيها فاننا نلاحظ حاجتنا الملحة الى الحروف (الصوائت) ففى العربية توجد منها : الضمة والكسرة والفتحة فقط ، وهى الصوائت القصيرة الى جانب (الصوائت) الطويلة ، وهى : (الواو والياء والالف) عند ما تكون حروف مد : مثل (يقول ــ قيل ــ قال) فهل نحن لا نحتاج الا الى هذه الصوائت فى لغتنا العربية دون غيرها ؟

الحقيقة اننا محتاجون الـى أكثـر مـن هـذه (الصوائت) الستة ، فهى لا تكاد تؤدى حاجة اللغة العربية فضلا عن الدخيل ، ويكفى أن نعرف ان القدماء كانوا يقولون عن بعض الافعال المعتلة العين انهـا تنطق بالاشمام ، اى بين الضم والكسر مثل : (قيل) فينطق حرف العلة بين الياء والواو . وما هذه الملاحظة الطويلة الا لعدم وجود حركة واحدة بين الواو والياء . وكثيرا ما نحتاج الى هذه الحركة والى امثالها ممـا يقـاربهـا .

ونحن نعرف فى العربية (الفتحة القصيرة ــ اى النصبة) و (الفتحة الطويلة ــ اى الالف) تـارة نجدهمـا مرققتيـن وتـارة اخـرى نجـدهمـا مفخمتين حسب الحرف الـذى تليناه فاذا قلنا : خ ــ ص ــ ض ــ ط ــ ظ ــ غ ــ ق ــ ر ــ كانت الفتحة مفخمة مساوية لحرف (A) الفرنسى ، واذا نطقنا بقية الحروف الهجائية كانت الفتحة مرققة مساويـة للحرف الفرنسى (è) ، وكذلك الامر بالنسبة للفتحة الطويلة ، اى الالف مع الحروف المذكورة ، فنحن نقول (خالد صالح راحل ظالم ضائع طالب غائل قاعد) فان الالف تساوى (A) أما مع بقية الحروف فان هذه الالف تكون مرققة مساوية للحرف (è) مثل : بائع ــ تائب ــ ثابت ــ جائر ــ دائب ــ ذاهب ــ زائل ــ كامل ــ لائم ــ مائع ــ نائم ــ عائم ــ فائق ــ سائل ــ شاهد ــ واهب ــ يائس .

لكنا نلاحظ أن معظم هذه الاحرف السابقة تفخم بعدها النصبة والالف اذا ورد بعدهما حرف (الراء) فنقول : بارت ــ تارة ــ ثار ــ جار ــ حار ــ زار ــ مار ــ نار ــ عار ــ فار ــ سار ــ . وقد يقع هذا التفخيم مع بقية حروف التفخيم الآنفة الذكر .. وقد

(*) صواب البيت الذى يستقيم به السبك هو : وانى وان كنت الاخير زمانه .. (اللسان العربى).

لا تفخم بعض الحروف حتى مع حرف الراء .. وهذا موضوع يحتاج الى كثير من الدراسة والتحرى والتدقيق ..

واللغة التى تريد أن تكون لغة حية يجب أن لا تبقى صوائتها خاضعة للغرف فنحن نعرف كيف نقرأ كلمة (باب) وكلمة (بارّ) وكلمات : (تال طارق) (وجاء سالم) ولكننا لا ننتبه الى اننا تارة ننطق الالف مفخمة وتارة ننطقها مرققة وتل مثل ذلك فى الفتحة فى (طرق) و (اكل) .. ان هذا الفرق لا نشعر به نحن العرب الذين عاشرنا هذه اللغة وعاشرتنا السنوات الطوال ، ولكن الذى يشعر بهذه المشكلة هم الذين يدرسون اللغة العربية من الاجانب ، فهم يدرسون فى البداية الفتحة على انها تساوى (è) مثل : بَ والالف فتحة طويلة تساوى (A) مثل (بار) ولكنهم سرعان ما يجدونها قد اصبحت (A) مثل (قَ) و (قَا) .

واذا اردنا نحن ان نكتب كلمة اجنبية لم تسمعنا الفتحة والالف ، فاذا اردنا ان نقول : (مال) (السيارة) فان القارىء سيقرأ الالف بعد الميم مرققة ، واذا اراد احد ان يكتب اسم (شاتو بريون) أو (لامرتين) فان العرف هو الذى يجعلنا نفخم الشين واللام فى بداية الاسمين ، ولو لم نكن نعرفهما لرققناهما ولقلنا : شاتوبريون ولامرتين بالترقيق ..

وقد سألنى ذات مرة شخص فقال لى : انا ادعى (فلان القرمازى) من صفاقس لكن الناس كلهم يرققون الميم فى اسمى فقلت ويرققونها فى كلمة (صفاقس ايضا) وسيظل فى اسمك هذا الاشكال ما لم يخترع العرب حرفا آخر يمثل الالف المفخمة ..

والملاحظ ان بعض بلاد المشرق يفخمون معظم الحروف الهجائية فيقولون (بغداد) و (الزمان) و (الشباب) فياليت شعرى ما الصحيح .. وياليت شعرى متى نظفر بالف مفخمة نستعملها الى جانب الالف المرققة وكذلك بفتحة مفخمة واخرى مرققة ..

ولقائل أن يقول : ان حروف الخاء والراء والصاد والطاء والظاء والغين والقاف هى حروف مفخمة بطبعها والحروف الباقية مرققة بطبعها ايضا فنقول له : هى كذلك ولكن يجب ان تكون لنا حركاتمضبوطة، فاننا نحتاج ــ عند كتابة كلمة دخيلة او معربة ــ الى هذه الحركات .. فقد نرقق حرفا مفخما وقد نفخم حرفا مرققا .

والملاحظ أن المشارقة أجرأ منا فى اخذ الالفاظ عن الغرب وعن كثير من اللغات .. فقد قدم لى شخص عراقى نفسه وقال (انه مدير قسم الدراما بالاذاعة العراقية) وهو يقصد قسم التمثيليات ، فاليم فى العربية حرف مرقق لكنه فى كلمة (الدراما) يجب تفخيمه حسب النطق الاجنبى . وقد اضحكنى أحدهم لما قرأ كلمة (ماما) بالترقيق بينما هى بالتفخيم (أى امى) ، والكلمات التى يجب تفخيم حرونها وهى فى الاصل مرققة ، كثيرة مثل : مالطة ، وباش حانبة ، ومدام (أى سيدة) بتفخيم الميم والالف بعد الدال .

وفى مصر ينطقون الحرفين مرققين (مدام) ونحن نقول : (البنك) (بفتحة مفخمة فوق الباء) وفى مصر يرققونها ، وكذلك السينما .

لقد اثبتت من البداية اننا فى حاجة ملحة الى ان ناخذ ما نحتاج اليه واعيد فاأكد : أن ناخذ ما نحتاج اليه من الكلمات كما فعل اجدادنا العرب فى عصر ازدهار لغتهم .. وقد قلت : ان الشرقيين أجرأ منا على ادخال الكلمات الاجنبية فى كتاباتهم وكلامهم .. وقد يستعملون كلمات اجنبية لا يحتاجون اليها لوجود ما يساويها فى اللغة العربية . فبعض قاعات العرض تعلن فى الجرائد هكذا : (فلمان فى برجرام واحد) عوض (شريطان فى برنامج واحد) وان كانت كلمة (برنامج) بدورها فارسية الاصل .. لكنها اصبحت عربية بالاقدمية (أما البورجرام) ــ ولست ادرى كيف اكتب حرف (القاء) فيها ــ (G a) فهى فرنسية لا يجوز للمحدثين ــ بل لا يجرأ المحدثون ــ على ادماجها فى العربية كما فعل القدماء بكلمة (البرنامج) وبغيرها .

وفى الشرق يقولون ايضا معلنين عن بعض البضائع : (هذا شيك وهذا اشيك منه) .. فقد عربوا هذه الكلمة وتصرفوا فيها وعاملوها معاملة الكلمات العربية الفصيحة ، ولو القى احدكم نظرة سريعة على الجرائد فى الشرق عموما لتبين له مدى اخذهم من اللغات المختلفة .. وحتى من العامية ايضا ، ففى كل قطر عربى كلمات لا نظير لها فى العربية الفصيحة ، فاذا اردت أن تكون واقعيا فى وصف الاشياء فى قصة تونسية صميمة فبماذا تسمى :

(القبقاب والبلغة والبلوزة والكدرون والميدة والبرويطة والزنقة والحلالم والطبيخة والشكشوكة والطسار والدربوكة والمقرونة والشكلاطة والبشكوطو ، الخ . .)

اذا كنت من انصار الفصاحة والصفاء اللغوى فانك ستمسخ الواقع وتجعل بعض شخصيات الرواية يذهب الى السوق وفى يده (سلة) عوض (قفة) ويلبس جبة وحذاء بدل (كدرون) و (بلغة) . ويشترى رطلا او رطلين من اللحم (بدل كيلو لحم) .

والملاحظ ان مقدار الرطل فى الشرق يختلف عن الرطل فى تونس ، وصدق المثل القائل : (كل بلاد وارطالها) وتجعله يشترى اشياء لها اسماء فصيحة عوض الاشياء التى ليس لها اسم فصيح ، ثم يعود الى المنزل لتطبخ له زوجته اكلة فصيحة — وما اقلها — مثل : الحساء ، او الثريد ، او الارز . اما المقرونة والبرغل والمحمص فلا سبيل الى طبخها عند من يؤمن بالصفاء اللغوى وبعدم ادخال الدخيل ، والعامى فى اللغة الفصيحة . ويكون الطبخ فى (قدر) عوض (كوكوت) وعلى كانون عوض غاز .

فى حين راينا العرب فى عصور ازدهار اللغة العربية قد اخذوا عن الفرس اسماء العشرات من الاكلات كالفالوذج واللوزينج والسكباج . . الخ .

ولم يكن العرب يعرفون هذه الاطعمة وطبعا لا يعرفون اسماءها . . وقد رووا ان عليا ابن ابى طالب اطعموه اكلة لذيذة فسال عن اسمها فقيل له : (الفالوذج) ، فقال : وما الفالوذج ؟ ، فقيل له : هو طعام المهرجان ، فقال : (اذن مهرجونا كل يوم) ، ورغم ذلك فان العرب — فى عهود ازدهارهم الحضارى واللغوى كانوا يستعملون هذه الاسماء فى كتاباتهم . . ويكفى ان تنظر الى كتاب البخلاء للجاحظ والى غيره لتلمس صدق ذلك .

وانا اومن بالتوسط ولست مع الشاعر الذى قال :

ونحن اناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين او القبر

فلا اومن بوجوب ادخال كل لفظ اجنبى او عامى الى اللغة العربية بل يجب ان ناخذ ما تدعو اليه الحاجة الى اخذه لان اللغة كائن حى يجب ان يعبر عن الحياة بشىء كثير من الحوية والواقعية ، وان لا نعيش اليوم باسماء الامس البعيد . .

روى لى الاديب القصاص التونسى البشير خريف قال : ذهبت لاشترى (ثلاجة) فقال لى البائع : هذه (الفريجيدير) تمتاز بكذا ، فقلت له : قل (ثلاجة) عوض (فريجيدير) ، فقال : ان مخترعها سماها (فريجيدير) فلماذا تريد تسميتها (ثلاجة) ؟ فاخترعها انت وسمها ما شئت . وانا لست مع هذا البائع فى وجوب اخذ جميع الاشياء كما سماها الاجانب بل يجب تعريب ما امكن تعريبه كالثلاجة والهاتف — وان كانت الاغلبية تستعمل التليفون اكثر من استعمالها للهاتف.

ان اللغة كائن حى لا يستطيع ان ينتظر ما توصى به المجامع اللغوية فى تسمية الاشياء او تعريبها . . فالذين يتحكمون فى التطور اللغوى — فى معظم الاحيان — هم الصحافيون الذين لا تمهلهم صحفهم اليومية ليعرفوا ماذا قال المجمع اللغوى فى تسمية (الفيراندة) و (الكوكوت) و (البلكون) وغيرها من الاشياء .

ان العرب — فى الجاهلية وفى صدر الاسلام — كانوا ياخذون الاشياء بالاسم الذى وضعه لها صانعوها ، فعند ما جاءهم من فارس (الاستبرق) اخذوه باسمه ولم يحاولوا تعريبه لان صانعيه سموه كذلك وامثال ذلك : (الاستبرق الزبرجد والفيروز والجام) وغيرها كثير .

ولما استورد العرب المرآة من بلاد الروم سالوا عن اسمها فقيل لهم : (سجنجل) فاخذوا هذا الاسم ولكنه لم يشع وقد استعمله امرؤ القيس فى معلقته حيث قال :

..... ترائبها مصقولة كالسجنجل

لا ضير على اللغة العربية من الدخيل والمعرب ومن العامى الذى لا مندوحة منه ، ولنا فى كتاب الله اسوة حسنة ، فقد سبق ان بينا ان فى القرآن الكريم مائة وسبعة وخمسين لفظة دخيلة كان فى الامكان تجنب الكثير منها بابدالها بما يرادفها فى العربية الفصيحة . . اوليس العرب والمسلمون فى شتى